النشر وضبط المعادلة الثقافية!!!

رامز رمضان النويصري

تكمن أهمية النشر كونه القناة التي يتم من خلالها نشر المعرفة على أوسع نطاق، الأمر الذي يوسع من دائرة الفائدة، من خلال وصول المعرفة في شكلها المادي؛ كتاب، مجلة، صحيفة، إلى المتلقي. والنشر في ليبيا هو أحد نقاط الضعف في المعادلة الثقافية، سواء على مستوى النشر الخاص، أو العام، فكلاهما عاجز توفير الحد الأدنى من المنشورات التي بإمكانها تلبية حاجة المتلقي؛ القارئ والباحث والمهتم. وإذا اعتبرنا أن النشر أعد عناصر المعادلة - المعادلة الثقافية- سنجد أنفسنا في مواجهة عنصر آخر؛ وهو القراءة، التي تسجل على المستوى العربي انخفاضا حاداً، حتى مع تعدد وسائل النشر الحديثة، ونقصد النشر الإلكتروني.

المنظومة المضطربة

القراءة (كعامل) هي أحد المحركات المهمة التي تدفع بعملية النشر، إذ تشجع معدلات القراءة (المرتفعة) الناشر على الاجتهاد في الطباعة والتوزيع، وإيصال الكتاب إلى القارئ، والبحث عن الجديد، وتبني التجارب الجديدة، بل وتوسيع الحدود، والخروج إلى الخارج، فالنشر وإن كان عملية اقتصادية (ربح × خسارة)، فأنه في الجانب الآخر منه مسؤولية تتعلق بثقافة المجتمع وبناء المستقبل. في ليبيا الأمور لا تسير بالمنطق المفترض، بسبب الكثير من المتغيرات التي جعلت من الصعب ضبط المعادلة أو حلها. فالدولة الليبي قامت بالزحف على المشاريع الخاصة، ومنها دور النشر، وتبنت مشروع اشتراكية المعرفة، فكانت الناشر الأوحد والوحيد، والذي لم يقم بالمهمة المنوطة به كما ينبغي، فتراج النشر، بل وتوقف لأكثر من سنة. هذا إضافة إلى أن القراءة في ليبيا وفي ذات الفترة، تم توجيهها

ومراقبتها حد تجريمها، كونها خارج نطاق الأفكار والتوجيهات الثورية، التي رأت من أولوياتها حرق الكتب، وسجن الكاتب . لذا لن يكون مستغرباً أن يتخذ المجتمع (الليبي) ردة فعل طبيعية (نافرة) اتجاه المعرفة والكتاب والكتابة؛ فكلاهما يقود للهلاك!

أين ذهبت المكتبة المدرسية

حتى دراستي الثانوية، كانت جميع المدارس التي درست بها تضم في جنباته مكتبة مدرسية، بداية من (مدرسة الفيحاء الابتدائية)، إلى (مدرسة أحمد رفيق المهدوي الإعدادية) وانتهاءً ب(ثكنة أسد الثغور الثانوية) والتي أتممت بها دراستي العام 1990-1991. حيث في المرحلتين الابتدائية والإعدادية كانت المكتبة أحد الحصص المقررة، وكانت كراسة المكتبة تتابع وتصحح من قبل أستاذ المكتبة، الذي علمنا مبادئ القراءة واختيار الكتب وكيفية تلخيصها، خاصة القصص، ومازلت أذكر صوت الأستاذ "محمد المحروق" -رحمه الله تعالى- وهو يقول: في راس الصفحة، اكتب عنوان القصة، تحتها فكرة القصة يعني شن فهمت مالقصة، وبعدين ملخص القصة، الملخص؛ مش تعاود تكتب القصة!

لكن أين هذه المكتبات الآن؟

نهاية العام الماضي قمت بزيارة مدرستي الثانوية، وبرفقة نائب المدير تجولت في أرجائها، وعندما وصلنا الدور الثاني سألته: هل يمكنني زيارة المكتبة؟

فكان رده: المكتبة لم تعد موجودة!

نعم! هي لم تعد موجودة، كالكثير من المكتبات التي عرفتها في مدينة طرابلس، والتي تحولت إلى محلات لبيع الملابس والأحذية، أو إنها تحولت إلى مقاهي. والسبب المنظومة المضطربة، والمتغيرات الكثيرة والعشوائية.

النشر والناشر في ليبيا

لا أدعم الربط بين النشر والقراءة، بقدر ما أدفع باتجاه وجود منظومة على مستوى الدولة تدعم العملية الثقافية، ومنها النشر، من خلال إيجاد بيئة ثقافية داعمة ومنتجة، قادرة على توفير الحد الأدنى لنجاح المعادلة الثقافية؟

ولأن حديثنا عن النشر، فمن المهم أن نركز حديثنا أكثر حوله، وهنا سأستعير من مشاركة الكاتب "يونس الفنادي" بملف العدد بعض الأرقام، والتي هي نتيجة دراسة حالة لثلاث دور

نشر ليبية؛ كانت نتاجها 160 كتاباً في 7 سنوات، بغض النظر عن الظروف التي عاشتها ليبيا خلال الفترة التي اخضعها الباحث للبحث. في العموم، مساهمة دور النشر الخاصة في ليبيا، ليست بالتي يعول عليها في وجود حركة نشر قادرة على الإضافة للحياة الثقافية في ليبيا، في غياب دور واضح وفاعل للدولة كناشر؛ بسبب المنظومة المضرية التي أشرنا إليها سابقاً. هناك الكثير من الأسباب التي تجعل من الناشر الليبي يتريث حد البطء في النشر، ويركز على السماء والمواضيع، ولا يغامر:

ففي الأساس النشر مشروع اقتصادي يخضع لميزان الربح والخسارة، والناشر في ليبيا ظهره مكشوف؛ أي غير محمي. فلا توجد قوانين تحميع من دخول النسخ المزورة للكتب أو سرقة منشوراته وإعادة طباعتها أو نسخه، أو تحويلها إلى صيغ إلكترونية.

كما لا توجد قوانين أو إجراءات تدعم الناشر فيما يخص أسعار الورق، أو ما يخص الشحن والجمارك، فبما أن الطباعة في ليبيا غير متاحة وضعيفة فإن الناشر الليبي يقوم بالطباعة خارج ليبيا، لذا هو يحتاج إلى قوانين اقتصادية تعينه على تخفيض سعر الكتاب من خلال تقليل أسعار الشحن والتحويلات المالية. مسألة أخرى أراها مهمة، هي دعم الناشر بأن تكون هناك نسبة من عدد الكتب المطبوعة مباعة سلفاً لمؤسسات الدولة؛ وزارة الثقافة، الجامعات المكتبات العامة والمراكز الثقافية، الأمر الذي يشجع الناشر، وينوع فرص الاختيار أمام القارئ، ويحرك الحياة الثقافية.

وبالحديث عن المكتبات العامة والمراكز الثقافية، أرى إن فقداننا لها كان له الأثر الكبير في ثقافة النشأ وبالتالي المجتمع الذي فقد علاقته بالكتاب، وهذا أمر يحتاج مساحة أكبر للنقاش.

ماذا بعد!!

لا أعتقد هذا المقال، وحتى الملف الذي اقترحته الفصول لمناقشة مسألة النشر في ليبيا سيكون قادرا على الوفاء بحجم المشكلة، لأني مازلت مصرا أنه في صلاح المنظمة -منظومة الدولة ككل-صلاح للعملية الثقافية في ليبيا.

بين موت المؤلف وموت الناشر

المشهد الثقافي الليبي إلى أين؟

د. عبدالله علي عمران
قسم الفلسفة/كلية الآداب/جامعة عمر المختار

النشر، بين الثقافة والتجارة

عرفت مدارس النقد الأدبي تحولا كبيرا، عندما بدأ الحديث عن فرضية (موت المؤلف) كنقطة انطلاق للنقد الأدبي، مما يجعل النص في مواجهة القارئ مباشرة، قياسا على تلك الفرضية، يمكن الحديث عن فرضية مماثلة، تتعلق بالمشهد الثقافي الليبي عموما، والأدبي خصوصا، حيث يمكن القول، أن السمة البارزة هي (موت الناشر) مما ترك المؤلف والنص والقارئ، في حالة إرباك وتشتت بل وغياب تام، بسبب غياب حلقة الوصل بينهم، وهي الناشر.

من المهم جدا، قبل الدخول في مناقشة تفاصيل الإشكالية، أن تحدد أطرافها، ثم يأتي بعد ذلك تحديد حقوق وواجبات كل طرف، فالعملية الثقافية معقدة ومتشابكة ومركبة؛ فهي من جهة عملية ذات طابع (ثقافي-فكري-أدبي) يمثل كل من المؤلف والنص والناقد والقارئ، الأطراف الفاعلة فيها، ولها معاييرها الخاصة، التي ترتكز على موهبة وبراعة المؤلف، وتقنيات كتابة النص، وقدرة الناقد على الوصول إلى كل ذلك وبيانه، لكي يمهد الطريق أمام شغف القارئ. من جهة أخرى، هناك عملية ذات طابع (تجاري-مهني) تتعلق بالطباعة والنشر والتسويق، يكون (الناشر) هو حجر الزاوية فيها، لكونه حلقة الوصل بين المؤلف والناقد والقارئ، وهو ما يجعله أكثر الأطراف تأثيرا، ويجعل مهمته هي الأكثر صعوبة، لكونه يمارس عملا له طبيعة مزدوجة، تجمع بين الثقافة -التي لا تضع ضمن معاييرها الربح الخسارة والعرض والطلب- وبين التجارة -التي تقوم أساسا على الربح والخسارة والعرض والطلب- وعليه الجمع بين هاتين المهمتين المختلفتين تماما.

هل لدينا كُتّاب؟ أو نتاج ثقافي؟

هذا الوضع المعقد والمتداخل والمشوش، يجعل الحديث عن مسئولية طرف بعينه أمرا غاية في الصعوبة، فالناشر يشكو غياب الناقد والذي بدوره يشكو غياب المؤلف، في حين يشكو المؤلف غياب الجميع سواء الناشر أو الناقد أو القارئ. وكأن الأمر أشبه بحلقة مفرغة، لا تكاد تضع أصبعك على نقطة بدايتها ولا نقطة نهايتها.

في كل الأحوال، لابد من طرح الأسئلة، لنحدد مكمن الخلل وطرق الحل، وأول هذه الأسئلة هو (هل لدينا كُتّاب يملكون موهبة عالية وبراعة كبيرة في الكتابة؟) كتاب يملكون الموهبة، وفي ذات الوقت، حصلت تلك الموهبة على صقل أكاديمي، أو لديها الخبرة التراكمية الكافية؟ تجنبا لأي جدل جانبي، قد يثيره ذكر أسماء بعينها، يمكن القول، أننا لا نملك كتابا بهذا المستوى، إلا بقدر ما يمكن أن نحصيه، على أصابع اليد الواحدة، في كل مجال من المجالات الثقافية والأدبية، ليس لعدم وجود مواهب، بل لعدم وجود آليات لاكتشاف ودعم وصقل المواهب أصلا، فالكتاب في بلادنا، هم في الحقيقة نتاج الصدفة والعشوائية، ولذلك يمكن القول بشكل عام، أن قلة نادرة، هم الكتاب الذين يملكون مشروعا فكريا واضحا، ويسيرون على خطى ثابتة.

وغياب المؤلف، صاحب المشروع الفكري، يؤثر بطبيعة الحال على الوضع الثقافي العام، لكونه يصبح بيئة راكدة خالية من التجاذبات والجدالات الفكرية، بيئة ثقافية نمطية، تكاد تتشابه فيها النتاجات إلى حد التطابق، بسبب تشابه مشكلاتها وتشابه طرق عرضها، ولن يكون الناقد بمنأى عن هذا الخمول والركود الفكري، فعندما لا ترتقي النصوص إلى درجة النقد، يصبح الناقد مثالا صارخا للبطالة المقنعة، فلا هو غائب لا وجود له، ولا هو حاضر وله فاعليته، وذلك لأن بيئة لا تشجع على بروز النقاد، فضلا عن غياب ثقافة النقد أصلا، في النهاية لا يجد القارئ مؤلفين و لا نتاجات، تستحق عناء التتبع و القراءة، و هو أمر يبدو غاية في الخطورة، خاصة لو أن المجتمع أصلا يعاني من انخفاض معدلات القراءة بين أفراده.

كما أسلفت الشكوى متبادلة، فالمؤلفون (محليا) بدورهم، يشتكون من غياب الناشر، بشكل عام والناشر القادر على احتواء المؤلفين الشبان أو الجدد بشكل خاص، لكون التعاقد معهم يعد مجازفة، بل خسارة محققة، لأن مطبوعاتهم لن تحقق حتى الحد الأدنى من الأرباح، أو حتى

تكاليف الطباعة النشر، والناشر لا ينفي ذلك ولا ينكر التهمة، بل يؤكدها، متحججا حينا بضعف النصوص وغياب الإنتاج الثقافي الذي يمكن أن يحقق مكاسب، ومتحججا في أحيان أخرى بارتفاع تكاليف الطباعة، (بسبب غلاء مواد التشغيل وتقادم المطابع، مما يجعلها غير قادرة على طباعة أقل من 1000 نسخة) وهو عدد لا يمكن تسويقه بسهولة، حتى بالنسبة للكتاب الأكثر شهرة، نظرا لغياب مراكز التسويق وتدني معدلات القراءة مجتمعيا، وغياب مؤسسات الدولة .

كل تلك العوامل تدفع بالكتاب الجدد، نحو المطابع التجارية العربية، وغالبا في مصر، حيث تعد تكلفة الطباعة فيها أقل لعدد أقل من النسخ، كما تزيد من فرصة مشاركتها في معرض القاهرة وبعض المعارض العربية، خلافا لدور النشر المحلية، التي تجد صعوبة في المشاركة الخارجية.

بين موت الناقد وموت القارئ.

في المقابل، يتفق الناشر والمؤلف، في توجيه الاتهام للناقد والقارئ، حيث لا ينشط النقاد محليا ولا يهتمون بالنتاج المحلي إلا نادراً، و بالتالي لا يعد الناقد بوصلة لتوجيه القارئ، وهو ما يجعل الكاتب الليبي غير معروف محلياً، في مقابل تنشط حركة النقد التي تعد شكلاً من أشكال التسويق للكتاب العرب، مما يجعل نتاجاتهم مطلوبة في السوق المحلية أكثر من المؤلف الليبي، وتبعا لقاعدة (لا كرامة لنبي في قومه) يبقى المؤلف الليبي والنتاج الليبي مجهولاً مهملاً، حتى يتم الاحتفاء به عربياً وعالمياً، فالمؤلف الليبي لا يبدأ محلياً ثم يعرف خارجياً، بل العكس تماماً.

وعلى الرغم من أن القارئ يبدو أيضاً متهماً، و هو أمر مرتبط بالثقافة المجتمعية، التي لا تولي اهتماماً بالقراءة، بل هي في الأصل لا تعطي أي أهمية للعلم، زد على ذلك، انتشار مصادر معرفية أكثر إغراء وإن كانت أقل رصانة، مثل ما تقدمه القنوات الفضائية، وما ينشر إلكترونياً خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، مما يزيد من تقليل معدلات القراءة للكتب باختلاف مجالاتها، رغم كل ذلك إلا أن القارئ نفسه، يشتكي من ارتفاع أسعار الكتب، مما يحول بينه وبين امتلاكها، وعدم توفر مكتبات عامة، وهذا كله يحدث، بينما تمر البلاد بأزمات اقتصادية طاحنة، فضلاً عن الجو العام المشحون، بسبب التغيرات السياسية والحروب الأهلية، وهو بطبيعة الحال جو لا يساعد على القراءة، ولا يرى الفرد أي ضرورة لزيادة معرفته ووعيه.

حرية الفكر، الاستبداد والعقل الجمعي.

بشكل عام لا يمكننا تجاهل الأسباب التاريخية والأيديولوجية، التي قرنت بين الثقافة وبين النظم الحاكمة، وجعلت الكتابة مرهونة بتوجهات ورغبات تلك النظم وما تتبناه من أيديولوجيات. كما لا يمكن تجاهل كل العقبات التي تحول دون حرية الفكر، وهي دعامة أساسية لأي ازدهار ثقافي ومعرفي، فالاستبداد السياسي وأيضا التطرف الديني والعقل الجمعي المجتمعي المحصور في العادات والتقاليد، كلها تسهم في تدني مستوى النصوص، بل وترغم بعض الكتاب على التوقف عن النشر عموماً أو محلياً بشكل خاص، سواء بسبب الخوف من الحاكم أو لعدم توافقهم مع الأيديولوجيا السائدة، وعدد سجناء الرأي والقلم ليس بالقليل، وتعوق أيضاً عمل دور النشر، التي تضع في الاعتبار الموقف السياسي والديني والمجتمعي، عند طباعة ونشر أي نتاج ثقافي، فهي تتعامل مع تلك النتاجات على أنها سلعة، وبطبيعة الحال، لن تجازف بعرض سلع، يراها المشترون فاسدة، وبالتالي لا تواجه مشكلة كسادها فقط، بل ومشكلة الاتهام بالمشاركة في تسمم المجتمع معرفياً.

المؤسساتية، الحل الغائب

يبدو أن كل ما سبق ذكره، يشير إلى صورة قاتمة جداً، ترغم الجميع سواء المؤلف أو الناشر أو الناقد أو القارئ، على الشعور بالإحباط واليأس، وذلك لا يعني أن الحلول غير ممكنة، بل يعني أن الحلول تتطلب وقتاً وجهداً وتضافر الجميع، ولذلك يجب أن نستبعد الحلول سحرية، التي تتحقق بمجرد تكليف شخص أو إنشاء مؤسسة أو رابطة.

يجب التأكيد قبل كل شيء، على أن النمو المعرفي والثقافي لأي مجتمع، هو عملية تراكمية، وليس تحولاً سريعاً ومفاجئاً، وهذا التحول يجب أن يتسم بالتراكمية والاستمرارية، وهي صفات لا يمكن توافرها إلا من خلال (مؤسساتية)، فبدون قيام المؤسسات المعنية بدورها، فلن يتحقق أي هدف.

وأول هذه المؤسسات هي المؤسسات الثقافية، التي يكون همها تنشيط الحراك الثقافي عموماً، وليس فقط الإنتاج الثقافي فقط، ولابد أن يكون ذلك مصحوباً بتنشيط التأليف والنشر، والأخذ بيد الكتاب الجدد، بحيث تتحمل مؤسسات (الدولة) جزءا من تكاليف الطباعة والنشر، وهي بذلك تساعد الكاتب بحيث يستطيع نشر نتاجه، وتساعد القارئ لكونه سيحصل على الكتاب بسعر لا يتجاوز قدرته الشرائية، فما العيب بل من الضرورة أن يكون لدينا (كتاب مدعومة)، أسوة بالخبز المدعوم والمحروقات المدعومة.

إضافة إلى المهام التسويقية التي تتطلب وجود مراكز ثقافية فاعلة في مناطق متفرقة من البلاد.

يأتي بعد ذلك دور المؤسسات التعليمية، التي رغم أهميتها، لا تشارك مطلقاً في أي حراك ثقافي، فلا تقوم المدارس الابتدائية والإعدادية، بتنشيط حركة القراءة أو التعريف بالمفكرين الليبيين، عبر مناشط ثقافية أو مكتبات مدرسية، أما الجامعات والتي يفترض بها أن تضم مخزوناً ثقافياً ونخبوياً كبيراً، والتي يقع على عاتقها تطوير البشر والنشر العلمي، فهي أيضاً لا تقوم إلا بالنزر اليسير من دورها، فحتى الدراسات الفكرية عموما والأدبية خصوصاً، لا تتناول المفكر أو الإنتاج الثقافي والأدبي الليبي، وهو أمر لا يخفى على أحد، بمجرد المقارنة بين حجم الدراسات الأدبية، على شعراء العصر الجاهلي والشعراء العرب، والشعراء الليبيين.

الحديث عن غياب المؤسسات التعليمية، ليس أمراً هيناً، فأنت تتحدث عن أجيال تتعلم وتكبر، بعيداً عن أي حس ثقافي، ولو أكتمل ذلك بغياب المؤسسات الثقافية، فأنت تتحدث عن غياب كامل للثقافة والأدب، بحيث يبقى الأمر مرهونا ببعض النشاطات العشوائية، والمبادرات الفردية، التي تفتقر إلى التخطيط طويل الأمد والاستمرارية، وكما أسلفت، أن الحلول ليست سحرية، ولا ينتظر نتائج باهرة في القريب العاجل، ولكن إذا لم نبدأ الآن فسيستمر السقوط والتدني.

الناشر والكاتب في ظل التطور في وسائل النشر التحديات والمعالجات

امراجع السحاتي

أولاً: الناشر والكاتب المفهوم:

أ- الكاتب المفهوم:

قيل بان الكاتب لغة هو العالم عند العرب .(1) بمعنى هو الشخص الذي يعرف الكثير من الأشياء ويبدع فيها.

لقد تعدد مصطلحات وتخصصات الكاتب منها من يتولى عملاً كتابياً إدارياً، ومنها كاتب العدل المسجل بجدول كتاب العدل لممارسة مهنة قانونية، ومنها كاتب الدولة وهو بمنصب وزير في بعض الدول، وكذلك هناك كاتب الشفرة الذي يتم تكليفه بتحويل الرسائل السرية عند إرسالها إلى رموز رقمية وفكها عند وصولها، وهناك الكاتب الكلاسيكي وهو وكما جاء تعريفه " كاتب يستوحي نماذجه الأدبية من التراث، في مطابقة لتقاليد الأدباء والكتاب القدامى. مؤلف كلاسيكي نماذج كلاسيكية "...، وهناك كاتب العدل الشرفي والذي يعرف بأنه " من منح تلك الصفة من كتاب العدل المنتهية خدمتهم "، وقيل كذلك كاتب ملتزم بمعنى مهتم بقضايا اجتماعية وسياسية ووقائع ملموسة يعتقد أن فيها صلاح البلاد عندما يكتب عنها "، وقيل كاتب ناثر " يكتب النثر "..، وقيل كاتب عمومي وهو " من يكتب رسائل وتقارير لعموم الناس .(2) "

وقيل الكاتب "مهنة يقوم صاحبها بتأليف وكتابة القصص والمؤلفات والكتب والروايات" وهو يعتمد على مواهبه والتي يدعمها بالدراسة والتعلم والتثقيف.

ونحن في هذه الدراسة الكاتب الذي نقصده هو الكاتب المؤلف الذي يؤلف الكتب والذي عرف عدة تعريفات والتي منها بأنه: "الشخص الطبيعي الذي يبتكر عملاً أدبياً أو فنياً أو علمياً أيا كان نوعه أو طريقة التعبير عنه أو أهميته أو الغرض من عمله.(3) "

كما عرف الكاتب أو المؤلف بأنه "مهنة يقوم صاحبها بتأليف وكتابة القصص والمؤلفات والكتب والروايات، والكاتب مهنة معتمدة بشكل كبير على الموهبة فليس كل من يستطيع الكتابة يقال انه كاتب ومع هذا يجب تدعيم هذه الموهبة بالدراسة والتعلم والتثقيف .(4) " إذن الكاتب الذي نقصده هو مؤلف الكتب.

ب- الناشر المفهوم:

جاء مفهوم أو مصطلح الناشر من فعل نشر وقيل بأن النشر هو عرض لشيء ما، أما الناشر فهو الشخص الذي يقوم بنشر الشيء. ونشر أذاع حيث قيل " نشر (الخبر) أذاعه .(5) " ووفق المصطلح الفني لنشر الكتب فقد عرف النشر بأنه هو: "عملية إعداد وتصنيع وتسويق الكتب والمجلات أو أي مطبوعات أخرى .(6) "

أما الناشر فهو: "مؤسسة أو شخص يقوم بإصدار وطبع وتوزيع الكتب أو المجلات والصحف ويتحمل مسئولية التمويل إلى جانب مخاطر النشر .(7) "

وفي الحقيقة هذا التعريف كان في البداية عندما كانت للصحف والمجلات والكتب الورقية مكانة بين القراء فبعد أن تطورت وسائل الاتصال والنشر، وصار هناك نشر وناشر إلكتروني، وصار هناك نشر سمعي وبصري قلت مهمة الكثير من الناشرين الورقيين، وصارت الكثير من مسؤوليات الناشر على عاتق الكاتب مثل التمويل والتوزيع ومخاطر النشر وهذا زاد من قلق الكاتب الذي لا يفقه في العادة بعمليات النشر والتوزيع ومخاطرها.

وطبعاً نحن هنا في هذه الدراسة نقصد بالناشر الورقي الذي صار يبتعد عن الكاتب المؤلف ويجري خلف طبع الرسائل والمذكرات والمفكرات الرسمية وبطاقات التعريف وبطاقات الدعوة والصكوك للمؤسسات العامة والخاصة بالرغم بأن بعض الناشرين كان هدفهم هو تكملة الكاتب المؤلف إلا أن التطور في وسائل الاتصال وما أحدثته الثورة التكنولوجية من تغيرات في وسائل الإعلام غير وجهته بعدة أسباب.

ج- أنواع النشر:

هناك عدة أنواع ووسائل للنشر مثل دور العرض السينما التي تعرض الأفلام،

والقنوات المحلية الأرضية والقنوات الفضائية التي تعرض البرامج والأعمال الدرامية المختلفة على الراديو صوتاً وعلى قنوات التليفزيون صوتاً وصورة، وكذلك هناك الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت وما فيها من مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من المواقع الإلكترونية الأخرى التي تنشر بالصوت والصورة، وهناك النشر الورقي والنشر الإلكتروني، وطبعاً هذه الوسائل وما نشر عليها يشترك فيها الناشر والكاتب ناهيك عما ساهم في إبراز وتقديم عمل الكاتب سواء بالتمثيل أو التقديم والشرح والتوضيح.

في دراستنا هذه سوف تقتصر على النشر الورقي مع مقارنته مع النشر الإلكتروني حيث يعتبر النشر الورقي من أهم أنواع النشر ومساهم كبير في إحياء إنتاج الكاتب حيث ثبت بأن الكتاب الورقي أهم من الكتاب الإلكتروني والمتاحف العالمية خير شاهد على ذلك فالمعلومة الورقية من الصعب تزويرها وحذفها أما المعلومة الإلكترونية فإنه من السهل تزويرها وحذفها وفي أسرع ما يمكن.

للنشر الورقي الكثير من المزايا التي يتميز بها عن النشر الإلكتروني وغيره من تلك المزايا الآتي:

1. اعتماده على الورق والأحبار في إنجاز أعماله.
2. سهولة تحديد مكانه.
3. سهولة الوصول على الكاتب الذي نشر عنده.
4. له مصداقية أكبر من النشر الإلكتروني.
5. صعوبة النشر فيه.
6. تكليفاته عالية مقارنة مع النشر الإلكتروني.

د- أسباب التنافر بين الكاتب والناشر الورقي:

بعد تطور وسائل الاتصالات وتعدد والوسائل الإعلامية ظهر هناك تنافر بين الناشر والكاتب أغلبه يأتي من الناشر الورقي وذلك لعدة أسباب منها الآتي- :

1. ارتفاع أسعار آلات النشر ومستلزماتها من ورق وأحبار وخلافه.
2. التطور في وسائل الإعلام.
3. عزوف قراء الأعمال الورقية عن متابعة الأعمال الورقية بسبب اهتمامهم بالوسائل الإعلامية الأخرى والتي هي الأسرع والأسهل والأقل تكلفة.

من خلال ما تقدم يرد تساؤل يقول ما هو النشر الإلكتروني؟

وتأتي الإجابة قائلة بأن النشر الإلكتروني وكما عرف من أحد المصادر هو: - "استخدام التكنولوجيا الرقمية لتحويل المادة المطبوعة أو المسموعة أو المرئية إلى رقمية أيضاً، ونشرها للجمهور المستهدف باستخدام الأجهزة الإلكترونية على اختلاف أنواعها.(8) "

وأشير بأن هناك أنواعاً متعددة من النشر الإلكتروني مثل الآتي- :

1. المجلات الإلكترونية.
2. الصحف الإلكترونية.
3. الرسائل الإلكترونية.
4. المطبوعات والكتيبات الإلكترونية.
5. المدونات.
6. الكتب الإلكترونية المنشورة بصيغة.EPUB
7. ملفات.PDF
8. تطبيقات الهاتف المحمول.
9. الدوريات العلمية.
10. الملفات الصوتية.
11. الصور والأعمال الفنية والرسوم (9).

للنشر الإلكتروني مزايا تميزه عن غيره من النشر فهو أسهل وأسرع من النشر الورقي حيث أن هذا النوع من النشر لا يحتاج إلى عدة أمور وإجراءات إدارية من موافقات وتسجيل وبحث عن دار نشر فكل الإجراءات المطلوبة من دار النشر الإلكترونية متوفرة لديها من تسجيل والاتفاق على الشروط وغيرها، قد يستفيد الكاتب من دار النشر الإلكترونية بأن تنشر له كتابه بدون مقابل، أما دار النشر الورقية تلزم الكاتب بأن يدفع مقابل ما نشرته له الدار. هناك ميزة أخرى للنشر الإلكتروني تتفوق فيها عن النشر الورقي وهي اتساع نطاقها والذي يتخطى حدود دار النشر الإلكترونية فقد تكون دار النشر الإلكترونية يشرف عليها ناشر من طرابلس ومقرها طرابلس ولكن إنتاجها يصل معظم دول العالم، ومن مزايا النشر الإلكتروني كذلك بساطة دار النشر الإلكترونية التي لا تحتاج إلى مكان واسع أو كثرة المشتغلين من فنيين وعمال وإدارية وآلات مطبعية ومستلزماتها من ورق وأحبار وخلافه والتي تكون ضرورة لدار النشر الورقية، كذلك من مزايا النشر الإلكتروني سهولة شراء منشوراته التي تعرض للبيع والحصول عليها حتى ولو كان مصدرها يبعد آلاف الكيلو مترات عن المشتري حيث بإمكان الشخص الذي يرغب في كتاب أو صحيفة أو مجلة معينة أن يقوم بشرائها من منزله وتصله في منزله دون الحاجة الذي الذهاب للدار عكس الدار الورقية، في النشر الإلكتروني بالإمكان أن يتم تحديث

النص بسرعة وسهولته من حيث التحرير والإضافات دون معاناة مثل ما يحدث في النشر الورقي، كما أن النشر الإلكتروني يوفر الوقت والجهد، والنشر الإلكتروني يتميز كذلك بأنه كبير التخزين للصور والنصوص والأشرطة المصورة، والنشر الإلكتروني كذلك يتم نشره وعرضه عبر المواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة .(10)

وبسبب هذه المزايا للنشر الإلكتروني حدثت تحديات للنشر الورقي أثرت على علاقة الكاتب مع الناشر الورقي بالرغم من وجود عيوب كثيرة للنشر الإلكتروني مثل عدم مصداقيته، وصعوبة تحديد مكان الناشر والكاتب.

ثانيا: نبذة عن النشر والعلاقة بين الناشر والكاتب:

بعد أن تعرفنا على الكاتب والناشر والنشر وأنواعه ومزاياه وعيوبه نتطرق الآن إلى الحديث عن نبذة عن النشر والعلاقة بين الناشر والكاتب.

بدأ النشر بإعطاء المعلومة مباشر من شخص بواسطة الحديث بالإشارة بمعنى أن يأتي شخص بمعلومة ما أو خبر ما أو حدث ما ويخبر به شخص أو أشخاص آخرين مثل ما كان يحدث للإنسان البدائي الذي عندما يعود من رحلة جلبه للطعام والتي كانت شاقة يخبر أسرته بما حدث بواسطة الإشارة، بعد ذلك صار النشر بواسطة الدق على العظام والطبول ونفخ في الأبواق المصنوعة من قرون الحيوانات، وبعد ذلك استعمل الرسل من الأشخاص لنشر خبر أو قصيدة شعر أو حكاية ما شفوياً، أما بعد أن عرف الإنسان الكتابة كثر نشر الأخبار والمعلومات بواسطة الكتابة حيث كان هناك أشخاص يوكل لهم مهمة نقل المعلومة لغرض نشرها وبعد ذلك استعمل الحمام الزاجل في نشر المعلومات خاصة السرية حيث استغلت الكثير من الإمبراطوريات القديمة ذلك في عدة عمليات، بعد أن انتشرت الكتابة والقراءة بين الناس صار هناك وراقون ونساخ يساهمون في نسخ ما يكتب العلماء والمفكرون والكتاب ويدونون ما يسمعون من أشعار وحكايات ويعرضون ما نسخوا على الناس في دكاكين الوراقين، وأثر النساخ لازال قائماً إلى الآن في كبار الجامعات والمتاحف حيث هناك الكثير من المخطوطات التي مر على نسخها مئات السنين لازالت موجودة وهي منتشرة في معظم دول العالم تعتز بها دول أولئك النساخ. وكان للترجمة المنظمة التي ظهرت في عهد الدولة الأموية في عصر خالد بن يزيد ابن معاوية أن تم نشوء الوراقة والوراقين ببغداد حيث تم انتساخ

الكتب المترجمة لعدد كبير من الناس سواء من المشترين أو البائعين .(11)

كان هناك تشجيع على الترجمة والنشر حيث أشير بأن المنصور والرشيد والمأمون قد شجعوا على ذلك، وحيث كان الرشيد يكلف وكلاء عنه لشراء المخطوطات الإغريقية التي في الإمبراطورية الرومانية وكان يدفع للمؤلفين والمترجمين بسخاء، ومن ضمن الكتب التي ترجمت واستنسخت كتاب (السند هند)، ومن أشهر الذين نسخوا وترجموا الكتب الحجاج بن يوسف بن مطر الحاسب، وسهل بن ريان، وحنين بن إسحاق، ويوسف الخوري القس وغيرهم، ومن أشهر النقلة كذلك ثابت بن قرة الحراني والذي أشير بأنه قد صحح الترجمات العربية في مؤلفات الرياضيات الفلكية، والذي قيل بأنه ألف بالعربية حوالي مئة وخمسين بحثاً في المنطق والرياضيات والفلك والطب، وكتب بالسريانية .(12)

في العصر العباسي ظهرت أماكن كان من ضمن عملها الانتساخ والتوريق حيث كانت هذه الأماكن تختص كذلك بالترجمة والتعريب والتأليف والمطالعة وتعتبر خزائن للكتب المترجمة والمصنفة والمصورات الجغرافية والفلكية والخطوط المختلفة من تلك الأماكن بيوت الحكمة العامة والخاصة وهي خزائن الكتب التي أسسها الخلفاء العباسيون وأمراء الأغالبة والفاطميون وغيرهم من أهمها بيت الحكمة البغدادي حيث قيل فيه " كان يدير بيت الحكمة البغدادي : مديرون وأمناء على الترجمة ومعهم كتاب حذاق كما يذكر القفطي، كما كان يشتغل فيه علماء ونساخون وخزان ومجلدون من مختلف الأديان والأجناس والمذاهب والثقافات، ومعهم وراقون .(13) "

وكذلك كان هناك بيت الحكمة التونسي ظهر في عهد الأغالبة من قبل الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي التميمي وكذلك دار الحكمة بالقاهرة وغيرها .(14)

في ظل الثورة الصناعية تم اختراع الطباعة حيث تشير المصادر بان اختراع الطباعة الحديثة كان سنة 1440م على يد يوحنا جوتنبرج من أوروبا بعدها انتشرت المطابع في أوروبا، أما في الوطن العربي فقد ظهرت أول مطبعة في سوريا وهي مطبعة حلب وكانت سنة 1700م ومن هنا برزت صناعة النشر وظهور الناشر العصري بعد أن كان النساخ أو من يوظفه من العلماء أو الأمراء والحكام، في مصر ظهرت المطبعة الأهلية أبان احتلال مصر إثر الحملة الفرنسية وكان ذلك وكما تشير المصادر سنة1797م بعد ذلك ظهرت مطبعة بولاق عام 1821م في عهد محمد علي،

هذا وكان أول كتاب يطبع باللغة العربية سنة 1514 م في ايطاليا. استطاعت أوروبا ان تنظم العلاقة بين الكاتب والناشر بعد التطور الذي حدث في النشر والتأليف والصراع الذي أدى في النهاية إلى وضع ضوابط وقواعد وقوانين تعرف كل منهما حقوقه تجاه الآخر مع وجود بعض الخروقات البسيطة التي استمرت إلى وقتنا الحالي.

في الوطن العربي بعد أن تنور الفكر بين الناشرين والكتاب صارت هناك عقود بينهما إلا أن الخروقات القانونية استمرت وتم سرقة أعمال كتاب ونسبها الناشرون لأشخاص آخرين وهذه العملية كانت محدودة وهي تحدث لبعض الكتب المبتدئين على النشر.

صار الناشرون أنواع منهم من ينشر من يقوم هو بشراء حقوق النشر والتوزيع وبذلك يعد الكاتب غريباً عن مؤلفه وليس له الحق في نشره من جديد إلا بموافقة الناشر الذي اشترى حق النشر والتوزيع، وهناك نوع آخر من الناشرين هو أن يستلم المؤلف من الكاتب ويطبعه له وفق المواصفات التي يطلبها ويحتفظ المؤلف بحقوقه في النشر والتوزيع، وهذا النوع من النشر أتعب الكاتب خاصة الذي ليس له دراية بالتوزيع بسوقه .

كانت هناك علاقة حميمة بين الكاتب والناشر عند ظهور الطباعة، وكانت تلك العلاقة في تناغم حتى أن العالم أنتج ملايين الكتب خلال سنوات، إضافة إلى أن الناشرين أنفسهم صاروا يشجعون على النشر لدرجة أنهم أسسوا صحفاً وجرائد خاصة بهم، كما أن الكتاب أنفسهم أسسوا دور نشر خاصة بهم ساهمت في نشر كتبهم.

في ظل هذا التناغم والعلاقة الجيدة ظهرت طبقات متنوعة من المثقفين وظهرت أجيال متنورة بالفكر والعلم الذي ظهر في الكتب التي ألفها وأعدها الكتاب والبحاث ونشرتها دور النشر المختلفة تلك، ففي مصر مثلاً كانت العلاقة في الخمسينات والستينات بين الناشر والكاتب جيدة حيث أسهمت دور نشر في إبراز العديد من الكتاب حيث أظهرت دور النشر القاهرية طه حسين والمازني والعقاد ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس وغيرهم وقد كانت من أبرز تلك الدور دار المعارف والهيئة العامة المصرية للكتاب وغيرها.

بعد الحرب العالمية الثانية نشطت الحركة الفكرية والمعرفية حيث تطورت وسائل الاتصال من تقليدية إلى حديثة فقد أشارت أحد المصادر بأن الفترة من

سنة 1945م إلى سنة 1991م اتسمت بثورات علمية وتكنولوجية .(15)

كانت الثورات العلمية التكنولوجية التي تفجرت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية من أهم الثورات العلمية حيث أحدثت قفزة في تاريخ العالم، وكان من أهم انجازات تلك الثورات اكتشاف شفرة الخلية .(16)

كان أدى اختراع المطبعة في منتصف القرن الخامس عشر إلى طباعة حوالي 4 بليون كتاب، في النصف الثاني من القرن العشرين انتشرت الثورات العلمية منها ثورة اختراع الكومبيوتر عام 1946م وطبعاً هذا نوع من أنواع النشر. بعد ذلك تطور الكومبيوتر وزاد من قدرته على تجميع المعلومات والمعارف. في عام 1967م تم اختراع الكومبيوتر الشخصي وهذا ساهم في قدرة الأشخاص العاديين للحصول على المعلومات وتخزينها وبهذا انطلقت طاقات معرفية إنتاجية هائلة وزادت وسائل النشر وتنوعت وفي نفس الوقت قلت قدرة النشر الورقي .(17)

في النصف الثاني من القرن العشرين كذلك شهد العالم ثورة هائلة في مجال الاتصالات فتم اخترع الراديو الترانزستور، ثم تطور الراديو على مستوى تجاري، حيث تم إنتاج أول راديو ترانزستور عام 1955م وبعدها تم إنتاج أول مسجل كاسيت، بعد ذلك تم اختراع تكنولوجيا الترقيم والتي بواسطتها أمكن معالجة الصور والبيانات والأحداث والكلمات المسموعة وتحويلها إلى إشارات رقمية، كما تم اختراع تقنية الألياف البصرية التي تستطيع بث كميات كبيرة من المعلومات وتحويلها من خلال النظام الرقمي إلى ومضات ونبضات ضوئية وذلك ساهم في اختراع شبكات الهاتف، كذلك فقد أدى إطلاق أول قمر صناعي (تلستار) عام 1964م إلى تطور وسائل الاتصال والنشر حيث مكن من خلال هذا القمر نقل ونشر الأحداث من أي منطقة في العالم إلى أي منطقة أخرى من العالم ونشر المعلومات، ثم توالت ثورة الأقمار الصناعية، والتي ساهمت في إجراء الاتصالات الهاتفية العالمية السريعة وإرسال البرامج الإذاعية والتليفزيونية إلى المنازل مباشرة .(18)

وطبعاً هذا كان له أثر على الناشر الورقي والكاتب فبسبب الثورة في التكنولوجية والمعلومات ظهرت وسائل نشر جديدة هددت عرش الناشر الورقي كما هددت هذه الثورة الكاتب الذي صار يصعب عليه شروط الناشر الورقي والذي تأثر بوسائل النشر الجديدة.

مع تطور وسائل النشر وتعددها صارت هناك علاقة صعبة بين الناشر والكاتب

صاحب الإنتاج الذي سيتحول إلى كتاب أو مجلة مطبوعة خاصة في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها النشر الورقي في ظل التقدم في وسائل النشر وهجمة الكثير منها بدون رقيب وحسيب.

النشر الورقي هو نشر المعلومات والأفكار على الورق مثل نشر الصحف والمجلات والجرائد والكتب، وبعد التطور الذي حدث في وسائل الاتصال والمعلومات ودخول وسائل إعلامية أخرى إلى جانب الوسائل الورقية وبذلك تعددت أنواع النشر وقل دور النشر الورقي بعد أن ابتعد الشريك الثالث الذي هو القارئ (المستقبل) عما تنتجه وسيلة النشر الورقية. قبل هذا التطور كانت هناك علاقة ثلاثية في تناغم وترابط خاصة من ناحية المستقبل والذي هو القارئ والذي يمثل الطرف الثالث أما الأول هو الناشر والثاني هو الكاتب. كانت المشاكل بين الناشر والكاتب والقارئ قبل ظهور الصحف والمجلات والكتب الإلكترونية بسيطة، إلا أن الكاتب أو صاحب العمل المنشور كان في بعض الأحيان يتعرض للنصب من بعض الناشرين عدا ذلك لم تكن هناك مشاكل تذكر، من أشهر من تم النصب عليهم من قبل الناشرين منتج الأفلام والرسام الأمريكي والتر اليأس ديزني والشهير باسم والت ديزني والذي يعد أحد الرواد في مجال صناعة الرسوم المتحركة في الولايات المتحدة الأمريكية.حيث قام أحد الناشرين له لسلسلة حلقات رسوم (الأرنب اوزوالد) بالنصب عليه وفق عقد فيه بنود جعلت من الناشر صاحب العمل حيث استعمل حقوقه نشرها وبثها لصالحه، وقد أشير بان حقوق الأرنب اوزوالد قد أعيدت إلى ديزني عام 2006 م مع العلم بأن والت ديزني قد توفى بتاريخ 25 ديسمبر 1966م .(19)

ومثل حكاية والت ديزني وغيرها نبهت بمخاطر النشر فاضطر الكثير من الناشرين والكتاب بإعداد عقود نشر فيها شروط يتفق عليها كلا من الناشر والكاتب وأغلب هذه العقود كانت تحرر وتعد من قبل الناشر والذي يضع فيه شروط نشره والتي في الغالب فيها ظلم للكاتب.

أشير بأن النشر عند المؤسسات الثقافية الرسمية صارت تلك المؤسسات ومن يسيرها هم الذين يتحكمون في صناعة الكتب والنشر أيضاً وقد أشير بأن هذا بسبب واقع النشر والعلاقة بين الكاتب والناشر التي صارت علاقة تنافر خاصة بعد أن صارت دور النشر الخاصة لا تقبل طباعة الكتاب إلا بعد استلام تكلفة الطباعة، وسبب علاقة التنافر والتباعد بين الكاتب والناشر هو التطور في وسائل الإعلام والاتصالات وما أحدثته الثورة في

عالم التكنولوجيا من تغيرات في وسائل الناشر فبعد أن كانت الوسيلة الورقية متربعة على عرش النشر وهي التي لها اليد الطولى في نشر الثقافة والمعرفة والعلوم جاءت وسائل أخرى اقل سعراً وتكلفة، وبها معلومات مختصرة على هيئة منشورات وأسرع وأسهل وصولاً أدت إلى أضعاف وسيلة النشر الورقي التي كانت عكس هذه الوسائل من ناحية التكلفة والسرعة في الوصول والتوزيع، ومع هذا فإن الصدق والثقة تتوفر في وسيلة النشر الورقي لأنها معروفة المصدر.

وطبعاً ما أنتجته الثورة التكنولوجية من وسائل للنشر والتي لها خصائص عدة ساهم بتعلق الناس بها وبأعداد كثيرة جداً خاصة أن العالم صار يسرع ولا يركن لقراءة الكتاب الذي قد يأخذ من القارئ عدة ساعات أما تصفح موقع إلكتروني فان المتصفح يتصفح فيه عديد المنشورات المختصرة عن الكتاب وغيره في أقل فترة زمنية، وهذا التغير حدث في الأطعمة كذلك فصار الكثير من الناس تعتمد في أكلاتها على أكلات سريعة التحضير حتى إن طرق الأكل تغيرت فبعد أن كانت تتبع فيها الأسر والعائلات برتوكولات معينة صارت تتناول دون برتوكولات لدرجة أن الناس صارت تتناول أكلها وهي تسير في الشارع أو وهي واقفة في ناصية الشارع. إنها التكنولوجيا والعلم والذي ربما يرجعنا إلى الوراء إلى عيشة الإنسان البدائي. تميزت عدد من دور النشر في الستينات والسبعينات عربياً وليبيا وكان عدد كبير من القراء والمثقفين يعتمدون على هذه الدور اعتماداً كبيراً لمصداقية هذه الدور وجودة طباعتها حيث كانت وكما أشير تلتزم بالقيمة الإبداعية للكتاب المنشور لدرجة أن هناك كتاب وشعراء عرب مبتدئين يدفعون مقابل مادي للموافقة على طباعة كتبهم لديها، لقد ساهمت الكثير من دور النشر تلك في نشر الكثير من كتب الكتاب ولكن آثار الثورة التكنولوجية ساهمت في بروز العديد من المشاكل بين الكاتب والناشر، حاول اتحاد الناشرين العرب تنظيم العلاقة بين الكاتب والناشر إلا ان جهوده لم تكن لها نتائج تذكر. وقد أشير بأن غياب المنافسة أمام الكاتب جعل دور النشر مسيطرة وتتحكم في النشر، ويشير الناشرون بأن هناك أسباب تجعل منهم يغيرون من سياساتهم في عملية النشر منها الاتي- :

1. تراجع القراءة في الوطن العربي.
2. صعوبة تسويق الكتب.
3. البعض يعتبر عملية النشر خاسرة.

وقد فند البعض النقاط الثالثة ببروز دور نشر جديدة، ومشاركة الكثير من دور النشر في المعارض التي تقام بين فترة

وأخرى. في دور النشر الرسمية التي حافظت على دفع تعويض مادي على أساس الكلمة للكاتب، كانت الكثير من هذه الدور تعاني من مشكلة تسويق مطبوعاتها بسبب بيروقراطيتها وتقليل نفقاتها المادية وسوء جودة الطباعة والإخراج الفني، كل هذه الأسباب تدفع بعض الكتاب حتى عندما تتاح لهم فرصة النشر في هذه الدور إلى أن يختاروا دور نشر خاصة .(20) .

ثالثا: العلاقة بين الناشر والكاتب في ليبيا

في أواخر القرن التاسع عشر ظهرت الإرهاصات الأولى للنشر في ليبيا حيث نشرت أول صحيفة ليبية رسمية عام 1866م الموافق 1283 م باللغتين التركية والعربية، كما تم صدور الحولية أو الكتاب السنوي (السالنامة) والذي نشر عام 1869م، كما تم نشر صحيفة (الترقي) الأسبوعية عام 1897م من قبل الشيخ محمد البوصيري وهي تعتبر أول صحيفة شعبية أهلية، كما طبع أول كتاب تاريخي ليبي في عام 1899م وهو كتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب من تأليف احمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي وكانت دار النشر التي نشرته بإسطنبول. وقد أشير بأن النشر في ليبيا مر بمرحلتين الأولى قبل الدستور العثماني لسنة 1908م والتي تميز فيها النشر بالرسمية حيث كانت المطبوعات من صحف وجرائد خاضعة للولاة وينشر ما يريدونه وما ينشر يتمشى مع سياسة الولاة مع انفتاح ضئيل جداً والذي كان تحت رقابة الدولة العثمانية متمشي مع تطلعات الرأي العام .(21)

أما المرحلة الثانية وهي بعد دستور عام 1908م حيث سمح الدستور بحرية النشر، وقد تعددت وسائل النشر وازدهرت إمكاناتها وهذه المرحلة وكما أشير كان عمرها قصير بعد أن تخلى العثمانيون عن الولايات الثلاثة في نهاية عام 1911م، بعد ذلك بدأت حركة النشر ضعيفة حيث أشير من أسباب ذلك هو عدم توفر دور نشر وهذا بدوره أدى إلى تعثر الحركة الثقافية، بعد ذلك ظهرت دور نشر متكيفة مع الاحتلال الايطالي، وظهر كتاب استخدموا الحيل لإخفاء نزعاتها الوطنية، وكانت قوات الاحتلال الإيطالي تتدخل في عملية النشر فيما يكتبه الكتاب بحذف مواضيع وإلغاء أخرى، كما ظهر كتاب التزموا بالصراحة وقد تعرضوا لعواقب بسبب هذا الالتزام وهذه الصراحة كانت سبباً في نفيهم أو سجنهم .(22)

في الستينات والسبعينات من القرن العشرين برزت دور نشر في ليبيا وصارت

تعادل بعض دور النشر العربية الشهيرة كدور النشر في بيروت بلبنان ودور النشر في مصر من تلك الدور دار الفرجاني للنشر والتوزيع التي كانت من أهم دور النشر في ليبيا وكانت علاقتها حميمة مع الكتاب والمؤلفين، وكذلك كانت هناك دار مكتبة الأندلس، ودار المصراتي للطباعة والنشر، ودار الحقيقة للنشر والتوزيع وغيرها وقد ساهمت هذه الدور وغيرها من دور النشر في احتفاظ ليبيا بالكثير من مقومات هويتها ناهيك عن وسائل النشر الأخرى غير الورقية مثل الراديو والتلفزيون، كما ساهمت في إبراز كتاب وشعراء أمثال الصادق النيهوم وخليفة الفاخري والتكبالي ومصطفى المصراتي وعلي صدقي عبد القادر وحسن السوسي وخليفة التليسي وغيرهم، وعقب تطور وسائل النشر وانتشار الكثير من دور النشر الربحية في ليبيا وارتفاع أسعار النشر الورقي قل دور الناشر في مساندة الكاتب الأمر الذي أدى إلى عدم نشر الثقافة الليبية وهويتها بشكل جيد وصارت العلاقة بين الكاتب والناشر علاقة تجارية فيها بيع وشراء بدل ما تكون علاقة لنشر الثقافة.

كما ظهرت في ليبيا منذ الثمانينات دور نشر عامة تنشر للكتاب بدون مقابل تميزت بعدم الرقابة على ما ينشر من ناحية اللغة والأسلوب، ورغم أن هذه الدور مكنت بعض من الكتاب من نشر كتابهم إلا أنها أتاحت نشر كتب لأشخاص ليس لهم أفكار أو ملكة الكتابة حيث ظهرت المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ومطابع الثورة ودار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلان، كما برزت وسيلة نشر كبيرة تضخ لها أموال طائلة بدون مردود مادي مناسب هو مركز دراسات الكتاب الأخضر الذي أتاح لبعض الكتاب النشر فيه وهو متخصص لفكر واحد ومتخصص في نشر فكر معين وكانت العلاقة بينه وبين من ينشرون فيه علاقة جيدة بسبب المزايا المادية والمعنوية التي يتحصلون عليها جراء نشرهم في هذا المركز. بعد الألفية الثانية صار هناك تنافر كبير بين الكتاب ودور النشر في ليبيا بما فيهم الكتاب الذين اعتمدوا على النشر في الصحف والمجلات الرسمية أو البحث عن معارف للنشر في دور النشر الرسمية الأخرى والتي صارت هي الأخرى تتآكل بسبب الكساد الثقافي في ليبيا وهبوب إشعاعات الثورة التكنولوجية.

رابعاً: النتائج والتوصيات:

لقد أوضحت لنا الدراسة بأن هناك تحديات كثيرة واجهت الكاتب والناشر على السواء وقد أبرزتها نتائج الدراسة، أما معالجات هذه التحديات فقد جاءت في التوصيات.

أ- النتائج:

من خلال ما تقدم من الدراسة اتضح الآتي- :

1- أن التقدم في وسائل النشر الذي أحدثته الثورة التكنولوجية كان من أهم أسباب توتر العلاقة بين الكاتب والناشر الورقي.

2- أن مشكلة الكاتب والناشر والعلاقة المتأزمة بينهما هو بسبب المقابل المادي وما حدث من انقلاب في جمهور القراء وبروز قراء جدد لم يعرفوا قراءة الأعمال الورقية خاصة الجيل الذي ظهر بعد الثورة في عالم التكنولوجيا والذي صار يعتمد في ثقافته على الصوت والصورة والأعمال المكتوبة القصيرة والتي تمثلها المنشورات أو التغريدات التي تظهرها وسائل التواصل الاجتماعي وبعض المواقع الإلكترونية الأخرى وهذا يشكل خطراً على الهوية الاجتماعية والتي تضم الهوية الثقافية والسياسية للدولة.

3- صعوبة النشر الورقي في الوقت الحالي بسبب ارتفاع تكلفة النشر الورقي وعزوف القراء عن القراءة الورقية خاصة الطويلة.

4- أن النشر والناشرين أنواع وأسرعهم وأسهلهم النشر الإلكتروني.

5- النشر الورقي ذو أهمية كبيرة وهو يعتبر وثيقة ليس بالإمكان تزويرها واختراقها وطمسها أو إلغاءها أما النشر الإلكتروني وغيره فيمكن اختراقه وطمسه وتزويره وحذفه.

6- أن العلاقة بين الناشر الورقي والكاتب هي علاقة متأزمة بسبب الظروف والتغيرات التي حدثت في عالم النشر والتطور في وسائله بعد الثورة التكنولوجية وفي المقابل نجد أن العلاقة بين الكاتب والناشر الإلكتروني شبه جيدة والمستفيد الأكبر هو الناشر الإلكتروني.

7- أن كلا من الناشر والكاتب كانت من مهامهم المحافظة على الهوية الاجتماعية للدولة.

8- أن لكل من الناشر سواء كان ورقي أو إلكتروني والكاتب أهمية في نشر سياساتنا وهويتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية بين الأجيال المستقبلية وهما لهما دور في حماية أمننا الثقافي في ظل الغزو الثقافي الذي يجتاح كافة دول العالم.

ب- التوصيات:

من خلال ما تقدم من نتائج فان الدراسة توصي بالآتي- :

1- يتطلب من الدولة والمؤسسة أو الوزارة التي تعنى بالثقافة والمعرفة أن تضع خطة

تحمي فيها الكاتب والناشر الورقي على السواء من خلال دعم الكاتب والناشر على غرار دعم الوقود والسلع المدعوة الأخرى.

2- في الوقت الحالي يتطلب من الدولة من خلال المؤسسة التي تعنى بالثقافة ونشرها أن تساهم في التدخل لحماية كلا من الناشر الورقي والكاتب من خلال تقديم الدعم اللازم مثل تسهيل مستلزمات التشغيل للناشر وإعفاءها من الضرائب ودعمها، شراء نصف إنتاج الكاتب المطبوع بما يغطي تكاليف الطبع وجهود الكاتب .

3- على المؤسسة التي ينتسب إليها الكاتب والتي تعنى بمشاكله وهمومه كرابطة الأدباء والكتاب أن تثير مشكلة الكاتب ومؤلفاته ليتحصل على الدعم وتساهم مع المؤسسة الحكومية التي تعنى بنشر المعرفة والثقافة في دعم الناشر الورقي والكاتب من أجل أن تستمر الحركة الثقافية في ليبيا حماية للأمن الثقافي الليبي.

4- أن تكون هناك اتفاقية معدة من المؤسسة الحكومية التي تعنى بالكتاب والثقافة بين الناشر والكاتب.

5- أن يتم التركيز على النشر الورقي لأن ما ينشره يعد وثيقة أصلية لا يمكن اختراقها أو تزويرها أو حذفها وهو بذلك أفضل من النشر الإلكتروني.

6- أن تفعل الدولة المؤسسات والشركات العامة ومراكز الأبحاث التي تعنى بالنشر الورقي مثل الشركة العامة للورقة والطباعة والدور المختلفة التي كانت تتبع الدولة والتي هي شبه متوقفة وأن تتبنى نشر مؤلفات الكتاب التي ينطبق عليها شروط النشر حتى يتم حماية هويتنا وأمنا الثقافي خاصة وأن هناك شركات ومراكز كانت تعنى بالنشر وصرفت لها ميزانيات بالمليارات كانت تعنى بمؤلفات أشخاص معينين يكتبون في قضايا معينة ذات مسار واحد لم تمثل الهوية الليبية وليس لها دور في حماية أمننا الثقافي.

الهوامش والمراجع:

1- الرازي، الأمام محمد بن أبي بكر عبد القادر، 1975، مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ص 562.

2 "-كاتب "، تاريخ الاسترجاع 2021/5/5، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

3"-العلاقة بين المؤلف والناشر"، تاريخ الاسترجاع 2021/5/4، https://www.almasriah.com/%D8%A7

4 "-كاتب "، تاريخ الاسترجاع 2021/4/27، https:// www.marefa,org
5-الرازي، الأمام محمد بن أبي بكر عبد القادر، مرجع سابق، ص 660.
6" -العلاقة بين المؤلف والناشر"، https://www.almasriah.com، مرجع سابق.
7- المرجع السابق.
8"- ما هو النشر الإلكتروني"، تاريخ الاسترجاع 2021/5/8، https://anwan.me/ea8e93596cfa.
9 -المرجع السابق.
10- المرجع السابق .
11- معروف، ناجي، 1975، أصالة الحضارة العربية، ط3، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ص434.
12- المرجع السابق، ص، ص 437، 438.
13- المرجع السابق، ص 440.
14- المرجع السابق، ص451.
15- بطرس، أنطوان، 1994، الثورات العلمية العظمى في القرن العشرين، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت، لبنان، ص - ص 203، 398.
16- حسني، حازم احمد، ثورة المعلومات والاتصالات في موسوعة أحداث القرن العشرين، الجزء الأول، (القاهرة – مصر: دار المستقبل العربي، 2000 م)، ص – ص 221- 252.
17- سليم، محمد السيد، 2002، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص495.
18- سليم، محمد السيد، مرجع سابق، ص 497.
19- والت ديزني،" اوزوالد الأرنب المحظوظ"، تاريخ الاسترجاع 2021/4/16، https://ar.wikipedia.org/wiki
20- "الثقة المفقودة بين الكاتب والناشر والحاجة إلى قوانين تنظم العلاقة، تاريخ الاسترجاع 2021/5/8، https://alarab.co.uk/
21- الكيب، نجم الدين غالب، ابريل 1968، دراسات في الأدب والفن، ط1، دار مكتبة الأندلس، بنغازي، ليبيا، ص 28.
22- المرجع السابق، ص30.

المسؤولية مُشتركة

ضمن المحور الأول:

النشر في ليبيا بين الواقع والمأمول

عبدالحكيم عامر الطويل

لا أجد مشاكل النشر في بلادنا تنحصر في ضعف قدرات الناشر أو عدم استعماله لوسائل التسويق العلمية الحديثة فقط، وإنما أرى أن المسؤولية مشتركة (وإن كانت بتفاوت) ما بين الكاتب والناشر والقارئ، فكلٌ له مساهمته الخاصة :

أولاً: مشاكل الكاتب:

هناك حقيقة قد يحاول البعض التغاضي عنها أو إنكارها أو تناسيها حسب قربه أو بعده من الكتاب وهي أن الكاتب الليبي في العموم بالكاد يتمكن من استرداد تكاليف نشره لكتابه! فإذا نجح في أن ينال كتابه موافقة الجهات الرسمية فإنه عادة ما تكون مكافأة النشر هزيلة مقارنة بجهده، هذا إذا تجاوزنا ضعف جودة الطباعة لدى بعض المؤسسات بعكس آمال الكاتب، مما دفع ببعض الكُتَّاب في السنوات الأخيرة إلى نشر نتاجه على حسابه الخاص بطبعات قليلة جداً، دون أن يكون لديه كبير أمل في هامش ربح، بل صار كل أمله هو توثيق معلومات كتابه للتاريخ ونسب جهد جمعها إليه قبل أن تنسب لغيره ومحاولة استرداد بعض ما دفع من تكاليف طباعته، أما الإقبال على كتابه فيكون عادة من الأصدقاء والأقارب، كبادرة حسن نية وتشجيع منهم بالدرجة الأولى وليس بالضرورة اعتراف منهم باستحقاق كتابه للقراءة! ومع ذلك فأغلب النسخ التي يقتنونها تكون هدية مجانية من الكاتب لا بشرائها، الذي كان ليدعمه ويشجعه فعلاً لا مجاملة! فهل هناك حقاً قارئ ليبي؟

من الصعب إلغاء شريحة القُرَّاء في ليبيا، فمهما كانت الظروف هناك دائماً قارئات وقراء رائعون أُدرك وجودهم أساساً من مواقع الفيس ومن خلال أمسيات وبرامج وسائل الإعلام الثقافية، غير أن قلة عددهم هو المشكلة، فلماذا هم قليلون؟ ربما لاستمرار تفشي "الأمية المُقَنَّعة" بالشهادات التعليمية، وربما لأن ما يُعرض أمامهم لا يتوافق مع مطالبهم، فماذا يهم القارئ الليبي إذاً بالدرجة الأولى؟

إذا وضعنا مبيعات معارض الكتاب التي كانت تُقام سنوياً في بلادنا معياراً أميناً فربما نجد الإجابة واضحة منذ سنين: الكتب الدينية والمنهجية والفضائح السياسية وتفسير الأحلام والمطبخ، ومؤخراً ازدهر بشكل يسعدني على أي حال اقتناء الروايات، سواء المترجمة أو الوطنية، (ولا أدري لماذا بصدق!)، فهل يمكن بناءاً على هذه الإحصائيات القول بأن تقييمنا للقارئ الليبي كان منذ البداية كان غير صحيح؟ أقصد هل أخطأ الكاتب والناشر في تقديم ما لا تطلبه غالبية القراء في ليبيا؟

شخصياً لاحظت أن الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - التي كانت تحتكر النشر والتوزيع والإعلان في بلادنا منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي وحتى إفلاس وريثتها "الدار الجماهيرية" في 2004 - كان لها نشاط كبير في نشر الكتب السياسية الموجهة والمنهجية والشعرية إلى حد التخمة، غير أنه بالمقابل لا تجد هذه الكتب الرواج الذي يتناسب مع ضخامة إنتاجها، حتى أن أحد مسؤولي النشر فيها رجاني ألا يكون الكتاب الذي سأقدمه له لنشره كتاب شِعري! وحينما استغربت منه قوله بحكم أنني أرى ازدهار طباعتها من قِبَل الشركة أخبرني بأنها تُعد من ضمن كتب الترضية "الميتة" تسويقياً حتى أنها راكدة تزدحم بها مخازن الدار!! فماذا تعني هذه المتباينة (تخمة في النشر/موت في التسويق)؟

لا أريد هنا أن أحقق في أساليب الشركة/الدار الاحترافية في تسويق إنتاجها، فسأترك ذلك للمتخصصين، غير أنني أشعر من ناحية استسهال الكثير من كاتباتنا وكتابنا خوض التجربة الشعرية على حساب ألوان الآداب والعلوم الأخرى، حتى بالرغم من عدم إقبال الكثير من القراء الليبيين على شرائها حسب إحصائيات مخازن هذا الناشر الاحتكاري في وقته، من ناحية أخرى أظن أن ليس هناك الكثير من الكُتَّاب الليبيين الذين كتبوا في مجالات أخرى يرغب القارئ الليبي في اقتنائها، وإنني هنا أتذكر تجربة شخصية لي في هذا الشأن مع هذه الشركة :

إذ كم دُهِشت حينما نفذت الطبعة الأولى (1991) من كتابي "الطاقة النووية في بيتك"! أتذكر أنني في معرض الكتاب الذي عرض فيها كتابي هذا للمرة الأولى زُرت جناح الناشر وتعمدت أن لا أفصح عن هويتي، ثم سألته عن مدى رغبة الرواد فيه، فأذهلني بأنهم أتوا بصندوق منه فنفذ في يومه الأول، ثم أتوا بصندوق آخر في مساء ذات اليوم وهو يكاد ينفذ! إذاً هناك الكثيرون في مجتمعنا من لا يحبون الكتاب فقط بل حتى الكتاب العِلمي، وإن كان كتابي هذا في حقيقته كتاب تثقيفي لا منهجي، فهل سبب الإقبال عليه هو لأنه كان سهل العبارة متخم بالصور خال من المصطلحات والمعادلات العلمية؟

لاحظت كذلك ترحيب جيد من رواد أمسياتي بالمواضيع التاريخية والأثرية يصل إلى حد أن بعضهم يهرع إلى المنصة في ختام الأمسية ليحضنني تقديراً منه على الفائدة التي حصل عليها، ولا يمكنني نسيان أن كتابي عن تاريخ وآثار مدينة الرجبان الصادر سنة 2011 قد نفد منذ سنوات ومازال الطلب عليه مستمر، كما مازال الطلب مستمراً على كتابي الآخر عن تاريخ وأثرية مقبرة طرابلس البروتستانتية الصادر في 2008 رغم نفاذه هو أيضاً تقريباً، إن هذه النتائج العملية أكدت لي عشق الليبي للكتاب التاريخي على الأقل، لكنه بالتأكيد ليس عشق لذلك المنهجي الأكاديمي وإنما ما يجد فيه لمس لتاريخ أسرته وقبيلته أو مدينته أو ذكرياته الجميلة.

فهل هي مسؤولية الكاتب الليبي في ضعف حركة النشر حينما يعمل على مخاطبة نفسه في كتبه لا مخاطبة الغير الذي يختلف عنه في الاهتمام واللغة وحتى مستوى الفهم؟ إنني هنا أتذكر من جلسات زملاء العمل والمناسبات الاجتماعية منذ سنوات قبل ظهور اليوتيوب بأن هناك العديد من المواضيع التي تهمهم لكنهم لا يجدون كتاب ليبي يجيبهم عنها بظروفنا ولغتنا، على سبيل المثال لا الحصر علمت أن العديد منهم كان يتمنى أن يجد كتب للأطفال رخيصة الثمن تخاطبهم وفق لهجاتنا وعاداتنا وتاريخنا ومستقبلنا نحن، أو كتب عن هوايات يغرم بها الليبيين وكيف يمكن أن يبرعوا فيها، وعن الصيانات التي بإمكانهم إجراءها لأجهزتهم الشخصية، وعن التاريخ الرياضي خاصة، وكيفية ضمان النجاح الوظيفي، بعضهم أخبرني أنه لا يجد أي كتاب يُبَسِّط له قانون وإشارات المرور وقوانين الشؤون العائلية، فلا يجد غير تلك الأكاديمية الثقيلة.

هل هذا يعني أن حركة النشر في ليبيا ستروج وتزدهر إذا ركزت الكاتبات والكتاب

على ما يهم القارئ الليبي لا ما يهمهم هم شخصياً؟ أظن أن ذلك صحيح إلى حد كبير، فهل هذا يعني أنني أضع مسؤولية ضعف حركة النشر في بلادنا على كاتباتنا وكتابنا؟ لا! لأنني أظن أن هناك عقبة كبيرة أخرى في انتظار الكتاب الليبي وهي إحدى أهم مشكلات نشره في تقديري :

ثانياً: مشاكل الناشر:

كثيراً ما استوقفتني إحصائية قرأتها منذ سنوات تفيد بأن ما تنشره دولة أوروبية واحدة وهي أسبانيا في السنة الواحدة يعادل ما تنشره كل الدول العربية في سنة واحدة كذلك! فهل هذا الفيضان في نشر الكتب سببه شعب قارئ أم رخص في الطباعة؟ بالتأكيد الشعوب الأوروبية شعوب قارئة نهمة، غير أن الفارق بين تكلفة طباعة الكتاب عندهم وعندنا هو فارق شاسع، فتكاليف الطباعة والتوزيع باهظة في بلادنا وتزداد سنوياً، لأنها كلها تحتكم إلى سعر الدولار العالمي مقابل الصرف المحلي، وفي الوقت الذي كان الدولار في عهد احتكار الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان في حدود ثلث الدينار، وصلت قيمته اليوم 17 ضعف! (من 0.3 إلى 5 دينار)، أفلا يعني هذا أن على الناشر تحمل 17 ضعف التكاليف التي كانت متاحة للشركة العامة؟

أظن أنه لهذا السبب تتردد الكثير من دور النشر الوطنية – الخاصة بالذات – في خوض تحدي نشر الكتاب أي كتاب، وهي في ذلك استنبطت عدة حلول ترى أنها تُحقق لها الربح وسط هذه البيئة الجدباء:

1. إقرار مكافأة هزيلة تدفعها كاملة مع توقيع العقد، فلا يدري الكاتب بعدها أي شيء عن أرباح الدار من كتابه بعد ذلك،

2. تؤخر دفع المكافأة على أقساط بحجة الصعوبات التي يواجهها الناشر في التسويق والإعلان والنقل،

3. بعض مؤسسات الدولة مؤخراً بدأت تمنح صكوك بدون رصيد جاعلة الكاتب يعيش على أمل إلى حين توفره !

4. وقد لا يدفع الناشر شيء بحجة أن الكتاب لم يجد قبولاً لدى القراء! أو على النقيض بحجة أنه يريد تَحَمُّل كافة تكاليف طباعته ونشره تشجيعاً منه للأقلام الجديدة !

وحتى لا يعترض الكاتب يضيف بعض الناشرين هذه الشروط المجحفة ضمن مواد العقد المبرم بينهما، والكثير من الكتاب قد يوافق على مضض دون أن يعلم ما إذا كانت هذه الحجج صحيحة أم أنها لتحقيق أكبر قدر من الربح للناشر في أقصر وقت ممكن، مما يفتت عزيمة

الكاتب ويقلل من رغبته في الكتابة ناهيك عن محاولة نشر ما عنده من أعمال أخرى،

5. انتقاء شخصية الكاتب بحيث يقتصر خيارها على المشاهير – ولا يهم الدار هنا جودة منتوجه- كأن يكون مسؤول كبير في الدولة أو من المقربين منه، سواء كان المسؤول الحالي أو حتى السابق! أو يكون أحد كتاب المهجر من الذين نالوا شهرة في المهجر، أو قد يكون من ضمن أقارب أو أصدقاء الناشر، فيستثمر الناشر هذه المعرفة في ترويج كتابه الذي قرر أن يتحمل تكاليفه،

6. إعادة طباعة كتب تنال شهرة في السوق – وليس بالضرورة أن تكون ذات جودة - دون شراء حقوقها أو أخذ الإذن من ناشرها الأصلي، وعادة ما تكون هذه الكتب تعليمية .

ومع ذلك لابد لي من القول بوجود بعض دور النشر المحلية - ولا أتردد في أن أخص بالذكر المركز الليبي للدراسات والمحفوظات التاريخية العام (مركز الجهاد سابقاً) - حيث لم ينظر إلا إلى جِدَّة الكتاب وموضوعيته وإثراءه للمكتبة الليبية التاريخية، وهو في ذلك نجح في نشر المئات من الكتب القيمة جداً للتاريخ الليبي دون الإخلال بجودة طباعتها بل وفخامتها في أغلب ما نشر، وإن ظلت عقبة المكافأة الرمزية تتواصل معه لظروف استثنائية واجهته لا أظنها تخفي اليوم عن أي مهتم.

فماذا عن النشر الإلكتروني؟ ألا يمكن أن يكون بديلاً جيداً لمجابهة ارتفاع تكاليف الطباعة؟

بكل أسف أظن أن هناك أمية بدرجة ما منتشرة بشأن أهمية هذا النشر، فمازال الكثيرون لا يرون الكتاب إلا الورقي (وأنا منهم بصراحة!)، ومن المؤسف أن الكثير من الكُتَّاب لا يدري شيء عن فنون النشر الإلكتروني، لكن ربما هي ليست أمية بقدر ما هو إدراك من المؤلف والناشر بتخلف معاملات تحويل الأموال في مصارفنا، والتي تعيق بشكل كبير انسياب الأرباح إليهما بيسر، فلا يمكن تقريباً تحويل أرباح بيع الكتاب الإلكتروني إلى حساب الكاتب من الخارج إلى الداخل لأن ميزة التحويل في بلادنا متخلفة جداً حتى عن الدول المجاورة، وحتى إن وجدت فإنها تعتمد على العلاقات الشخصية عبر مكاتب تجارة العملة الخاصة، والتي تستهلك نصف المكافأة تقريبا في تحويلاتها .

ثالثاً: مشاكل القارئ:

حقيقة لا يمكن تجاهلها: بشكل عام يتناسب نشاط النشر طردياً مع قوة حب

القراءة في المجتمع الذي يستهدفه الناشر، ولهذا نجد أن هناك كاتبات وكُتَّاب وناشرون من أصحاب الملايين في أوروبا وأمريكا، تصل كتاباتهم حتى إلى السينما العالمية فتتحول إلى أفلام يحلبون منها الكثير كشركاء فيها، بذات المعيار قل ما نجد كاتبات وكُتَّاب عرب أو أفارقة نالوا هذه الحظوة في داخل بلدانهم، وإنني لا أرى هذا الفارق إلا بسبب رجوح كفة القراء بثقل كبير في أوروبا وأمريكا بغض النظر عن الأسباب الأخرى، فمن سفرياتي إلى أوروبا لاحظت ذلك الشغف الكبير بالقراءة لدى المواطن العادي عندهم، فهو يقرأ أثناء جلوسه في القطار أو في محطته أثناء انتظاره له، كما لاحظت شغفهم هذا في المطار أثناء انتظار الصعود وكذلك في المقاهي، التي ننغمس نحن فيها بشرب النارجيلة مثلاً!

فما سبب قلة شريحة القراء عندنا؟ أظن أن السبب الرئيس هو وجود درجة مما أُسميه "أُمِّية مُقَنَّعة" حتى ما بين الحاصلين على الشهادات التعليمية، وعلى أي حال فالكثيرون منا يدركون أن الكثير من هذه الشهادات لم يتحصل عليها أصحابها بجهودهم الشخصية وإنما عبر العلاقات الشخصية والرشوة، وحتى بشرائها عبر عالم الشابكة، غير أنني أندهش دائماً من عدم ولوع الكثير من الأساتذة الجامعيين والبحاث العلميين من حملة الشهادات العليا بالقراءة أُسوة ببعض إخواننا العرب من حملة الشهادات العليا الذين نلتقيهم في مناشط أدبية وثقافية إقليمية ودولية، فلا يكاد اهتمام حملة الشهادات العليا عندنا يخرج عن تخصصهم العلمي، مع بعض الاهتمام بالكتاب الديني والسياسي، بالطبع لا يحق لي التحدث باسمهم لكنني أظن أن هذه إحدى العلامات الفارقة بين المتعلم والمثقف، ولأن بعضهم لا كلهم كان نتاج جيل الأميين ضحايا الاستعمار والحروب قبل الاستقلال، حيث انحصر اهتمامهم بالقراءة لمجرد الحصول على شهادة تعليمية بغرض التوظيف وكسب المال ليس إلا، أي أن القراءة في نظر هؤلاء ليست هواية ولا إشباع نفسي بقدر ما هي مجرد وسيلة لكسب المال، بالتالي لا نتوقع منهم تنشيط حركة النشر المأمولة في بلادنا عبر الانخراط في هواية قراءة الكتب الثقافية والعلمية.

غير أن هذا لا يعني أن القراء الليبيين في عمومهم يمتنعون عن قراءة المُبهج والمفيد إذا كان متاح لهم، فباستعراض سريع لعناوين أي كتب في أي مكتبة ليبية عامة نلمس ليس فقط غياب هذه الكتب بل انقطاع ورودها منذ عقود عديدة مضت! وهي حقيقة بالنسبة لي لمستها

شخصياً من خلال ارتيادي لعشرات المكتبات العامة طوال عمري، فهناك ندرة للكتاب المشوق سهل العبارة غير الأكاديمي ولا الجاف القريب من الهوايات والاهتمامات الشخصية، لكن حتى إن وجد – وذلك قليل حسب تجربتي - فسيكون مستورد يخاطب مجتمعات وعقول وأهداف أخرى ليست قريبة منا، وبتكلفته باهظة كذلك للأسف، بالتالي من الطبيعي أن لن يرتاد القارئ الليبي المكتبات حتى وإن حاولت معالجة هذا العيب، فعودة الإقبال بحاجة إلى عقود متواصلة من نشر الكتب الليبية المبهجة المشوقة التي تُجيب أسئلته ومطالبه .

فهل الحل يكمن في منح الناشر المزيد من الحرية في انتقاء مواضيعه ولو كانت مبتذلة عملاً بقاعدة تحرير الأسواق التجارية بحيث تعتمد على قاعدة العرض والطلب فقط؟ أم أن الحل هو في إعادة سيطرة الدولة على النشر وتوجيهه نحو الارتقاء بذائقة القراءة المحلية؟

بصراحة لست مؤيداً لفتح أبواب حرية النشر على مصراعيه بلا قيود، فهذا باب خطير لدخول الأفكار المتطرفة والتافهة غير المناسبة لظروفنا وتراثنا الشعبي، ومن المحتمل جداً أن يكون تأثيرها سريع وكبير في مجتمع بسيط مازال يعاني من الكثير من المعتقدات الأسطورية الخاطئة التي تجاوزها العصر، لذا أظن لابد من أن تستمر رقابة المطبوعات الرسمية غير أنه يجب أن نركز على تطوير هذه الرقابة والرفع من جودة نوعيتها بحيث تكون رقابة المحتوى لا الشخوص ولا السياسات ومن يعتنقها، فلا تسمح إلا بالكتاب القيم التنويري التنموي الذي يساهم في تنمية مجتمعنا من كافة نواحيه، هذا طبعاً لو توفقت أعلى سلطات الدولة في اختيار خبرات محترفة مثقفة وطنية نزيهة لتولي مسؤوليات الثقافة والنشر، فهذه بإمكانها تغيير الواقع المُزري الحالي جذرياً، لأن الخبرات الوطنية المثقفة غير الضعيفة ولا المتسلقة ولا المؤدلجة (وهي عينات نادرة جداً في تقديري للأسف) ستتولى مسؤولية كشف المواهب الأصيلة بداية من أقاصي قُرانا قبل مدننا والدفع بها بلا تردد، وستبتعد عن التسويق لبطانة متسلقي الثقافة الذين يخفضون من مكانة ثقافتنا الوطنية في معارض هذه القرية العالمية الصغيرة ولا تفيدها.

أخيراً أظن أنه حان وقت إنشاء "مؤسسة رسمية" تُعنى بترجمة روائع الكتب الليبية إلى جميع لغات الأمم المتحدة الرسمية الأخرى غير العربية وهي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية، لا انتظار الصدفة والعلاقات الشخصية

لتحقيق ذلك مثلما يحدث الآن، من ناحية لكي يتعرف الآخرون على شهداء الكلمة الراقية في ليبيا المغمورين وفي ذلك إثراء لا شك فيه لحركة التأليف والنشر الوطنية عبر فتح أسواق عالمية لها قد تجد ازدهار أكبر بكثير من الداخل، ومن ناحية أخرى هي وسيلة لجذب المزيد من القراء المحليين أنفسهم للنسخة العربية الأصلية المترجمة (ولو من باب الفضول!) فنحن للأسف مازلنا لا نعترف إلا بقدرات الناجحين منا في الخارج.

2021/05/09

النشر والناشرون في ليبيا

سعاد الورفلي

يُعدُّ النشرُ من أهم الوسائل التي تُسْهِم في رسم وبناء معالم حضارة المجتمعات وتقدمها؛ لما له من أهمية كبيرة في إيصال المعرفة والثقافات المتنوعة وجعلها في متناول الجميع، فمنذ القدم كانت القراءة هي العهدة التي نشأ الفكر الإنساني وهو يتقلب بين جنباتها، وبدونها لا يمكن أن يحقق الإنسان أي تقدم فكري ثقافي ملحوظ، ومن خلال المتابعات المتنوعة في دول كثيرة سنجد أنهم يولون اهتماماً كبيراً بالقراءة ويدعمونها بكافة السبل والوسائل حتى أصبحت متاحة للكبير والصغير وجميع المستويات، وأشرقت شمسها ساطعة دون غيوم أو ضبابية، مما أدى ذلك إلى بناء دعامات مجتمع يطمح لآفاق أوسع وأعلى، وصارت تلك المجتمعات بانفتاحها الفكري وتنوعه وتعدده تستقبل دون أي تردد الآخر وتتفهم ما يحتويه من أفكار مغايرة أو توجهات، نظراً لزخامة الروح الفكرية الناتجة عن أساس قوي بني على أُسِّ القراءة؛ التي ساهمت في توطيدها ودعمها مؤسسات الدولة الثقافية، وبناء صرحٍ قوي للنشر ودور النشر في ربوعها دون حاجة إلى وسائط دخيلة أو أن تجعل المؤلف في تلك البلدان يتكفف-بمخطوطته- دولا خلف البحار والأنهار، وإن كان ذلك ليس عيبا في حد ذاته؛ فالمعرفة هي انتشار والفكر يحتاج إلى أن ينبثق من بوتقته التي تحْجره إلى النور وإلى تقديم ما لديه لكل العالم. وهو مزية في حد ذاته إلا أنه يحسب على الدولة التي لا تهتم بالمثقف، والمؤلف، والكاتب والقارئ بالتقصير والاهتمام .

وقد كان عمل المخطوطات بجميع أنواعها منذ القدم، متمثلة في نسخ الكتب ونشرها من أولى المهام التي أولاها العرب اهتماماً في العصر العباسي حيث كان النسّاخون بمثابة الناشرين اليوم، وهذا الأمر أدى إلى ازدهار الآداب وانتشار العلوم وانفتاح المجتمع على ثقافات الآخرين، وصار التنافس على أشده في توثيق كل ما يتعلق بحياة الناس أو المؤلف أو العالم، أو الفيلسوف-حينذاك-.

وقد تطور الأمر إلى ترجمة آداب الآخرين ونقلها إلى العربية كترجمة كتب الفلاسفة مثل كتاب الشعر لأرسطو، وكتب الطب والعقاقير وغيرها كثير بالإضافة إلى ترجمة الآداب الفارسية والسريانية ككتاب كليلة ودمنة، والعمل على نسخ كل التراجم ونشرها وتداولها، بتشجيع منقطع النظير، وبادرة ازدهار راجت فحققت حضارة عربية كان مركزها بغداد في تأسيس مكتبات وقراء ورواد يأتون من كل بقاع الأرض؛ وينقلون ما توافر من كتب وفكر إلى بلدانهم المتنوعة. فحركة النسخ توسعت امتداداً لذلك الإقبال والدعم الذي يتلقاه الناسخ والمترجم للكتاب حتى صار يُكَافَأُ وزنا بما يترجمه وينقله من كتب إلى الناس والقراء .

ومن حركة النسخ هذه التي تعد بمثابة النشر اليوم راجت حركة التأليف، وتداول الناس المؤلفات واحتفظوا بكثير من الدواوين، والمخطوطات، وصارت لديهم أثمن من المكتنزات الأخرى، وقد أدى إلى هذا الأمر دور النشر وما له من أهمية في وصول كثير من الكتب والعلوم والآداب منذ العصور القديمة حتى وصلت إلى أيدينا في هذا العصر؛ كل ذلك كان بفضل حركة النشر الواسعة وقاعدتها العريضة التي ركزت على أهمية النشر وانتشار المعرفة والأدب والكلمة، بينما هذه المؤلفات وصل عمرها آلاف السنين رغم ضآلة الإمكانيات وبساطتها، غير أن العمل الإنساني النبيل الذي يرسخ لتمكين الكتاب ووصوله إلى أكبر قدر من البشرية وإيمانه بقيمة القراءة والتوسع المعرفي؛ الأمر الذي جعل من كتب الأمس والتي مر عليها دهر من زمن تفرض قاعدتها في المكتبات العربية، والأوروبية على حد سواء.. بل عملت أرقاما إيداعيه وخزائن خاصة في مكتبات دولية لا يمسها إلا حظوة من الناس، تختص بمخطوطات قديمة وأسرار دفينة.

ثم سرعان ما ركدت حركة النشر والتداول بفعل كثير من العوامل التي مرت بها المنطقة العربية، تداخلت فيها أمور سياسية واقتصادية وصراعات حول استقلالها وغيرها من رهانات كبّلت واقع الأوطان فصار الطموح مقتصرا على بضعة آمال تتلاشى كلما حلت قضية ما. إلى أن اكتشفت الطباعة وانتشرت المطابع بشكل محدود في بعض الدول العربية (سوريا- ومصر- وغيرها..) وبدأت انتعاشة النشر شيئا فشيئا رغم العراقيل ومكابدة المؤلف في إيصال ما لديه من كلمات وأداء رسالته على وجهها الأكمل لكل الناس، كذلك كان الأمر في بداياته مركزا على ظهور الصحف وطباعتها ونشرها بشكل واسع وإقبال القراء عليها، كان بفعل الحركة النشطة

الارتجالية تلك التي عززت نشرا واسعا رغم المثبطات وقلة الإمكانيات. وفي هذه المقالة لسنا بصدد عرض أولويات أو ذكر أمور بعينها بقدر ما يهمنا ما للنشر من دور بارز في المجتمعات والدول.

أما عن عملية النشر في ليبيا بوجود محدود وظاهر لبعض دور النشر على رقعة صغيرة، مع خجل يسير في الحديث عن الدور الحقيقي لدور النشر؛ إلا أن ركود العامل الثقافي للمؤسسات الثقافية بات واضحا للعيان، مع وجود اندفاعات وعروض تكاد أن تكون فردية في إبراز دورها التثقيفي التنموي الفكري في النشر والتوزيع ودعم المبدع، سواء كان ذلك نشرا أو إقامة معارض دورية، أو حركة حقيقية لنشر بعض المطبوعات، والموقف الذي يستحثنا للخوض في هذا الموضوع حيال دور النشر لدينا في ليبيا هو معاناة الكاتب الليبي في نشر إنتاجه الذي يستحق أن ينال نصيبا متميزا من النشر، والعرض والتسويق والترويج له.

فإن كان الموضوع لدينا تقتصر مشكلته على النشر؛ إلا أن هناك بواعث أخرى مدعاة للقلق على مستقبل الكاتب والمؤلف الليبي تكمن في حركة التسويق وإنتاجية الكتاب، الذي لا ينال نصيبه الوافر من سوق الواقع.

لقد أصبح الواقع سوقا للكتاب بكل أشكاله وألوانه ومسمياته، فهناك دور للنشر تعيد طباعة كتبها بصور منقحة ومختلفة، وتعدى الأمر إلى طباعة فاخرة وملونة وورق مميز؛ إضافة إلى عرضه للترجمة والتداول العالمي ورقيا وإلكترونيا عن طريق مواقع البيع والشراء، ولم يتوقف الأمر عند ذلك حتى صار تجديد التعاقد مع المؤلف ودعمه معنويا وماديا.

أما الأمر عندنا يكتفي فيه الكاتب بأن يقبل النزر اليسير من التوفيق في طباعة بضع نسخ لمخطوطه والتوقف عندها حتى حين تداولها في معرض موسمي ما.

ولربما يجد الكتاب طريقه في بعض المكتبات المصغرة والمنتشرة هي الأخرى بشكل ضئيل ومتفاوت وبإمكانيات بسيطة، هذه البعضية تندرج بين قوسين لحاجتنا الماسة إلى مكتبات تكون بمستوى دولي بالمعنى الحقيقي للكتاب، والمثقف العربي على حد سواء. فما الذي ينقصنا؟ أهو المال؟ أم الأقلام؟ أم الإدارة؟

وكل هذه العوامل تسهم في تشكيل حركة نشر قوية في ليبيا تستند إلى الرَّفاه الثقافي، إذا ما وظفت التوظيف الحقيقي وتم الإغداق عليها لدعم الإبداع ولا شيء سواه في بناء ونهضة المجتمع، والمقصود

بالرفاه الثقافي هو سوق تنموية لدور النشر والتوزيع والترجمة ليس على المستوى الداخلي فحسب؛ إنما يكون بالتنسيق مع كثير من المؤسسات والشركات خارج ليبيا وعلى مستوى بلدان عربية وأوربية، بعقد شراكة تهدف لتحسين وضع الكاتب والمبدع الليبي، وبالتالي تحسين الأداء الفعال لمؤسساتنا الثقافية داخل ليبيا تلك التي تعاني هي الأخرى ركودا وضّعفا واضحا لا يخفى على أحد .

إن المؤسسة الثقافية داخل ليبيا على ما تقدمه من أعمال متنوعة لكنها لا ترقى إلى مصاف الأمم التي يقل فيها المورد الاقتصادي، وحين المقارنة مع تلك الدول نجد أن حركة الثقافة ودور النشر تفوق كثيرا وتتفوق علينا بإنتاجها الفكري .

والسؤال الذي لا يبرح أذهاننا ويلح علينا كثيرا هو (لماذا يبدو مستوى دور الثقافة والنشر عندنا ضعيفا، باهتا لا يتمتع بصلاحيات حقيقية تخوله أن يفرض وجوده على الأرض- بينما كنا نطمح أن يطبعَ وينشرَ لدينا كُتَّاب من دول أخرى)؟

والأسوأ من ذلك أن المثقف والكاتب الليبي أصبح يبحث عن دار نشر تتولى مهمة طباعة مخطوطه مقابل منحه رقم إيداع؛ حتى يحظى ذلك المستند برف في إحدى المكتبات، ويدٍ تمسح عنه غبار الانغمار في زحمة الحياة التي جعلت من الكاتب والمفكر يبتعد عن ساحات الثقافة ليجلس في نوادي الحياة يندب حظه العاثر، ويفكر في كيفية كسب المال مقابل القراءة التي صارت هي الأخرى طرفة نادرة في مجتمع لا يأبه بالمثقف ولا بالكاتب والمبدع، ويسند جداره المائل وشجرته التي أثمرت في دول الجوار.

والملاحظ بعين التجرد سيقرأ في الآونة الأخيرة كثيرا من عناوينَ لصحف برزت على الساحة الليبية، لكن لم يكتب لها الاستمرار فما أن تبلغ الصحيفة أوج نضجها وتلقّفها في الشارع الليبي وصبغتها بمظاهر الحياة ومشاركتها هموم المواطن، حتى تترنح وتتفكك دسرها، وتصبح خبرا منسيا لأفعال كانت حقيقية الوقوع. يُعْزى هذا الأمر بل هذا الواقع المؤلم إلى دور المؤسسة الثقافية الفعلي في ترسيخ العمل الثقافي والحفاظ عليه، واحتواء المفكر والمثقف والكاتب، والاهتمام بإنشاء دار نشر وتوزيع، تهتم بأعمال الكتاب والإشراف عليها، وتخصيص مبالغ غير مهولة لإنتاج المبدع الليبي، وفتح قنوات اتصال وتواصل مع الأقلام الليبية ودعمها.

وأن يكون دور وزارة الثقافة الليبية رياديا فعالا في:

-تفعيل مجلات وقصص الأطفال، والعمل على دوامها واستمرارها بطباعتها ونشرها على الدوام دون توقف مفاجئ، عبر مواسم دورية متنوعة على مستوى الأفراد والدولة.

-الاهتمام بالمكتبات ووضع سعر مناسب للكتاب حتى يستطيع الجميع اقتناءه وقراءته، والإقبال عليه في زمن صار فيه رغيف الخبز هو شغل المواطن وهو من حقه في ظل المتغيرات التي جعلت حتى المثقف عازفا عن الإقبال على القراءة والبحث عن الكتاب .

-احتواء الكتّاب الليبيين، بطباعة مخطوطاتهم وتوزيعها داخل وخارج ليبيا، والعمل على ترجمة المتميز منها، مكافأةً للمتميزين. كذلك عمل صالونات أدبية فكرية ثقافية تتناول الأعمال المحلية وقراءتها نقديا وأدبيا وتقديمها وتبسيطها للمتابعين الذين يهمهم الشأن الثقافي. ولا يقتصر الأمر على موسم سنوي في معرض يقام، بل إن الطموح يدعونا لحركة ثقافية مستمرة لا تتوقف عند زمن أو موسم ما .

-تخصيص قناة ثقافية تهتم بمعاناة الكتّاب الليبيين وهموم المثقف، يكون فيها الكتاب والقراء على تواصل مستمر تعرض لكل جديد وكل مطبوعة سواء أكانت صحيفة، أم مجلة، أم برامج متنوعة تهم كل الفئات المثقفة كُتّابا كانوا أم مثقفين.

وأخيرا إن الواقع الثقافي في ليبيا يحتاج اهتماما مكثفا ينال فيه مكانته التي يجب أن تكون بارزة على صعيد محلي ودولي، ولن يتحقق ذلك إلا بتكاثف الجهود والعمل على إنشاء مؤسسة ضخمة تحرص على فاعلية ودور الكتاب وتعزيز قيمته التي يجب أن تكون هي واجهة تشغل نفوسنا وتستحث الجميع على العمل الخلاق من أجل ترسيخ الإبداع ودفع معاناة الكاتب والمبدع الليبي بالوقوف إلى جانبه وتحقيق آماله.

فالمجتمعات المزدهرة ترقى بالأقلام والفكر، وتتقدم بالقراءة التي هي نبض الحياة وشريانها. وليس ذلك كله إلا بروح الكاتب الذي يبث النور في أروقة المكتبات الخاوية على عروشها.

تجربتي مع النشر!!

الناجي الحربي

لم يخطر ببالي في يوم من الأيام أن يكون لي كتاب يحمل اسمي وتتداوله أيدي القراء وتزدان به- كما اعتقد - أرفف المكتبات.. كانت فكرة تكاد تكون بعيدة التحقيق.. كنت أظن فيما أظن أن النشر حق يحتكره عدد محدود من الكتاب الكبار.. وفي الحقيقة لم أحاول النشر أو مجرد السؤال عن دور النشر وكيفية طباعة كتاب.. ولما كنت مهووسا بالمقالة الساخرة لم يدر في خلدي أن أقوم بتجميع القصص التي نشرتها هنا وهناك وعلى نطاق ضيق خلال الصحف المحلية التابعة للمناطق القريبة من مدينة البيضاء.. فقد كانت قصصي التي أكتبها ملتقطة من حالات مجتمع قريتي التي كنت أعيش فيها وهي مسة (أم الداليا) حتى أنني أهديتها أول كتبي.. فقد أوحت لي بالكثير من الأفكار والحكايات والمقالب الطريفة التي تحدث بين الحين والآخر في قرية مسة.

في مطلع تسعينيات القرن العشرين تعرفت على الروائي والقاص الأديب عبد الرسول العريبي عندما زار صحيفة الجبل الأخضر التي يرأسها الأديب سالم الهنداوي وكنت محرراً بها رفقة الأصدقاء محمد بوسويق والصديق بودواره وعبدالجواد عباس والتي كانت لنا المدرسة التي تعلمنا فيها ألف باء الكتابة والصحافة والنافذة التي عن طريقها عرفنا القارئ الكريم وقبلها كانت صحيفة الشلال بالنسبة لي.. وكانت زيارة عبدالرسول العريبي منحة ثقافية لن أنسى فضلها وفضله.. حيث اطلع على نتاجنا وأعجب به وتلقفنا بكل شفافية واحتضن كتاباتنا التي كنت أسخر منها على الأقل على الصعيد الشخصي.. تواصلت مع عبدالرسول الذي اقترح تجميع قصصي واختيار أفضلها للدفع بها كي تنشر بمجلس الثقافة الذي كنت أتصوره محاطاً بهالة خرسانية لا يدخله إلا الكبار.. وبالفعل قمت بتجميع أربع وعشرين قصة قام بطباعتها صديقي اللدود عبدالجواد عباس على الآلة الكاتبة التقليدية، حينها لم تكن لنا دراية بعلم وعالم الكمبيوتر..

خاصة وأن عبدالجواد متمكنا من اللغة ويقبض على أدواتها بحكم التخصص.. بعد إتمامها سلمتها للأديب عبدالرسول دون أن أختار شكل الغلاف لعدم درايتي بالأمور الفنية ولجهلي لأساسيات قام المجلس بتنفيذها.. ولا أكتم سرًا إن قلت إنني لم أكن مصدقا لما يحدث فقد نسيت الفكرة لعدم ترجمتها في مخيلتي البدوية.. بعد فترة تعدت العام تلقيت اتصالا من المسرحي (علي الفلاح) الذي كان يعمل بالمجلس ويبدو أنه كان مسؤولا عن النواحي المتعلقة بتوقيع العقود أو ما شابه ذلك.. وأخبرني بوصول النسخة التجريبية ولا بد من مراجعتها شخصيا.. وكانت مصطلحات الطباعة والنشر جديدة على كاتب مثلي يقطن في أقصى النسيان الثقافي.. أسئلة كثيرة مارست لعبتها البليدة في رأسي وتركت علامات استفهام عجزت في الوصول إلى إجابات عنها ..

المهم وصلت النسخة التجريبية وراجعتها خلال ليلة واحد فقد كانت الأخطاء بسيطة ولا تكاد تذكر بفضل نباهة وشطارة عبدالجواد عباس.. كدت أنسى.. فقد كان مع النسخة التجريبية العقد وصك بمبلغ مالي هو الأول في حياتي الصحفية والثقافية الذي استلمه من جهة اعتبارية.. كنت وقتها (كعابي) فاشتريت به سيارة متهالكة وخارج نطاق الاستعمال لكنها أدت دورها وغيرت في أسلوب حياتي وحياة أسرتي الصغيرة..

بعد فترة وجيزة أبلغني (علي الفلاح) بوصول المجموعة القصصية (رائحة الجوع) واستلمت ثلاثين نسخة لم أصل إلى بيتي إلا بنسخة واحدة فقد قدمتها إهداءات لأصدقائي في بنغازي والبيضاء ودرنه وكانت النسخة الأولى من نصيب الأديب عبدالرسول العريبي عرفانا بفضله واحتراما لجهده المنقطع النظير ..

أخيرا علمت بطريقة أو بأخرى أن من أجاز مجموعتي القصصية (رائحة الجوع) هو القاص (محمد المسلاتي) ولا أخفي أني في البداية فرحت بصدورها ولكن عندما راجعت مسيرتي الثقافية أدركت أنها لا تستحق النشر وكان يجب التريث قبل الإقدام على هذه الخطوة.. لكنني اعتبرتها قفزة تؤرخ لمرحلة من مراحل حياتي الثقافية.. ومنذ المولود الأول توالت المطبوعات فكان " حبل الغسيل" و" الليبيون في جيش قرطاجة ".. ومازال الخير في الطريق.. وهذا كل شيء ...!!

حركة نشر الكتاب في ليبيا خلال الفترة (2012م - 2019م)

يونس شعبان الفنادي

لا يمكن للكتابة الإبداعية في جميع صنوف وأجناس الأدب والعلم والفكر أن تزدهر ما لم تواكبها حركة نشر تهتم بدعم التأليف والطباعة وتتيح المنتوج الإبداعي والفكري للنقاد والدارسين للتمعن فيه والتواصل معه عبر انتقادات وتصويبات وإضافات وتعليقات مختلفة، والتي بدورها مجتمعة تخلق حركة ديناميكية وحوارية متتابعة بين العقول المبدعة الفكرية كافةً.

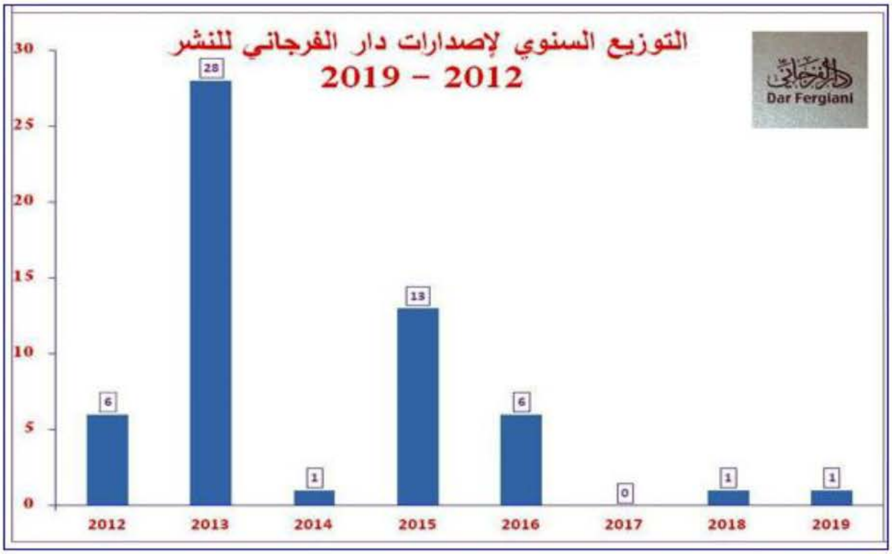
فالنشر التقليدي في شكله النمطي القديم ممثلاً في الكتاب الورقي يواجه الكثير من الصعوبات الاقتصادية والتحديات الإلكترونية التي صارت تؤثر بشكل لافت في كمية الإصدارات وعدد النسخ الورقية المطبوعة في جميع العلوم والآداب والمعارف، وبعيداً عن الخوض في أسباب تلك التحديات وأنعكاساتها على القاريء والكاتب والناشر معاً، اخترتُ أن أقدم هذه الرسومات البيانية لإطلاع المهتمين بموضوع النشر والكتاب في ليبيا، بعد انشغالي وتمعني بها خلال الفترة الماضية وقراءة بعض المؤشرات الناتجة من مجموعة الإحصائيات العددية (كنماذج) وقد تمكنتُ من الاطلاع عليها بعد أن زودتني بها ثلاثة دور نشر عريقة في ليبيا وهي: دار الفرجاني للنشر، ودار الرواد للنشر، ومكتبة طرابلس العلمية العالمية للنشر والتوزيع، وسأظل ممتناً لهم جميعاً على دعمهم اللامحدود لي حتى أنجزتُ هذه الرسومات (الأولية البسيطة) حول نشر الكتاب في ليبيا، وامتناني موصول كذلك للأستاذ علي عوين رئيس اتحاد الناشرين الذي عرضتها عليه فأسبغ عليّ تشجيعه وتقديره.

وأؤكد بأن هذا العمل الأولي البسيط لا يرقى إلى الدراسة البحثية المتكاملة وإنما غايته حصر واستعراض حركة نشر الكتاب الليبي خلال ثمانية سنوات بداية من 2012م وحتى 2019م على أمل أن يكون أرضية تمهيدية لدراسة أشمل وأكبر عدداً، وأعمق تحليلاً، ينجزها

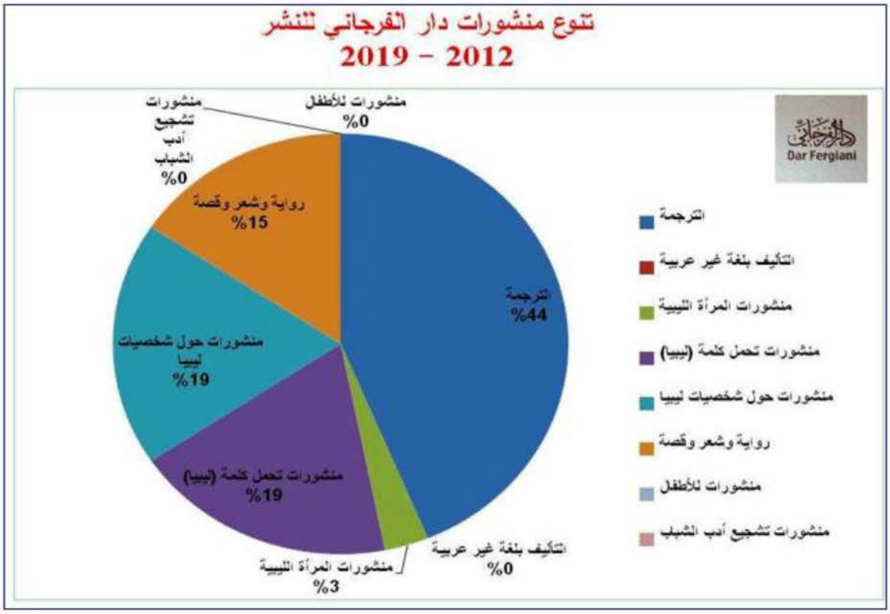
المختصون والمهتمون بطرق بحثية حديثة متقدمة لاستنتاج مؤشرات دقيقة يمكن الاستفادة منها في تطوير عملية التأليف والنشر التي أؤمن بأنها إحدى أهم العناصر للإرتقاء بالفكر النقدي، والإبداع بجميع أشكاله وأجناسه، والحياة بكامل صورها.

كما يسرني أن أحيل المهتمين بهذا الموضوع إلى مقالة الأستاذ سليمان كشلاف المعنونة (لائحة للنشر ضد الكاتب .. ضد الناشر .. وضد القاريء) المنشورة بمجلة (لا) العدد (الرابع والعشرون) السنة الثانية، شهر ديسمبر 1992م، على الصفحات 31-36، التي يقدم فيها قراءة في قرار اللجنة الشعبية العامة رقم 92/348م) بشأن لائحة التأليف والترجمة والتحقيق والنشر، ويختتمها بقوله أن هذه اللائحة (ستكون خراباً ويباباً على الثقافة وعلى صناعة الكتاب في هذا البلد الطيب. فهذه اللائحة يجب أن تكون لصالح الجميع أو فلتلغَ). وكذلك الاستطلاع والدراسة القيمة التي أنجزها الدكتور مصطفى بديوي حول نشر الكتاب في ربوع ليبيا وضمنها حديث الكاتب منصور بوشناف قال فيه (إن حركة النشر لازالت سيئة، رغم أننا نشعر جميعاً بالتغيير الذي حصل، وأننا الآن نعبّرُ عمّا نريد ونكتبُ ما نريد).

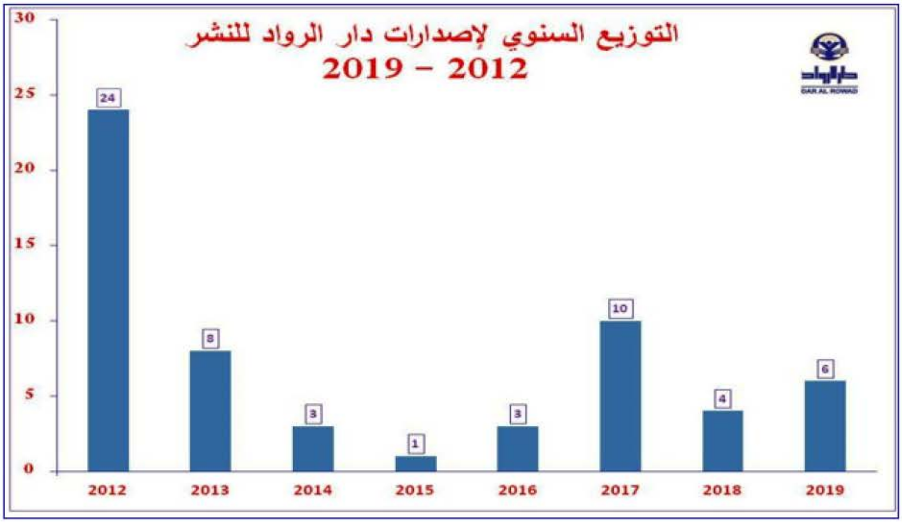
أولاً: دار الفرجاني للنشر

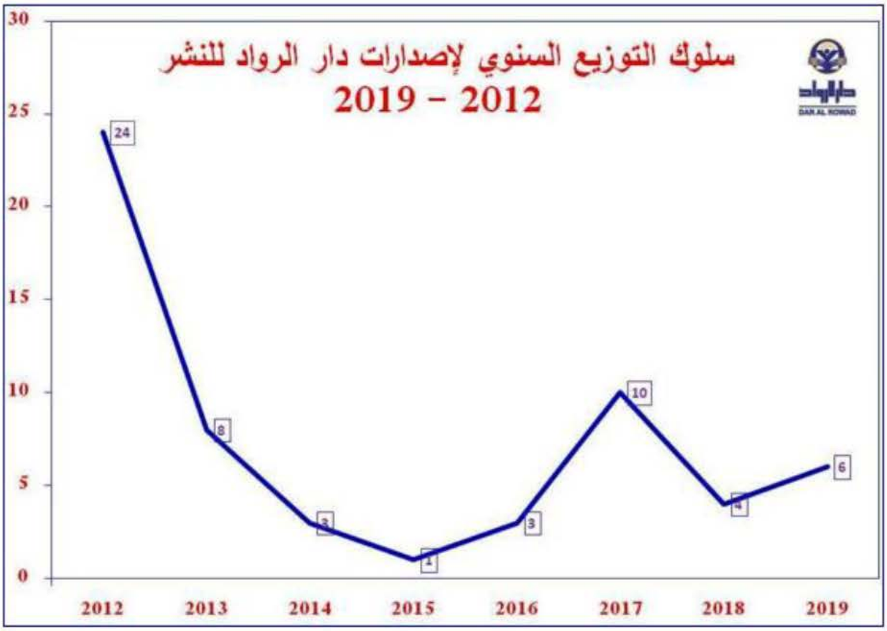


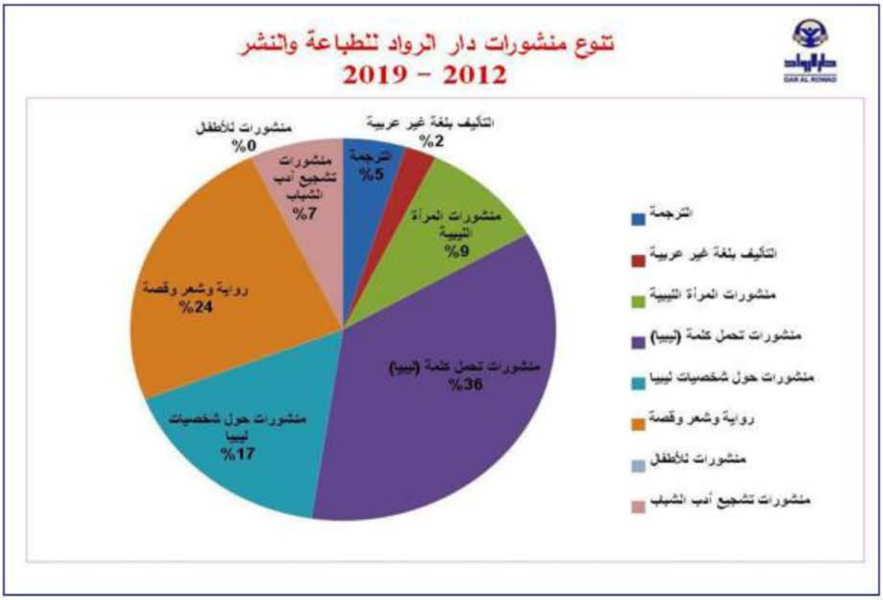

سلوك التوزيع السنوي لإصدارات دار الفرجاني للنشر
2019 - 2012
Dar Fergiani
30
25
20
15
10
5
0
6
28
1
13
6
0
1
1
2012
2013
2014
2015
2016
2017
2018
2019


تنوع منشورات دار الفرجاني للنشر
2019 - 2012
Dar Fergiani
منشورات للأطفال %0
منشورات تشجيع أدب الشباب %0
رواية وشعر وقصة %15
منشورات حول شخصيات ليبيا %19
منشورات تحمل كلمة (ليبيا) %19
منشورات المرأة الليبية %3
التأليف بلغة غير عربية %0
الترجمة %44
الترجمة
التأليف بلغة غير عربية
منشورات المرأة الليبية
منشورات تحمل كلمة (ليبيا)
منشورات حول شخصيات ليبيا
رواية وشعر وقصة
منشورات للأطفال
منشورات تشجيع أدب الشباب

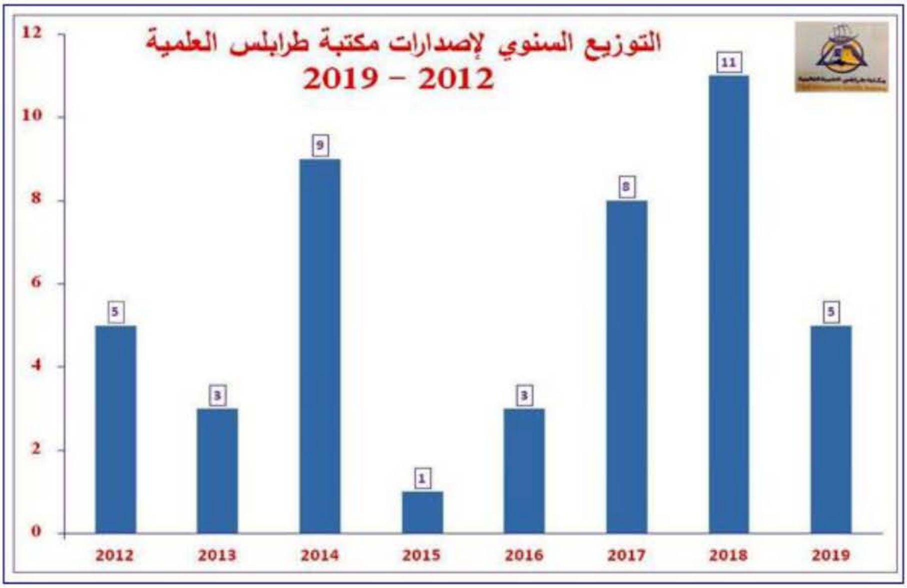
ثانياُ: دار الرواد للنشر

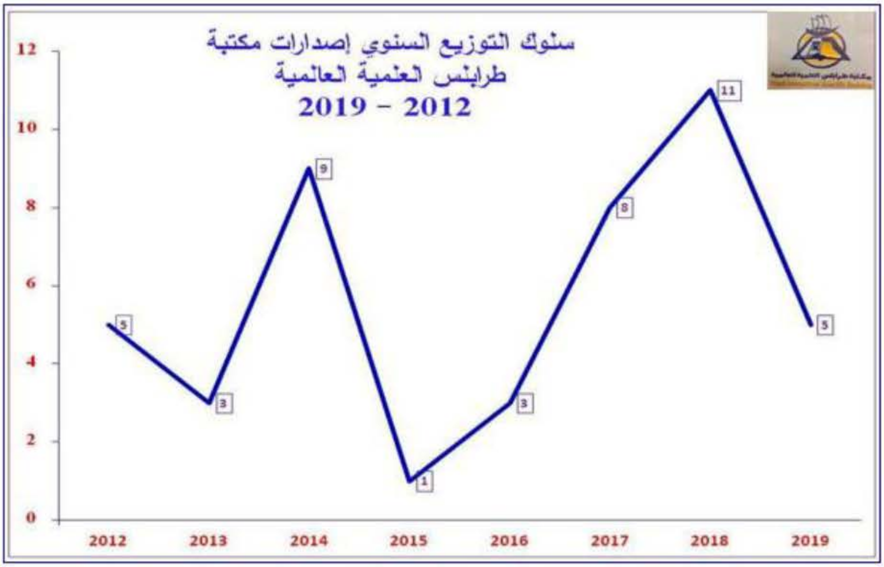


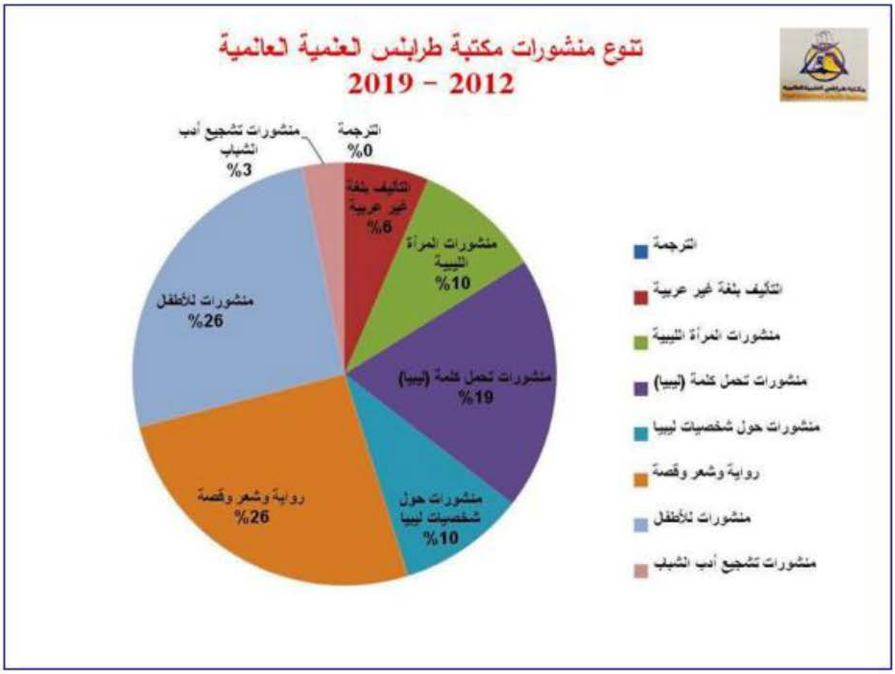




ثالثا: مكتبة طرابلس العلمية العالمية




سلوك التوزيع السنوي إصدارات مكتبة
طرابلس العلمية العالمية
2019 - 2012
12
10
8
6
4
2
0
5
3
9
1
3
8
11
5
2012
2013
2014
2015
2016
2017
2018
2019


تنوع منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية
2019 - 2012
الترجمة
%0
التأليف بلغة غير عربية
%6
منشورات المرأة الليبية
%10
منشورات تحمل كلمة (ليبيا)
%19
منشورات حول شخصيات ليبيا
%10
رواية وشعر وقصة
%26
منشورات للأطفال
%26
منشورات تشجيع أدب الشباب
%3
الترجمة
التأليف بلغة غير عربية
منشورات المرأة الليبية
منشورات تحمل كلمة (ليبيا)
منشورات حول شخصيات ليبيا
رواية وشعر وقصة
منشورات للأطفال
منشورات تشجيع أدب الشباب

رابعاً: بعض المقارنات بين إصدارات دور النشر الثلاثة

أ) مقارنة عدد إصدارات الدور الثلاثة خلال الفترة (2012-2019م) والتي كانت في مجموعها كالتالي:

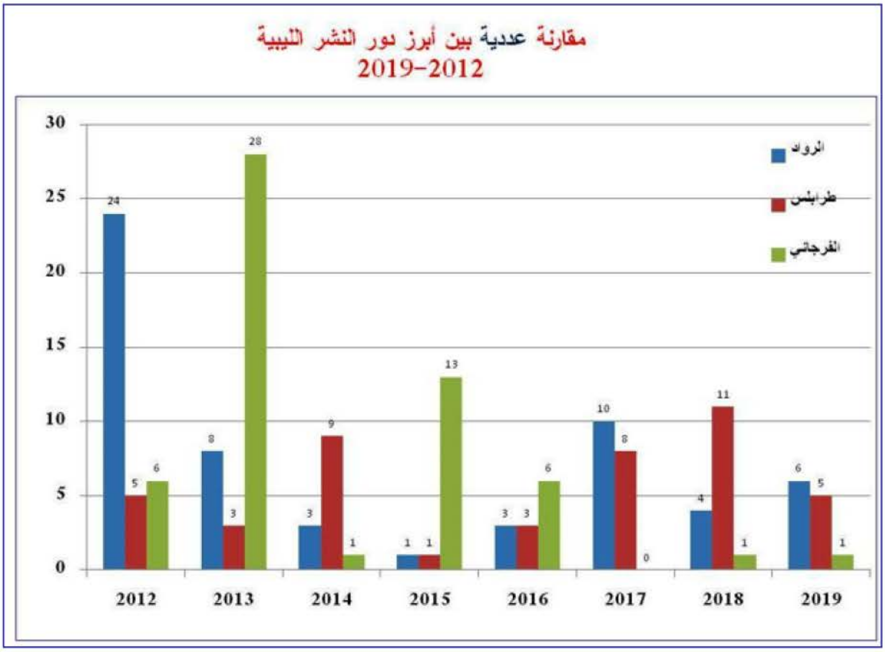
	2012	2013	2014	2015	2016	2017	2018	2019	المجموع	%
الفرجاني	6	28	1	13	6	0	1	1	56	**35.0**
الرواد	24	8	3	1	3	10	4	6	59	**36.7**
طرابلس	5	3	9	1	3	8	11	5	45	**28.1**
المجموع	35	39	13	15	12	18	16	12	**160**	

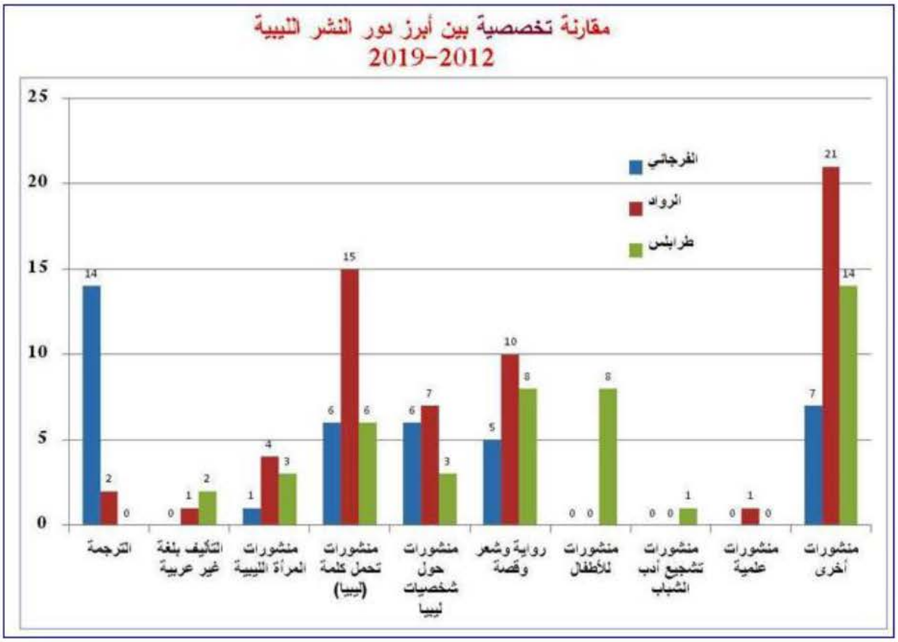
ومن خلال الجدول والرسومات البيانية يمكن استنباط المؤشرات والملاحظات التالية:

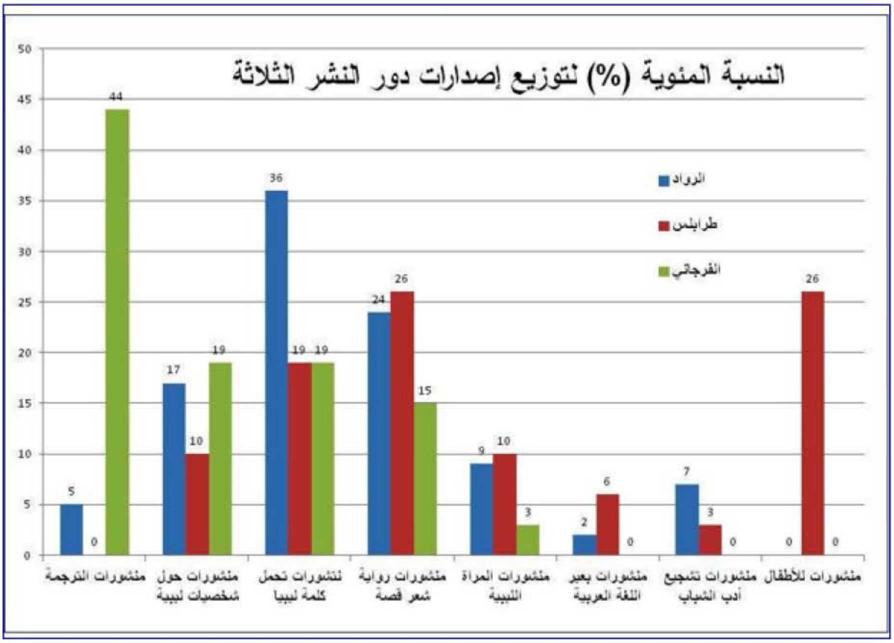
1 - بلغ إجمالي إصدارات دور النشر الثلاثة خلال ثماينة سنوات (2012-2019) هو 160 إصداراً بمعدل 20 كتاب سنوياً وهو رقم يعكس ضعف حركة نشر الكتاب في ليبيا خلال هذه الفترة الزمنية.

2 - كان التباين بسيطاً في إجمالي عدد الإصدارات السنوية بشكل تنازلي بين دور النشر الثلاثة كالتالي: الرواد 59 إصداراً، والفرجاني 56 إصداراً بينما مكتبة طرابلس 45 إصداراً، مما يلمح إلى تشابه الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف.

3 - تعد سنة 2013 الأكثر إصداراً بعدد 39 كتاباً بينما سنتي 2016م و2019م الأقل إصداراً بعدد 12 كتاباً في السنة.


مقارنة عددية بين أبرز دور النشر الليبية
2019-2012
الرواد
طرابلس
الفرجاني
30
25
20
15
10
5
0
2012
2013
2014
2015
2016
2017
2018
2019
24 5 6
8 3 28
3 9 1
1 1 13
3 3 6
10 8 0
4 11 1
6 5 1


مقارنة تخصصية بين أبرز دور النشر الليبية
2019-2012
الفرجاني
الرواد
طرابلس
25
20
15
10
5
0
الترجمة
التأليف بلغة غير عربية
منشورات المرأة الليبية
منشورات تحمل كلمة (ليبيا)
منشورات حول شخصيات ليبيا
رواية وشعر وقصة
منشورات للأطفال
منشورات تشجيع أدب الشباب
منشورات علمية
منشورات أخرى
14 2 0
0 1 2
1 4 3
6 15 6
6 7 3
5 10 8
0 0 8
0 0 1
0 1 0
7 21 14



ب) مقارنة تخصصية بين دور النشر الثلاثة

من خلال الإحصائيات العددية والرسومات البيانية يمكن استنباط العديد من الملاحظات والتي أبرزها:

أولاً: غياب كتاب الطفل، حيث لم تنشر كتب الأطفال إلاّ عن طريق مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ولهذا تأثير سلبي كبير.

ثانياً: ندرة إصدارات الترجمة من اللغات الأخرى، وهو ما يفقدنا التعرف على الفكر الآخر والاطلاع على تطوراته كافةً.

ثالثاً: قلة إصدارات المرأة الليبية الكاتبة وهو ما يعكس هيمنة الفكر الذكوري على جُلّ أوجه حياتنا عامةً، ويحرمنا من صوت إنساني يشاركنا هذه الحياة.

وسأكتفي بهذه الملاحظات العامة البسيطة المستنبطة من دور نشر أهلية خاصة تاركاً للجميع دراسة الأشكال البيانية بعمق أكثر ومهنية علمية لاستخراج المؤشرات المهمة وتسجيل الملاحظات القيمة حولها، ومحاولة السعي لمقارنتها بإصدارات الجهات الحكومية

الرسمية مثل الهيئة العامة للثقافة ومركز جهاد الليبيين ومجمع اللغة العربية والهيئة القومية للبحث العلمي وغيرها من المؤسسات الحكومية.

الخاتمة:

إن دراسة التحديات التي تواجه نشر الكتاب في ليبيا تستحق الكثير من الاعتناء والاهتمام من جميع الأطراف ذوي العلاقة في عملية الإصدار وهم المؤلف والناشر والقاريء، وغيرهم من الجهات الحكومية العامة والأهلية الخاصة التي يجب أن تتعامل مع تأليف ونشر وإصدار وتوزيـع الكتاب على أنه جزء من المهام والمسؤوليات الكبرى ذات الصلة المباشرة بهوية المجتمع وتحصينه ضد التطرف والجهل وبناء مستقبله الفكري والتنموي في جميع التوجهات والمجالات كافة، وبالتالي لابد من وضع سياسات تعاونية مشتركة في هذا المجال بين جميع المعنيين وعدم النظر إليه من جانب تجاري ربحي وتسويقي ضيق، وإغفال الجوانب والتأثيرات الفكرية الأخرى انطلاقاً من أن نشر العلم والأدب والمعرفة والثقافة هو محاربة الجهل والقبح والانحراف والتطرف، وانحياز لقيم المعرفة والجمال والسمو الفكري بتوطين الهوية الوطنية في العقول وزرع البهجة في النفوس.

الناشرون الليبيون لا يريدون مساعدات مالية من الجهات الرسمية

استطلاع المجلة

لا يمكن النظر للنشر بأنه مجرد قيام الناشر بطباعة وتوزيع الكتب، فالنشر قبل كل شيء صناعة وثقافة، تعتمد على يوفره لها المجتمع من مقومات وقوانين، حتى تأخذ مكانها الصحيح، بالدفع والرفع من العمل الثقافي، من خلال طباعة الكتب والمنشورات وتوزيعاً، الأمر الذي ينعكس مباشرة في مستوى ثقافة المجتمع.

في ليبيا مازال النشر قاصراً عن أداء مهمته المناطة به، مما جر سلسلة من التأثيرات السلبية بداية من طباعة ونشر الكتب والمنشورات نهاية بالعلاقة بين الكاتب والناشر والتي يشوبها الكثير من الحذر .

هذا دون أن ننسى قصور الدولة في سن القوانين التي تنظم صناعة النشر، وضعف العلاقة بين المؤسسات الثقافية والناشر في ليبيا.

في هذه الصدد اقترحت مجلة الفصول الأربعة موضوع (النشر والناشر في ليبيا) لملف العدد، في محاولة منها للوقوف على الوضع واقتراح ما يمكن من الحلول، لعل هناك من يتابع فيستجيب!! من خلال استهداف ثلاث شرائح على علاقة مباشر بالنشر والناشر في ليبيا.

بداية توقفنا مع تجارب مجموعة من الكتاب الشباب في النشر خارج ليبيا، والسؤال: لماذا يلجأ الكثير، وخاصة الكتاب الشباب، للبحث عن ناشر خارج ليبيا؟

عبدالرحمن إمنيصير – كاتب شاب .

في رأيي المتواضع؛ إن أغلب دور النشر الليبية "تستحقر" الكاتب الناشئ وتقلل من قدره وقيمته -آسف على الكلمة-، لكن إنما هي حقيقة لا يمكن إنكارها.

عن تجربة شخصية عندما أردت طباعة إنتاجي الأول (كفاك ألمًا)، اتجهت لدور النشر الليبية، أرسلت لها العمل وأخبروني أنهم سيقرؤنه ويعطوني ردًا في مُدة أقلها شهر، مرت ثلاثة أشهر ولم يردوا علي، تجاهلوا رسائلي كثيرًا ثم بعثوا برسالة فحواها: (لا يمكننا نشر الكتاب.. نعتذر). رغم أنني واثق كلّ الثقة أنهم لم يقرؤوا كلمةً واحدةً منه، وعندما اتجهتُ لدور النشر المصرية أرسلتُ الكتاب ثم في اليوم التالي كان الرد وأخبروني بأن موهبتي كبيرة جدًّا وأن هذا الكتاب يستحق النشر فعلًا وليست مجاملةً.

أعتقد أن هناك الكثير من الشباب ممن كانت لهم تجارب مماثلة، هذا السبب الرئيسي، أمّا السبب الثانوي فهو غلاء الأسعار فالطباعة خارج البلاد أقل تكلفة.

فتحي محمد مسعود – روائي (معلم جغرافيا بالصف التاسع).

يكمن السبب في النقص الواضح لدور النشر، وعدم قدرتها على المنافسة دولياً، أما داخلياً فلا يستطيع ملاك دور النشر المجازفة بمبلغ مالي، وهو يعلم مسبقاً أن ما صرفه لن يعود أبداً. ويرجع السبب هنا لعدم اهتمام المواطن الليبي بالقراءة، مما جعل دور النشر تعزف هي نفسها عن النشر.

والآلية التي يمكن من خلالها تصحيح هذا الوضع -من وجهة نظري البسيطة-، هي حملة كبيرة كالتي قام بها أهل الإمارات العربية، التشجيع على القراءة، وأن تكون هناك جائزة قيمة لكل من يطلع على أكبر عدد من الكتب ويفضل أن تبدأ مع صغار السن.

أما لماذا يتجه الكاتب للنشر خارج ربوع الوطن؛ فكي يحقق انتشاراً أكبر. ولأن السعر في دور النشر الخارجية أرخص بكثير .

وفي السنوات الأخيرة هناك طفرة حدثت في المجال الثقافي ويرجع السبب إلي بلد الطيوب والقائمين عليه وأخص بالذكر السيد رامز النويصري. ودوره الكبير في الاهتمام بالإنتاج الفكري والأدبي. ولعلها تكون النواة الأولى التي من خلالها تستطيع البناء من جديد.

سهام الدغاري – شاعرة.

يلجأ الكاتب للبحث عن دور نشر خارج ليبيا لأسباب كثيرة؛ أهمها المعوقات التي تواجه دور النشر الليبية والتي تحول بينها وبين القيام بمهامها على الوجه الأكمل؛ مثال صعوبة المشاركات في معارض الكتاب الخارجية، وهذا مرجعه لعدم الاستقرار السياسي التي مرت به البلاد في

سنواتها العشر الأخيرة، أيضاً عامل التكلفة مهم جداً ولا يجب أن نهمله.

ومن وجهة نظري؛ لن يكون هناك حل لهذه المشاكل إلا بدعم الدولة المادي والمعنوي لصناعة الكتاب والنشر في ليبيا

علي جمعة إسبيق - قاص وروائي

يلجأ الكاتب الليبي للبحث عن ناشر خارج ليبيا لأنه لم يجد ناشراً داخل ليبيا .

فالجميع في الداخل يبحث عن الاسم الذي يكفل له مردوداً مادياً جيداً، وهذا من جهة حق ومن جهة محبط للكاتب المغمور الذي يتلمس الطريق. بينما في الخارج يعصب الناشر التكلفة برقبة الكاتب لذا يلتقيه هاشاً باشاً بعكس ناشر الداخل الذي لا يلاقيه أصلاً.

الحل هو جلب تلك الدور إلى الداخل أو تقليد طريقة تعاملهم وتسهيل النشر على الكاتب الليبي ولو بجعل التكلفة على حسابه الشخصي.

من بعد الكتاب الشباب توجهنا بسؤالنا إلى مجموعة من الأدباء ممن صدرت لهم كتب، لتقييم العلاقة بين الكاتب والناشر. وكان السؤال: كيف تقيم العلاقة بين الكاتب والناشر في ليبيا؟ وهل هناك ما يمكن اتخاذه للرفع من مستوى هذه العلاقة؟ وكيف؟

عبدالسلام سنان - روائي وقاص.

لا شكَّ أن العلاقة بين الكاتب والناشر هي علاقة تضامنية ومصلحية، وهي أيضاً مسألة ارتباط جوهري وتأتي في إطار حتمية استمرارية الحركة الثقافية وانتشارها، ونظرا لما تلعبه دور النشر في فاعلية إظهار الأعمال الكتابية بشتى مجاهلها ومشاربها إلى النور، ولكي تصبح أداة في يد القارئ بأيسر السبل وأجود خامة في الشكل، بيد أن ذلك لا يتم بسلاسة وسهولة كما يتوقع البعض فهنا تعتري هذه العملية مطبات وحيلٍ في غياب الرقابة على المنتج ناهيك عن محطات سلبية أخرى لها الأثر الفادح في المخطوط وقد لا يسع المجال هنا لتناولها وخاصة في زمن قد تبدو فيه اللوائح والقوانين والتشريعات النافدة في حالة سُباتٍ عميق ولو إلى حين للأسباب التي يعرفها الجميع، الأمر الذي لا يمكن معه القول بأن حالة النشر في بلادنا على ما يرام، إن حرص الكاتب الشديد بأن يرى

العلاقة بين الكاتب والناشر في ليبيا ما تزال بحاجة إلى دفعة قوية

نتاجه الذي انكبَّ عليه شهورا بل سنينا يبلغ صداه الآفاق فهو بذلك لا يرى أي غضاضة في تلمس المستحيل لنشر عمله ولو كان بصورة غير مرضية. ومما لا شكَّ فيه فإن ما تقوم وما قامت به الدولة من طباعة مئات العناوين خارج ليبيا وداخلها لهو ضرب من العبث المهني.. ولنا فيما صدر مؤخرا من أعمال هيئة الثقافة خير شاهدٍ.

ولأجل ذلك وللأسباب الآنفة الذكر وللمقتضيات المسهبة عاليه، فإنني أثمّنُ عاليا ثقتكم في شخصي للمشاركة فيما ستثيره مجلة الفصول الأربعة الموقّرة لاستهدافها هذا الموضوع الاستثنائي الشائك والذي يمسُّ بصورة مباشرة الكاتب وأرى أنكم قد وضعتم بذلك أيديكم على مكمن الجرح الذي لم يندمل بعد بل استفحل وازدادت الهوّة اتساعا بين الكاتب والناشر.

عليه؛ فإنني أوجّه فكرتي ملخّصة في أن يتم دعم المطابع الخاصة وذلك بتحويل كل الأعمال المجازة للنشر وفق كراسة شروط قانونية ملزمة والتعاقد مع تلك الدور الخاصة ليتولوا الطباعة والاستغناء عن الطباعة خارج الديار إلى أن تتمكن الدولة مستقبلا في انشاء مطابع عالية الجودة ووفقا للمعايير العالمية لأنها مسألة تنموية تقنية يمكنها أن تستوعب مئات الشباب بعد تأهيلهم للقيام بهذه المهمة.

حسين بن قرين درمشاكي - كاتب وقاص.

العلاقة بين الكاتب والناشر في ليبيا ما تزال بحاجة إلى دفعة قوية رغم بروز أصوات شقت طريقها بنجاح في شتى صنوف الإبداع وخاصة في مجالي الشعر والسرد، حيث ظهرت إشراقات أدبية تدفع في نفوسنا الأمل والتفاؤل.. وأعتقد ان رعاية هذه الاصوات وتبني انتاجها الأدبي، وتبصيرها، وتوجيهها؛ كفيل بخلق حركة ثقافية ليست ببعيدة عن الزخم الثقافي الذي تعيشه بعض البلدان العربية والأجنبية على حد سواء وهذا برأي لن يتأتى الا بعلاقة وثيقة بين الكاتب ودار النشر من خلال مجلس ثقافة مستقل عن المؤسسات الثقافية الرسمية للدولة يقع على عاتقه توطيد العلاقة بين الكتاب ودور النشر والدفاع عن حقوق الطرفين ليحجب بذلك هجرة (ان جاز التعبير) الكتاب الى دور النشر بالخارج بعدما ضاقت بهم السبل في انشاء جسر ثقة متين بينهم ودور النشر المحلية.

نعمة محمد الفيتوري – كاتبة.

نحن بحاجة لترسيخ ثقافة الكتاب المقروء، فالكتاب مصدر المعرفة

والإبداع، وله إسهاماته الفعّالة في دعم السلام الاجتماعي، وقبول الآخر المختلف، وتنمية احترام العقل.

عملية النشر في ليبيا تخضع لمؤثرات وعوامل متنوعة منها النظرة التقليدية السلبية للثقافة من منظور جدواها المجتمعية، وهذه النظرة تجاوزها الزمن وكذلك التقنية فهناك الآن الكتاب الإلكتروني الذي بدأ في توسيع مساحات انتشاره بالموازاة مع الكتاب الورقي.

لذلك عدد دور النشر اللّيبية مازال أقل مما يطمح له المؤلّف، بالإضافة لضعف تسويق الكتاب في ليبيا، أيضاً لا نلحظ تواجد دار نشر ليبية ذات قيمة تسويقية، وغياب دار النشر التي توازي دور النشر العربية. ودور النشر الحالية مع قلّتها غير احترافية في علاقتها مع المبدع الليبي الذي يقدم فكرا وإبداعاً جعل من المهتمين بالنشر في العالم العربي توسيع دائرة مجالهم ونشر وطباعة كتبه، مع ملحوظة مهمة تتعلق بأسعار الطبعة في الخارج حيث يلاحظ بأنها أكثر معقولية من دور النشر المحلية التي تورطت بنصب فخ الربح المادي والاعتماد على النشر لأسماء معينة لضمان الربح .

إن دور النشر الليبية تحتاج إلى منهجية واضحة في استيعاب العلاقة المهمة بين المؤلف والناشر وبين المؤلف والقارئ حتى تؤدي دورها الثقافي بإتقان.

كذلك الدولة مطالبة بدعم مؤسسات النشر الحكومية التي تسهم في دفع العجلة الثقافية إلى الأمام، كذلك المبدع الليبي بحاجة لخدمات اتحاد الناشرين الليبيين في تنظيم حركة النشر بشكل أفضل يضمن تواجد كل المثقفين داخليا.

خلود الفلاح - صحفية

في الفترة الأخيرة شاهدت (في الميديا) كتب ليبية صادرة عن دور نشر ليبية. وهذا طبعا يدعو للسعادة بالنسبة للكاتب خاصة وأن هذه الدور ستعطيه نسخ من الكتاب، أقول ذلك لأن مرات كثيرة اتحدث مع بعض دور النشر العربية عن تكاليف النشر التي هي بالعملة الصعبة أولاً ونحن نعرف تكاليف شرائها من السوق الموازي، وثانياً صعوبة وصول الكتب الأمر الذي يتطلب الاتفاق مع شركات النقل الخاصة وكل ذلك يتحمله الكاتب .

أيضاً هناك كُتاب نشروا كتباً خارج ليبيا ولم يحصلوا على نسخ.

بشكل عام العلاقة معقدة بين الناشر، الكاتب يريد أن يصل كتابه إلى عدد كبير من القراء في مقابل عدد المكتبات في ليبيا

قليل والبيع والدعاية تتم للكتاب القادم من الخارج .

اعتقد لا بد أن تكون هناك خطة يشترك فيها الناشر والكاتب والمطبعة والتوزيع والدعاية من أجل وصول الكتاب الليبي إلى اقصى مكان في البلاد.

في ختام هذا الاستطلاع نتوقف مع الناشر، المعول عليه في عملية النشر، حيت وجهنا سؤالا مباشرا: أين ترى مواضع الخلل في عملية النشر في ليبيا؟ وما هي الحلول الممكنة لذلك؟

سالم سعدون بطيخ – دار الرواد.

هناك مجموعة من المشاكل التي تواجه عملية النشر في ليبيا، والتي في حال التغلب عليها يمكن لعجلة النشر أن تدور وبقوة إن شاء الله، وألخص هذه المشاكل في النقاط التالية:

1 -العزوف عن القراءة.

2 -عدم اهتمام الجهات المختصة باقتناء الكتاب، وبالأخص وزارة الثقافة، والجامعات والمراكز البحثية.

3 -عدم وجود عدد من البرامج في القنوات الفضائية والمسموعة وخاصة العامة للتعريف بالكتاب.

4 -عدم تزويد المركز الثقافية بالإصدارات الجديدة، حتى تمكن القارئ منها في حالة عدم القدرة على الشراء.

يلجأ الكاتب الليبي للبحث عن ناشر خارج ليبيا لأنه لم يجد ناشرا داخل ليبيا

5 -الاهتمام بتطوير وتزويد المكتبات المدرسية، لخلق جيل جديد تعود على التعامل مع الكتاب من خلال الاختيار وليس صم المنهج الدراسي.

6 -اهتمام الدولة بنشر الأعمال الثقيلة (الموسوعات، الأعمال الكاملة،....) التي قد لا يستطيع الناشر القيام بها، وترك الاعمال الإبداعية للناشر الخاص. وإذا كان الغرض تشجيع المؤلفين فبالإمكان تشجيع الناشر والمؤلف بوضع صيغة عقد يكفل حقوق كل الأطراف لا يتم الشراء الا بعد الالتزام به.

غسان الفرجاني – دارف (دار الفرجاني)

مشكلة النشر في ليبيا مشكلة كبيرة جداً، وأسبابها عديدة؛ هناك أسباب سياسية،

وأخرى اقتصادية تجارية، كما في جميع مجالات الابداع من الرياضة والفن والمسرح والأدب، عانت ليبيا، في العهد السابق "الجماهيرية" من المنع والمصادرة، وتقييد الحريات: المكتبات الخاصة أممت، وصودرت كتبها. كما أممت دور النشر وصودرت منشوراتها. وأُغلقتْ المكتبات العامة، كما ألغيت المكتبات المدرسية. ولم يعد هناك منافذ ومؤسسات خاصة أو عامة تشجع على القراءة الحرة. وأدى ذلك كله إلى توقف دور النشر الليبية الخاصة، مما حرم البلد من الخبرات التراكمية للناشرين وحماس المنافسة .

في فترة الحكم الجماهيري، انعدمت فرص وجود دور النشر، والمكتبات الخاصة. الأمر لم يقتصر على ذلك، بل تجاوزه ليطال الصناعات المرافقة مثل المطابع وشركات الدعاية والصحف والمجلات التي توفر مجالاً للترويج للمنتوجات الأدبية. قطاع النشر الخاص لم يعد إلى الوجود إلا في بداية التسعينيات من القرن الماضي، وتحت قيود أمنية. واضطر للعودة إلى المربع الأول والبدء من الصفر. اقتصادياً ضعف سعر العملة الليبية يؤثر على سعر المنتوج بالنسبة للناشر إذا اضطر إلى الطباعة خارج البلد.

حالياً في ليبيا لا يوجد الكثير من الناشرين بالمعنى المتعارف عليه للمصطلح. ومع هذا لا توجد أي برامج في خطط الدولة لتشجيع هذا المجال. بل إن الدولة تقوم بنشر الكثير من الكتب، من دون إعداد دراسات جدوى لجودة الكتب. هناك أيضاً شُحٌ في عدد المكتبات في ليبيا في المدن التي عدد سكانها يفوق 6500000 نسمة. لا أعرف على وجه الدقة عدد المكتبات الجديرة بحمل الاسم. قد يصل 30 مكتبه، وحتى هذا رقم مبالغ فيه. أما بالنسبة للمكتبات العامة والمكتبات المدرسية فحدث ولا حرج، فهي معدومة، وتحولت مقرات المكتبات العامة إلى متاجر، وفي المدارس تحولت مقراتها إلى مخازن .

الناشرون الليبيون لا يريدون مساعدات مالية من الجهات الرسمية ذات الصلة، وإنما إصدار قوانين تحميهم وتضمن حقوقهم، وتوفر مناخاً مناسباً يشجع على حضورهم في الساحة وتوسع نشاطاتهم .

ويريدون أيضاً توفير أوضاع اقتصادية مستقرة وآمنة، تكفل لهم، بحماية القانون، استثمار أموالهم وانتاج اصداراتهم، لتكون لهم قدرة على المنافسة على المستوى العربي. المساعدة التي نريدها من الدولة، ومؤسساتها ذات الصلة، تتعلق بإنشاء المكتبات العامة على

مستوى ليبيا، لتشجيع المواطنين على القراءة والاطلاع وتوسيع مداركهم وملء أوقات فراغهم بما يفيد عقولهم ويربي وجدانهم. وتشجيع برامج قراءة الكتب في المدارس، عن طريق اعادة مادة المكتبة المدرسية للمناهج التعليمية، تخصيص ميزانيات لإنشاء المكتبات المدرسية، على جميع المستويات الدراسية، وخاصة في مرحلة التعليم الأساسي والثانوي.

فتحي بن عيسى – مكتبة الكون

صناعة النشر في ليبيا صناعة مهملة تعد في نظر صانع القرار الليبي ترفا لا مبرر له، وهو يشترك في هذا مع المتلقي للأسف.

صناعة النشر هي مرآة عاكسة وبوضوح تظهر مدى تقدم أي مجتمع في سلم الارتقاء الحضاري أو تدنيه. وهي صناعة حساسة لا تنمو إلا في مناخ حر يقبل الآخر ويقدس الفكر وبالتالي أستطيع القول إن تقدم النشر في بلد مقياس صادق على حرية الفكر في أي مجتمع.

تصنف الدول صناعياً بعدد المصانع لديها وما يخرج منها، وتصنف سياحيا بعدد المواقع السياحية وعدد من يقصدونها سنويا، أما حضاريا وثقافيا فبعدد ما تصدره دور نشرها من كتب، وما يسهم به مثقفوها ومبدعوها في اثراء المعرفة.

الموضوع لا يتعلق بسعر الكتاب هل هو مرتفع أم منخفض، بقدر ما يتعلق بتقدم المجتمع ورقيه، سأضرب مثالاً تجد المتلقي لا يمانع أن يدفع 15 دينار ثمن ساندويش، بينما يستكثر أن يدفع هذا المبلغ ثمنا لكتاب. وكثيراً ما نسمع اشتري كيلو لحم أفضل من كتاب، وهذا يعني أن المجتمع لا يزال في الدرجة الدنيا من سلم هرم ماسلو. تجد من يشتري حذاء بعشرات الدنانير ولن أقول مئات ولا تجده ينفق ربعها على كتاب، فالمجتمع في أغلبه لا يزال في قاع هرم الحاجات الإنسانية، وبالتالي أي حلول تتوجه لتوفير الكتاب بسعر زهيد أو مدعوم لا يصاحبها بث الوعي فهي حلول لن تؤتي ثمارها.

جماليَّاتُ التَّشكيل الفنِّيِّ في "شواطئ الغُربة" لخالد السَّحاتي

د. شعبان عبدالحكيم محمد

كاتبٌ روائيٌّ وناقدٌ مصريٌّ.

-1-

خالد السَّحاتي أديبٌ ليبيٌّ وأُستاذٌ جامعيٌّ في مجال السِّياسة والاقتصاد (عُضو هيئة التَّدريس بكُليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسيَّة بجامعة بنغازي)، وهُو مُقِلٌّ في نتاجه، مجيدٌ في إبداعه، ومجمُوعته القصصيَّة: "شواطئ الغُربة" أوَّلُ أعماله الأدبيَّة(1) تُبرهنُ على قلَّة إبداعه وجَوْدَتِهِ، فكما ذكر في التقديم أنَّهُ جمع هذه القصص التي بدأ في كتابتها مُنذُ عشرين عامًا، وهذه المجمُوعة تتكوَّنُ منْ ثلاث وثلاثين قصَّة (ستُّ قصصٍ قصيرةٍ وسبعٌ وعشرُون قصَّة قصيرة جدًّا) .

وقد قدَّم لهذه المجمُوعة الكاتب والصحفي الكبير الأستاذ سالم علي العبَّار رئيس تحرير جريدة "أخبار بنغازي"، وقد أشاد بهذه المجمُوعة القصصيَّة، وألمح إلى بعض الظَّواهر الفنِّيَّة لهذه المجمُوعة القصصيَّة، وأشار إلى أنَّها: قصصٌ تضعُ القارئ في مخالب الوحدة والتَّشظي، بداية من عناوين القصص: تجلِّيَّات الأقدار، لعنة الكلمات، رحيلٌ، أطلالٌ، فزعُ الكوابيس، متاهاتُ التَّشظِّي ...إلخ، وأنَّ صاحبها يخلُصُ لواقعه، فجاءت كثيرٌ منْ قصصه معجُونةً بهُمُوم الواقع، وأنَّ هذه القصص تنوَّعت ما بين قصصٍ قصيرةٍ وأُخرَى قصصٌ قصيرةٌ جدًّا، وأنَّهُ كاتبٌ ناقدٌ لفنِّه احترامًا لقارئه، لذا كان مُقلًّا في كتاباته، ونتَّفقُ مع الأستاذ سالم العبَّار فيما فطن إليه في تقديمه من ملامح فنِّيَّة لهذه المجمُوعة القصصيَّة. وتُحاولُ هذه الدِّراسة أنْ تكشف جانبًا آخر منْ جماليَّات هذه المجمُوعة.

ذلك لأنَّ النَّصَّ الأدبيَّ (الجيِّد) يكُونُ الرَّحيلُ في أعْمَاقِهِ أشْبَهُ بالرَّحِيلِ إلى أعْمَاقِ البَحْرِ، ففي كُلِّ رِحْلَةٍ نَجِدُ الأَصْدَافَ واللآلئ والجواهر الجديدة، كذلك قراءةُ النَّصِّ الأدبيِّ(الجيِّد) مع كُلِّ قراءةٍ جديدةٍ -لأكثر منْ قارئ- نجدُ الجديد والجميل؛ لاختلاف الرُّؤَى وطريقة التَّناوُل والإبحار إلى أغْوَارِ النَّصِّ، وقُدرات القارئ وفطانته، وسأقفُ هُنا على "جماليَّات النَّصِّ السَّرديِّ" في هذه المجمُوعة، منْ حيْثُ الأداء الفنِّيِّ والقيم الدلاليَّة للنَّصِّ، والتي جاءت من خلال التَّشْكِيلِ الفنِّيِّ.

-2-

دراسةُ هذه المجمُوعة القصصيَّة تُملي على القارئ أنْ يجعل دراستهُ في محورين: المحورُ الأول: عن القصص القصيرة: ستُّ قصصٍ: (خربشاتٌ صبيانيَّةٌ – انتقامٌ – شواطئ الغُربة– المحفظة – تجلِّيَاتُ الأقدار– لعنةُ الكلمات). والمحورُ الثاني: (القصَّةُ القصيرةُ جدًّا، أو الأُقصُوصةُ)، وهي قصصُ باقي المجمُوعة سبعٌ وعشرُون أُقصُوصة: (ضجيجُ الصَّمت– انتشاءٌ– حُلُمٌ – انتظارٌ– ندمٌ – نهايةُ الحكاية– أقنعةٌ– القلبُ الذَّهبيُّ– متاهاتُ التَّشظِّي– أطلالٌ– رحيلٌ– حبكةٌ – تحايُلٌ– رحيلٌ– زخَّاتٌ– طيفٌ– مشوارُ العُمر– طوابيرٌ – فزعُ الكوابيس– فرارٌ– هجرة– مكاتيبٌ– ذاكرةٌ– دُرُوسٌ– سُؤالٌ– لا شيء– هُرُوبٌ) .

ذلك للاختلاف في تقنيات النَّصِّ بين هذين الصُّورتين من التَّعبير الفنِّيِّ القصصيِّ، فالقصَّةُ القصيرةُ نوعٌ من السَّرد يتَّصفُ بالقصر، وبمحدُوديَّة الأحداث، وقلَّة الشَّخصيَّات، ومحدُوديَّة الزَّمن والمكان، وتُقرأُ القصَّةُ القصيرةُ في جلسةٍ واحدةٍ، وتُعالجُ فكرةً أو قضيَّةً محدُودةً، على خلاف الرِّواية، التي تمتدُّ أحْداثُها وتتفرَّعُ عبر الزَّمان والمكان، وتتعدَّدُ الشَّخصيَّاتُ وتتنوَّعُ، وتتعدَّدُ أفكارُها ...إلخ، وأيضاً بخلاف القصَّة القصيرة جدًّا التي تتَّصفُ بالاختزال والتكثيف والإيجاز، وقد تجيءُ في سُطُورٍ محدُودةٍ كما سنرى في أقاصيص هذه المجمُوعة.

والكاتبُ في قصصه القصيرة – وكذلك في قصصه القصيرة جدًّا- نجدُهُ حريصًا جدًّا في إخراج نصِّه مُستوياً فنيًّا، دقيقًا في لُغته، وفي تناوُله، بدايةً من العُنوان كعتبةٍ أولى للنَّصِّ، وهذا انسحب على العُنوان الرَّئيسيِّ: (شواطئ الغُربة) للمجمُوعة، كما قال الكاتب في تقديمه لمجمُوعته: "إنَّهَا مُحَاوَلَاتٌ قصصيَّةٌ تَحْتَفِي بالغُرْبَةِ، بَلْ تَتَّخِذُ مِنْهَا عُنْوَاناً عَرِيضاً لَهَا، تَتَسَلَّلُ تلك الغُرْبَةُ بَيْنَ ثَنَايَا هَذِهِ المَجْمُوعَةِ، وأَجِدُنِي دُونَ أَنْ أَشْعُرَ أَكْتُبُ بِقَلَمٍ يَتَلَمَّسُ مَلَامِحَ الغُرْبَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ"، "فالعُنوانُ بهذه

الصِّياغة يُدلِّلُ عَلَى وَعْيِّ الكَاتِبِ ودِقَّتَهُ في اختيار عُنوان قصَّته، فالغُرْبَةُ التي عاشها الرَّاوي ليست غُرْبةً قد استفحلت، فَدَمَّرَتْ حَيَاتَهُ، لذا وصف هذه الغُربة مُنذُ البداية "شواطئ"، وليست أعماق، أو أغوار الغُربة، ولنا أن نُقارن بين استفحال الغُربة في رواية "سأهبُك مدينةً أُخْرَى" للفقيه، وبين هذه القصَّة، فخليلُ الإمام بطلُ الرِّواية أفقدتهُ الغُربةُ (الرُّوحيَّةُ كما عند خالد السَّحاتي) توازُنهُ...

فكان يسمعُ طرقاتٍ على الباب، وعندما يخرُجُ لفتح الباب لا يجدُ أحدًا، وكانت تُهاجمُهُ طُيُورٌ جارحةٌ، وعندما تقتربُ منهُ بمناقيرها الصلبة يصيحُ من نومه...إلخ، لذا فكَّر في الهُرُوب من واقعه والتَّنصُّل منْهُ، تارةً بالإبحار في الذَّاكرة وذكريات أيَّام دراسته في جامعة "أدنبرة"، وعلاقته بالمُجتمع الغربيِّ هذه الفترة (خاصَّة المرأة)، وتارةً بالسَّفر إلى جزيرة "عقد المرجان"، كإحدى بلاد ألف ليلةٍ وليلةٍ، وتارةً ثالثة، باصطناع قصَّة حُبٍّ طويلةٍ في عالم الوَهْمِ مَعَ سناء .

وجاءت صُورةُ الغلاف كعتبةٍ ثانيةٍ للمجمُوعة ولقصَّته "شواطئ الغُربة" إحدى قصص المجمُوعة لشاطئٍ كئيبٍ خاوٍ من البشر، وبحرٍ مُمتدٍّ ساكنٍ، وسفينةٍ بالقُرْبِ من الشاطئ، لا نَبْضَ فيها ولا حياة .

ومنْ عتبات النَّصِّ في هذه المجمُوعة: أنْ جعل لكُلِّ قصَّةٍ منْ قصصه صُورة تُقدِّمُها (على غرار صُورة الغلاف شاطئ هادئ ساكن، وسفينة خاوية، وبحرٌ لا يرحمُ)، والعُنوانُ والصُّورة تُعبِّران عن مقصديَّة القصَّة وعتبتان لقراءتها، ومن القصَّة الأُولى: "خربشات صبيانيَّة" حتَّى آخر أقصُوصة في مجمُوعته "هُرُوبٌ"، عُنوانُ القصَّة يقترنُ بصُورةٍ تكُونُ مفتاحًا وعتبةً لقراءة النَّصِّ، العُنوانُ عتبة أوَّل لقراءة النَّصِّ يفضي بالدلالة "ألاعيبُ الصِّغار" في المدرسة، وتربُّصُهُم بالمُدرِّسة التي تعتني بمكياجها بصُورةٍ مُقزِّزةٍ، ويصدُرُ منهُم أصوات مُشاغبة، تتطوَّرُ إلى رميٍّ حديدةٍ كانت بمقعد أحدهم فانكسر الزُّجاجُ، والنَّصُّ لهُ دلالةٌ أُخْرَى عميقةٌ ألا وهي: إذا توانى المُعلِّمُ في أداء رسالته، عبث التلميذُ بالعمليَّة التَّعليميَّة، وبالمُعلِّم، كما فعل الصِّغارُ، وضاعت قيمةُ التَّعليم، واللوحةُ التي جاءت قبل عُنوان القصّة (صمَّم هذه اللوحات: د. معتوق أبو راوي)، ونُلاحظُ في هذه اللوحات الطابع السُّرياليِّ، الذي لا يُقدِّمُ الصُّورة مُباشرةً بقدر ما تُوحي به ظلالها، فاللوحةُ بها ظلالٌ لامرأةٍ مُتفرنجة، يظهرُ كثيرٌ منْ جسدها، وكُتلةٌ حمراءُ على الأرض وشخصيَّةٌ مذهُولةٌ وخمسُ شخصيَّاتٍ، ثلاثٌ منها مُتجاورين، وكأنَّهُنَّ يُرِدْنَ الاحتماء مِنْ حدثٍ مُفاجئٍ، وقد كان في القصَّة في "تحطيم الزجاج"،

وشخصيَّةٌ مُندهشةٌ، أعتقدُ أنَّها شخصيَّةُ النَّاظر، وشخصيَّةٌ أُخْرَى لامرأةٍ يظهرُ أعلاها، شعْرُها المكشُوفُ، ونصفُها الأعلى، والنِّصْفُ الأسفلُ غيرُ ظاهرٍ تحت رُكام الصُّورة التي تلفعت بالأحمر والأسود، كُلُّ ذلك يُوحي بصُورةٍ مأساويَّةٍ كئيبةٍ، لا منْ آثار تحطيم الزجاج، ولكنْ في ظنِّي منْ آثار تدمير العمليَّة التَّعليميَّة، عندما جاء المُعلِّمُ غيرُ الكفء، الذي لا يحفلُ إلاَّ بالمظهر، لا بجوهر العمل التَّعليميِّ.

قصَّةُ "انتقام" تروي للحظة تذكُّر رجُلٍ لزوجته في عيد ميلادها الثلاثين، افترقا، ولكنَّ القصَّة –ولفنِّيَّتها العالية– لمْ تذكُرْ طريقة الافتراق وسببها، حيث أنَّهُ يركِّزُ على اللحظات الدَّراميَّة المزللة للبطل في حيرته وشوقه، وفي شاعريَّةٍ عاليةٍ يُعبِّرُ عنْ هذه اللحظة في قوله: "يَرْحَلُ عَبْرَ نَافِـذَةِ الحُلْمِ إِلَى عَيْنَيْهَا.... يَشْتَاقُ إِلَى كَلِمَاتِهَا الدَّافِئَةِ، إِلَى هُـرَائِهَا وَنَزَقِهَا الطُّفُولِي، يَمْتَطِي صَهْوَةَ الأَلَمِ، يَتَجَوَّلَ بِلاَ زَادٍ بَيْنَ بَقَايَا الخَوْفِ وَالْوَحْشَةِ، كَمْ هُوَ بَارِدٌ هَذَا المَكَانُ دُونَهَا... يُذَكِّرُهُ بِذَاكَ الْيَوْمِ الَّذِي احْتَفَلاَ فِيهِ بِعِيدِ زَوَاجِهِمَا لأَوَّلِ مَرَّةٍ، حِينَ أَشْعَلَتِ الشُّمُوعَ وَأَعَدَّتِ الْحَلْوَى الَّتِي يُحِبُّهَا، وَاسْتَطَاعَتْ رُغْمَ كُلِّ مَا فَعَلَ أَنْ تُغْمِضَ عَيْنَيْهَا وَتَقُولَ دُونَ تَرَدُّدٍ: "أَتَدْرِي أُحِسُّ أَنَّكَ تَسْكُنُنِي، تَقْبَعُ فِي دَاخِلِي، إِنَّك أَنَا أَيُّها الْعِزْبِيدُ وَكَفَى!"، أَحَسَّ حِينَهَا بِغَرَابَةِ كَيْنُونَتِهِ"، إنَّهُ الشَّوْقُ العارمُ الذي يجتاحُ الإنسان، كزلزالٍ مُدمِّرٍ، أو كعاصفةٍ هوجاء، أفقدتهُ توازُنهُ، فهام باحثًا عنها، في تخبُّطٍ دُون وعيٍّ، ولكنَّهُ لمْ يصل إلى مُبتغاه، وظلَّ حتَّى نهاية القصَّة، بهذه الصُّورة من القلق والتخبُّط باحثًا عنها، فالقصة لا تروي لحادثةٍ بقدر ما تُصوِّرُ حالةً نفسيَّةً اجتاحت الرَّاوي ...

وجاءت الصُّورةُ المُلحقة بالعُنوان كما ذكرنا عن سمات هذه الصُّور، صُورٌ سرياليَّة.. وُجُوهٌ مُتعدِّدةٌ لامرأةٍ في وجهٍ واحدٍ، لتُجسِّد لنا تفكير البطل في تذكُّره لهذه المحبُوبة في وجهها المُبتسم، وشعرها المُسترسل، وعينيها اللامعتين الوضيئتين... إنَّها امرأةُ الحُلم الذي ضاع منهُ، والقصَّةُ تُعبِّرُ عن مدى شوق المُحبِّ لمحبُوبته، وتحطيم النَّفسيَّة حين يفتقدُ المحبُوبة، وتظلُّ ذكراها في الأعماق مبعث ألمٍ وحُزنٍ وأسى، وتظلُّ – أيضاً– رمزا للمرأة الجميلة في كُلِّ تفاصيل حياتها. ونُلاحظُ على البناء الفنِّيِّ التَّماسُك القويَّ والتكثيف، واللغة الشَّاعرة التي صيغت بها القصّة في معْزُوفةٍ فنِّيَّةٍ مُتناغمةٍ جميلةٍ.

قصَّةُ "شواطئ الغُربة" التي اتَّخذتها المجمُوعة عُنوانًا لها، تُصوِّرُ لنا الغُربة الرُّوحيَّة والفكريَّة، وتجلَّت دقَّتُهُ اللغويَّة بدايةً من العُنوان: "شواطئ الغُربة" كما ذكرنا، الذي يُوحي بغُربةٍ يعيشُها الرَّاوي،

ولكنَّ هذه الغُربة لمْ تصل لمرحلة افتقاد الذّات، الرّاوي هُنا يشعُرُ بغُربته في بيته، يعيشُ مع أُسرته، وكأنَّهُ في بيتٍ آخر غير هذا البيت، يقُولُ: "بَدَتِ الْغُرْفَةُ الَّتِي يَجْلِسُ فِيهَا فِي حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا، أَوْرَاقٌ مُكَوَّمَةٌ هُنَا، وَسَجَائِرُ مَرْمِيَّةٌ هُنَاكَ، وَفَوْضَى عَارِمَةٌ لَمْ يَشْهَدِ الْمَكَانُ لَهَا مَثِيلاً مِنْ قَبْلُ... بُحَّ صَوْتُ الزَّوْجَةِ وَهِيَ تُنَادِيهِ لِيَتَنَاوَلَ طَعَامَهُ دُونَ جَدْوَى، فَقَدْ أَنْسَاهُ ذَاكَ الْهَمُّ الْمُنَغِّصُ الَّذِي يَنُوءُ بِحَمْلِهِ طَعْمَ الرَّاحَةِ وَالأَكْلِ، وَحَتَّى النَّوْمِ". حياة مشتتة غير مستقرة، وغربة سوداء كالحة، لافتقاد وصلات الحب والترابط مع الآخرين، عبر عن ذلك بقوله: "بَدَا وَحِيداً كَكَائِنٍ تَائِهٍ فِي كَوَاكِبِ النِّسْيَانِ الْبَعِيدَةِ، تَسَاءَلَ عَنْ جَدْوَى هَذِهِ اللَّحَظَاتِ الْبَاقِيَةِ، وَعَنْ قِيمَةِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا دُونَ رَفِيقٍ يُخَفِّفُ عَنْهُ وَعْثَاءَ السَّفَرِ"، ولكن رغم ذلك نجد شعورًا إنسانيًّا إيجابيًّا في محاولة النفس للرجوع إلى حياة الاستقرار النفسي والروحي، ولكن دون جدوى، رغم اقتراب زوجته منه وقيامها بتنظيم غرفته، واعتذارها في ردها عليه، ورغم وجود الأبناء ظلَّ هائمًا في غربته: "خَرَجَ بَاحِثاً عَنْ جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ يَرْسُو مَرْكَبُهُ الْمُحَطَّمُ عَلَيْهَا .. فَمَا لَبِثَتْ شُطْآنُ الْغُرْبَةِ تَدْعُوهُ لِسَبْرِ أَغْوَارِهَا مِنْ جَدِيدٍ..". إنها أزمة إنسان العصر شعوره العميق بالغربة عن مجتمعه وتشتته الروحي والفكري، ومرجع ذلك معاناة رجل العصر من مشاكل وأعباء الحياة ثقيلة اجتماعية وفكرية وسياسية، وترسبات نفسية غائرة في الأعماق يصعب حصرها وتجاوز مخلفاتها.

قصة: "المحفظة" تروي لجانبٍ من جوانب النفس الإنسانية، جانب مظلم لا يسلم منه كثير من البشر، ألا وهو الضعف البشري أمام حاجته للمال، حتى ولو كان الحصول عليه سيكون بطريقة غير مشروعة... رجل يذهب إلى المكتبة، يقرأ بوعي في كتاب من الكتب.. وكان قد تعوَّد على التدخين، وعندما أشعل سيجارته، أسرع إليه أمين المكتب ونصحه بالالتزام بقوانين المكتبة (عدم التدخين)، لم يستطع بقاء فترة من الوقت دون تدخين، ترك الكتاب والمكتبة مستعجلًا، فنسى هاتفه، ظنَّ الراوي أنه نسي محفظته، وهنا تقاذفته الهواجس: "هل أُسلِّمُها لأمين المكتبة؟ أم آخُذُها لنفسي؟، ففيها حلٌّ لكُلِّ مشاكلي، سأُسدِّدُ بها ديُوني، وأشتري بها لأطفالي كُلَّ ما يرغبُون به من ملابس ولُعبٍ وأقلامٍ مُلوَّنةٍ، ولكنْ.. أعُوذُ بالله، ما الذي يحدُثُ لي؟"، قدرة الكاتب على تصوير هواجس النفس وصراعها الداخلي أعطى النص قيمة فنية عالية، فتارة يرفض هواجسه الدنيئة، وتارة يفكر في استطلاع ما في هذه المحفظة، فإذا برنة تلفون تصدمه، وتوقظ حس أمين المكتبة

ليعرف أن هذا الرجل نسي هاتفه، ولم ينس محفظته. عاد الراوي ليؤنب نفسه كعادة كثير منا، عندما يستيقظ ضميره، فيقول: "أدركتُ عندها كمْ كُنتُ عجُولاً جهُولاً، سيِّء النَّوايا، بل أيقنتُ مقدار الطمع والخوف والشكِّ والعجلة التي تقبعُ في نفوسنا، وتأبى أن تُغادرنا مادامت أرواحُنا في أجسادنا ."

فالقصَّةُ تُصوِّرُ جانبًا من جوانب الضَّعْفِ النَّفسي في نُفُوسنا، ومنه حب المال، ومُحاولة إيقاف ضميرنا، وخلق التبريرات لنيل هذا المال، وأبدع في تصوير حركة النَّفس الدَّاخليَّة في توتُّرها، وميلها للاستحواذ عليها، (مُحاولةً معرفة ما تحتويه)، ثم لوم نفسه بعد ذلك...

وقصة: "تجليات الأقدار" تعكسُ لنا فكرة إنسانية عن الكون والحياة وهي أن الأقدار بيد مُسيِّرها، لا نعلمُ عنها شيئًا، وأن خفاء هذه الأقدار نعمة من النعم، فالشيخ الذي قابله الراوي على الشاطئ جاء ليصطاد، استجابة لهوايته وهربًا من وحدته، قابله هذا الشيخ الطاعن، فحكى لهُ عن مُشكلته (عدم الإنجاب)، وأقنعه الراوي بأنها أقدار المولى لعبرة يعلمه صاحبها، وتواعدا على اللقاء في الغد، ولكنَّهُ لمْ يأتِ، وفجأة وجد طفلًا يسأله عن انتظاره للشيخ، فأعلمه بصحة توقعه، فأخبره بموته، وهنا كان حزن الراوي، وتعليقه، الذي كنت أود أن يترك هذا التعليق، ليكمل القصة القارئ، "وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الأَقْدَارَ عَمِيقَةٌ كَالْبِحَارِ، وَلاَ نَرَى مِنْهَا إِلاَّ شَوَاطِئَهَا، وَمَهْمَا غُصْنَا فِي أَعْمَاقِهَا لَنْ نَصِلَ إِلَى النِّهَايَةِ ."

وكان من الأفضل أنْ يكُون ردُّ الرَّاوي على هذا الشيخ الطَّاعن في السِّنِّ، عندما حكى لهُ عنْ حُزنه لعدم الإنجاب أنْ يشتكي لهُ الرَّاوي عن سُوء أخلاق أبنائه، أو انحرافهم، ليجد في ذلك سلوى وتعزية لآلامه، والواقع يؤكد ذلك، فكم سمعنا وقرأنا عن العقوق في أعتى صوره، خاصة هذه الفترة زمن العولمة والتفسخ والانحلال، أو يحكي له عن إصابة أحدهم بعاهةٍ مُزمنةٍ تُنغِّصُ على الأسرة حياتها، ويتمنى له الموت لراحته، ليكون ذلك تعلة للشيخ بالرضا بالقدر، "وعسى أن تكرهُوا شيئًا وهو خيرٌ لكُمْ."

وفي قصَّة: "لعنة الكلمات" يستخدمُ القالب الأليجوري(2)، وفيه يتم تشخيص حدث ما بمجموعة من الشخصيات، هي رمز لشخصيات يقصدها الكاتب، للتعبير عن فكرة ما مسكوت عنها، تروي القصة لشيخ القبيلة الطاغية، الذي يتسلط على قومه في أفكاره وحياتهم، وفي قسوةٍ مُفرطةٍ "صوْتُهُ جهُوريٌّ صاخبٌ، عندما يتحدَّثُ تسكُتُ كُلُّ الأصوات، وتخرسُ كُلُّ الكلمات.. سمع اثنين ذات مرَّةٍ يتهامسان وهُو يتحدَّثُ في مجلس الأعيان والحاشية

المُقرَّبين، فما كان مِنْهُ إلاَّ أن نفاهُما إلى مكانٍ بعيدٍ.. وأمر بعدم رُجُوعهما.. ومنع حُرَّاس الغلال منْ حصَّتهم، ولمُدَّة أسبُوعٍ لتسلُّل فأرٍ إلى أجولة القمح.. كان قامعًا باطشًا... يمسك بفتيان قبيلته بتهم واهية... كل ذلك دعا شباب القبيلة للاجتماع والتصدي له، وعندما علم بالمُؤامرة قبض عليهم"، وكان العقلُ المُدبِّرُ لهذا الرَّأيِّ هُو ابنُ أحد الأعيان المُقرَّبين من الزَّعيم، وكان الحُكمُ عليه قاسيًّا، إعدامُهُ أمام مرأى ومسمع القبيلة، "كُلُّ ذلك أدَّى إلى تذمُّر القبيلة وكُرههم لقيادته، ومن الغيظ والحقد قام أخُو المقتُول بقتل الزَّعيم المُستبدِّ، وبالفعل قتله في خيمته وهُو نائمٌ، كان فرحًا بقتله، وأخذ يصيحُ: قتلتُ الطاغية... وبعدها سادت الفوضى والهرجُ والمرجُ"، وبدأت حوادثُ الانتقام الفرديَّة في الظُّهُور، بل غُزيت القبيلةُ من اللصُوص وقُطَّاع الطُّرُق لأوَّل مرَّةٍ في تاريخها، وسُرقت أرزاقُ الناس، ودوابهم، وأُسر بعضُ الرجال والنساء، وهرب البَعْضُ الآخر إلى القبائل المُجاورة للنَّجاة بأنْفُسهم، وأصبح عزُّ القبيلة وهيبتُها ذُلاًّ وهواناً، بعد موت زعيمها المُتجبِّر، غربت شمسُ الكبرياء والأنفة والحزم فجأةً، لكنَّ جيلاً جديداً من أبناء القبيلة ينتظرُ بيقينٍ قاطعٍ أن تُشرق شمسُنا من جديدٍ"، فالنَّصُّ يسردُ لرُؤية الكاتب التنبُّوئيَّة بالثَّورة، فقد ورد في افتتاح القصَّة أنَّ هذا النص كُتِبَ عام 2009م، ولمْ يُنشرْ في أيَّة جريدةٍ، أو وسيلة نشر أخرى، كأحد مواقع الإنترنت الأدبيَّة مخافةً من الاصطدام بالسُّلطة، والزَّعيمُ هُو القذافي، وكان مشهُوراً بهذا اللقب (الزَّعيم، ولقبُ شيخ في ليبيا أكثر انتشارًا وارتياحًا بين الناس)، وظلَّ طيلة حياته لا يُطلقُ على نفسه رئيس دولة، ولكنَّ (الزَّعيم الليبيَّ) والقبيلة تُقابلُ ليبيا كبلد واحد مثلما "القبيلة"، وقسوةُ زعيم القبيلة يُقابلُها قسوةُ القذافي المُفرطة، وما فعلهُ مع قائد التآمُر عليه في القصَّة، يُوازي ما فعلهُ القذافي مع "أحمد حوَّاس ورفاقه" عام 1984م، حيثُ أمر بشنقهم في أماكن إقامتهم، مع بثِّ هذا الحدث على شاشة التلفاز، وأمام الرأي العامِّ العالميِّ، وقبل الإفطار في رمضان، ولولا تدخُّل إحدى الدُّول العربيَّة بعدم إذاعة تنفيذ الإعدام على الهواء في التلفاز؛ مُراعاةً لحُرمة الشَّهر الكريم. وشُيُوعُ الفوضى بعد قتل الزَّعيم حدث بالفعل؛ لأنَّ هذه القيادات لمْ تصنعْ أجيالًا قياديَّة للمُستقبل، لذا تعيشُ البلادُ في فترةٍ من التَّوتُّر والاضطراب، وهذا ما حدث في بلاد ثورات "الربيع"، ولكنْ هُناك خيطُ أملٍ أتمنَّى أنْ يكُون قدْ تحقَّق للكاتب ولنا، في آخر مرحلةٍ من مراحل الحوار السِّياسيِّ، (بَعْدَ العُنْفِ الذي وصل ذروته في المُواجهات العسكريَّة التي شهدتها البلاد في السَّنوات الماضية)،

بتولي السُّلطة التنفيذيَّة الجديدة للبلاد، وهي مُكوَّنةٌ منْ رئيس المجلس الرئاسي الجديد محمد المنفي، ونائبيه موسى الكوني، وعبد الله اللافي، ورئيس الحكومة عبد الحميد دبيبة.

-3-

تشملُ هذه المجمُوعة – كما ذكرنا – على سبع وعشرين أقصُوصة، أو قصَّة قصيرة جدًّا، والقصة القصيرة جدًّا أو الأقصُوصة، محدُودُة الحجم، والشَّخصيَّات والأحداث، تردُ في سُطورٍ قليلةٍ، وتُقرأ في دقائق معدُودة، تتَّصفُ "بالخفَّة والسُّرعة والقصر، وبتوخِّي التَّأنُّق الشَّديد، في اختيار الألفاظ؛ وذلك ليقع موقعًا أخَّاذًا في النَّفس، ويدُور على الألسنة". (3). ومنْ جماليَّات هذا الفنِّ اعتمادُهُ على الإيحاء والإخفاء، ودعوة القارئ إلى المُشاركة في إنتاج المعنى"(4)، فكاتبُ الأقصُوصة الحديثة مُضطرٌّ إلى رُؤية العالم بطريقةٍ مُعيَّنةٍ، لا تنبثقُ مع مناخ الأزمة المُعتادة فحسب، ولكن من طبيعة الشكل الأدبيِّ للأقصُوصة، الذي يجنحُ إلى تحليل التَّجربة الإنسانيَّة، بطريقةٍ اختزاليَّةٍ إلى عناصرها الأولى (5) ."

ويُشترطُ لنجاح الأقصُوصة ضرُورة توافُر ثلاث خصائص رئيسة: وحدة الأثر أو الانطباع، ولحظةُ الأزمة، واتِّساقُ التَّصميم (6)، فإدراكُ الكاتب لجوهر وقيمة هذه الخصائص، وقُدرته على تصميم عمله الفنِّيِّ (أعني الأُقصُوصة) بتوافُر هذه الخصائص الفنِّيَّة في عمله، ليتوافر في الأقصوصة الجمالُ الفنِّيُّ المُؤثِّرُ في النُّفُوس، ويكُون نجاحُ عمله الفنِّيِّ.

و كما يقُولُ أوكونور: "طبيعةُ التَّجربة هي التي تُملي على المُبدع شكل العمل الفنِّيِّ، فهُناك تجربةٌ تحتاجُ إلى هذا الشَّكل المُكتنز"، ففي القصَّة القصيرة جدًّا -كما ذكرنا- نجدُ الإيجاز، وتكثيف الدلالة، ووحدة الانطباع، ومُشاركة المُتلقِّي معهُ في إيجاد المعنى، فالتَّعبيرُ عنْ موقفٍ، أو حالةٍ وجدانيَّةٍ في صُورةٍ مُختزلةٍ، تعتمدُ على الإيحاء تدعُو القارئ لمُشاركة الكاتب في إيجاد الدِّلالات المُتعدِّدة، التي ألمح إليها العمل الفنِّي، دُون أنْ يُصرِّح بها، ويُقرها، إضافةً إلى اللغة الشِّعريَّة التي تُجسِّدُ ظلال المعاني، وما يُخفيه المُبدعُ عنْ قارئه في غلالةٍ رقيقةٍ، هذا ما تتَّصفُ به الأُقصُوصةُ في مجمُوعة خالد السَّحاتي، حيثُ الاقتصادُ في الشَّكل، والتَّكثيفُ في الدلالة، وجودةُ التَّصوير، واختيارُ لحظةٍ مُفعمةٍ بالمشاعر، وهُنا نستدعي تشبيه أحدهم للقصَّة القصيرة جدًّا بالقُنبلة التي تُلْقى منْ طائرة، يكُونُ هدفُها الأساسيُّ هُو المُسارعةُ بإصابة الهدف، بكُلِّ طاقاتها الانفجاريَّة.(7) أمَّا لحظةُ الاكتشاف عند

المُتلقِّي، فتُعرفُ بلحظة الاكتشاف المُفاجئ الخارق Epiphany ، فهُو خصيصةٌ جوهريَّةٌ منْ خصائص نوع القصَّة القصيرة.(8) ولا يكُونُ ذلك إلا بجودة التَّوصيل للتَّجربة؛ ومرجعُ ذلك امتلاكُ الكاتب لأدواته الفنِّيَّة، ووعيُ الكاتب بأدواته يُساعدُهُ على خلق (وحدة الأثر) يُخرجُهُ هذا الوعيُ مع الحساسيَّة الفائقة، بتناسُق العناصر والجُزيئات المُكوِّنة للعمل القصصيِّ، ولا يعني وحدة الانطباع حُسن تنسيق جزيئات الأقصُوصة، ولكن مقدرة الكاتب على لمِّ الشَّتات، أو العناصر المُتنافرة في ربقةٍ فنِّيَّةٍ مُتناغمةٍ، لتعكس لنا مُفارقةً من مُفارقات الواقع، أو تضارُب المشاعر والأحاسيس. أمَّا عن لحظة الأزمة فهي لحظةُ الكشف والاكتشاف، ولذلك سمَّى جويس هذه اللحظات بالإشراقات، أو الكُشُوف، أو الفُتُوحات، بلغة الصُّوفيَّة.(9) إنَّ مقدرة الكاتب على اقتناص لحظة الإشراق الفنِّيِّ، لحظة التَّوتُّر التي تُعطي، والتي تأتي في صُورةٍ فنِّيَّةٍ تلقائيّاً، لتُفجِّر لحظةً شُعُوريَّةً مُكثَّفةً بالإيحاءات والإشراقات الإنسانيَّة، وغالبيَّةُ قصص هذه المجمُوعة –كما ذكرنا– من هذا النَّوع القصصيِّ، لا تعتمدُ على السَّرد لأحداثٍ بقدر إثارة حالةٍ وجدانيَّةٍ، أو إنْسانيَّةٍ، مع التَّركيز على اللحظة الدَّراميَّة لاتِّقاد الحدث، وجودة التَّصميم الفنِّيِّ المُحكم، لصُنع نصٍّ يُثير ذهن المُتلقِّي، فيُشاركُ المؤلِّفَ في صناعته، وقد ألمح الكاتبُ في أقصُوصة "حبكة" إلى كثيرٍ منْ خصائص وسمات هذا الفنِّ القصصيِّ، يقُولُ في هذه الأقصُوصة: "بدأ أخيراً في كتابة أقصُوصته الجديدة... أخذ يرسمُ خيُوطها بعنايةٍ، بَدَتْ حَبْكَتُها الدَّرامِيَّةُ مُحْكَمَةَ التعقيد والاختزال، بياضُ الورقة أمام قلمه القَديم يُغري بمزيدٍ من الانغماس في بُحُور الكتابة اللامُنتهية، الشَّخصيَّاتُ والتَّفاصيلُ تلتمعُ في ذاكرته المُترعة بالتناقُض، تُومضُ بشدَّةٍ، فيكتُبُ قليلاً ثم يغلبهُ النعاسُ فيتوقفُ مُستسلماً لسُلطان النوم".. هذا نصُّ الأقصُوصة، مُوجزٌ مُكثَّفٌ، يتضمَّنُ كثيرًا منْ ظلال المعاني، الحبكة الجيِّدة، المُعاناةُ في صُنْعٍ مُختزلٍ بهذه الصُّورة، مُعايشةُ النَّصِّ بكُلِّ قواهُ الذِّهْنيَّة والوجدانيّة.. وإنْ لمْ يذكُر مُشاركة القارئ، ولكنَّ النَّصَّ يُرغمُ القارئ على التَّفاعُل معهُ لخلق المَغْنَى ودلالته العميقة .

أقصُوصةُ "ضجيج الصَّمت": ومن العُنوان يلجأ الكاتبُ إلى لُغة المُفارقة على حدِّ تعبير بروكس، وهي اللغةُ الَّتي تتضمَّنُ النَّقيض، (الصَّمتُ لهُ ضجيجٌ)، الصَّمتُ يضيقُ من الصَّمت، فلمْ يعُدْ يحتملُ صبرًا فوق صبره، فيذهبُ إلى ناحية السَّراب، ليُفرغ لهُ كمِّيَّة الصَّخب الَّتي تمُورُ في رَوْعِهِ، وعنْدها يُدركُ السَّرابُ قيمة

الصَّمت، فيمْدحُهُ بأنَّهُ منْ ذهبٍ، وقد ورد فِي الأثر: (إذا كان الكلامُ من فضَّةٍ، فالصَّمْتُ من ذهبٍ)، يتبادلان الأدوار، فيُصبحُ السَّرابُ هُو "الصَّمتُ"، يثُورُ السَّرابُ، ويملأُ الكَوْنَ ضجيجًا، وعنْدها يذهبُ صُرَاخُهُ أدراج الرِّياح، فالأُقصُوصةُ صَوَّرَتْ لنا كيف يتماهى الرَّاوي فِي الصَّبْرِ والصَّمْتِ.. وحتَّى عندما فاض به الكيلُ ذهب صُراخُهُ هباءً منثُورًا. الأُقصُوصةُ تُعبِّرُ عن مدى مُعاناة إنسان العصر فِي تحمُّل ويلات الواقع، حتَّى ولوْ تحلَّى بالصَّبْر والصَّمْتِ، لا قيمة ولا جدوى منْ صَمْتِهِ وصَبْرِهِ؛ فلا حياة لمنْ تلُوذُ بهم.. إنَّها أُقْصُوصةٌ تُجسِّدُ فكرةً فِي صُورةٍ أدبيَّةٍ جميلةٍ، وهُنا تعلبُ اللغةُ دورها فِي تجسيد هذه الفكرة، وفِي صُورةٍ شاخصةٍ أمام أعيُننا لنجد الصَّمت يتحاورُ مع السَّراب الذي يُجِيبُهُ ويُشْفقُ عليه، إنَّها لُغةُ الوجدان والرُّوح، لا لُغةُ العقل والمنطق الَّتِي تتَّصفُ بمحْدُوديَّتها والتَّماهي فِي دقَّتها، يقُولُ: "حَاوَلَ إِيهَامَ نَفْسِهِ أَنَّهُ بِخَيْرٍ، لَكِنَّ هَذَا الْهُرَاءَ لَمْ يَرُقْ لَهُ!، فَذَهَبَ نَاحِيَةَ السَّرَابِ لِيُفْرِغَ فِي وَجْهِهِ تِلْكَ الشُّحْنَةَ مِنَ الصُّرَاخِ وَالصَّخَبِ اللَّذَيْنِ يَنُوءُ بِحَمْلِهِمَا لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، تَنَاهَى إِلَى سَمْعِ السَّرَابِ ضَجِيجٌ مُزْعِبٌ، لَمْ يَعْرِفْ مَصْدَرَهُ، وَحِينَ أَبْصَرَ الصَّمْتَ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ أَفْزَعَهُ مَا رَأَى ."

وفِي قصَّة: "انتشاء" يُجسِّدُ لنا شُعُورًا داخليًّا لرجُلٍ يسترجعُ ذكرياته مُنذُ ثلاثين عامًا، يتصفَّحُ ألبُوم صُوره وهُو يُكَرِّم كمُعلِّمٍ، "انْتَشَى فَرَحاً، وَامْتَلأَتْ نَفْسُهُ حُبُوراً لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَحَوَّلَ إِلَى حُزْنٍ قَاتِلٍ، أَلْقَى الصُّوَرَ مِنْ يَدِهِ، وَشَرَعَ فِي بُكَاءٍ طَوِيلٍ".. الأُقصُوصةُ تُصوِّرُ مشاعر إنسانيَّةً نديَّةً لتبدُّل الأيَّام وتغيُّر الأحْوَالِ، الإنسانُ والزَّمَنُ، والغلبةُ دائماً للزَّمن، لقد تقدَّم به العُمُرُ، وضاعت أيَّامُهُ ولياليه العذاب، وأصبح ينتظرُ المَوْتَ، ومع تقدُّم الأيَّام ضاعت قيمتُهُ فِي مُجتمعٍ لا يحْفلُ بقيمة الفَرْدِ.

أُقصُوصةُ "حُلُم" تُصوِّرُ لنا فكرةً إنسانيَّةً، ألا وهي "ضياعُ الحُبِّ"، فبدا غريبًا تائهاً فِي زمنٍ مات فيه الحُبُّ، فلمْ يجد أنيسًا لهُ، عاش فِي عُزلةٍ مُغتربًا، ولكنْ وسط دوَّامة هذه المتاهة، فما زال الأملُ فِي النَّفس بالحُلُم بحُبٍّ جديدٍ لغدٍ جديدٍ.. فالأُقصُوصةُ تُصوِّر لحالةٍ، ولا تروي لمشهدٍ، أو حدث بتفاصيله وجُزئيَّاته.

أُقصُوصةُ "انتظار" تُصوِّرُ افتقاد الأمل فِي الغد، أو الأيَّام القادمة، فرغم هُدُوء الكون، القمر المُضيء، والحديقة الهادئة الحالمة، والليل الصَّامت... رغم كُلِّ ذلك فلمْ يعُدْ هُناك "انتظارٌ" لوقتٍ جميلٍ... فالأقصُوصةُ تُصوِّرُ لشُعُورٍ يعترينا كثيرًا، فنشعُرُ بمللٍ وضيقٍ وضجرٍ مع فقد الأمل

بالغد الجميل، ورفض أيِّ توقُّعٍ بذلك، حتَّى ولو بدت الطبيعة منْ حولنا جميلةً زاهيةً .

أُقصُوصةُ "ندم" تُجسِّدُ لنا استفحال الجانب الطينيِّ في الإنسان، وبصُورةٍ فنِّيَّةٍ واعيةٍ، وفي عالمٍ خياليٍّ فانتازيٍّ، ومنْ خلال حوارٍ بين نبتة الزَّعتر وشجرة الكرز، تسألُ الأولى الثانية: هل يُريدُ البشرُ الخير لنا، مُشيرةً إلى دبَّابةٍ هُناك في السَّهل.. فإذا بالدبَّابة ترْمي قذيفةً مُدمِّرةً، فمزَّقت التُّربَة بما عليها، وهُنا ندمت نبتةُ الزّعْتَرِ على السُّؤال... فهذه نُصُوصٌ تُومِئُ ولا تُصرِّحُ، وتُوحِي ولا تُقرِّرُ...إلخ، فالنَّصُّ يُثيرُ علامة استفهامٍ مؤسية: لماذا يعتدي الإنسانُ على الطبيعة؟!، أليس ما نسمعُ عنهُ، أو ما نراهُ في برامج مُعيَّنة عن التفاعُلات النَّوويَّة وتجريبها على مناطق خالية من الكُرة الأرضيَّة جريمة أخلاقيَّة؟! متَّى ضرَّت الطبيعةُ الإنسان ليُفكِّر في تدميرها؟

أقصُوصة "نهاية الحكاية" أقصُوصةٌ تختزلُ حياةً بأكملها في لحظات تأمُّل أبٍ لصُورة أولاده الذين رموهُ في دار المُسنِّين ردًّا لجميله معهُم في تربيتهم، وهُنا انتابته أزمةٌ قلبيَّةٌ، فلمْ يستطعْ تحمُّلها، وسقط ميِّتًا..

أقصُوصةُ "أقنعة" تُصوِّرُ لنا زيف المشاعر بين المُحبِّين في تلك الفترة، هُو رجُلٌ لعُوبٌ، وماضيه يشهدُ بذلك، وهي تُريدُ أنْ تخرج منْ فترة الرَّتابة التي رانت على قلبها، خاصَّةً بعْدَ مرض أبيها، داعبها، تودَّد إليها، لتزجية الوقت، ولكنَّهُ أخلى بها، في اليوم التالي بحثت عنهُ فلمْ تجدْهُ.. هذا التَّصرُّفَ جعلها تُصِرُّ على افتراس أيِّ رجُلٍ يقتربُ منها بعد ذلك.

وقريبٌ منْ هذه الدلالة لزيف المشاعر ما صوَّرته لنا أقصُوصةُ "القلب الذَّهبيِّ" لزيف مشاعر امرأةٍ على خلاف الأقصُوصة السَّابقة زيف مشاعر الرَّجُل، أخلص لها، ومنحها كُلَّ ما يملكُ، بذل مالهُ لإرضائها، ولكنَّها تُفاجئُهُ برسالةٍ تقُولُ: "إنَّها لا تستطيعُ الحياة معهُ؛ لأنَّهُ مغرُورٌ ومُخادعٌ... إلخ)، والأقصُوصةُ تُصوِّرُ للمُفارقة بين الحُبِّ بإخلاصٍ وتناصل الطَّرف الآخر لهذا الحُبِّ...

أقصُوصةُ "متاهات التَّشظِّي" تُصوِّرُ لنا الاغتراب الذي يُحيطُ به، ولا يستطيعُ تجاوُزهُ، ولا يعلمُ مداهُ وأسبابهُ، يقُولُ: "أَبْدُو وَحِيداً، أَقْتَفِي أَثَرَ الزَّمَنِ، وَأَبْحَثُ عَنْ موطئ قَدَمَيْهِ فِي دُرُوبِ الضَّيَاعِ، وَمَدَائِنِ الْوَحْشَةِ، لَكِنَّنِي لَمْ أَجِدْ أَحَداً، وَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتاً!، سِوَى دُمَىً جَامِدَةً، تَيَبَّسَتْ شِفَاهُهَا، وَمَنَازِلَ فَارِغَةً وَهِيَ مَلأَى، وَأَنْفُسٌ غَابَ عَنْهَا تِرْيَاقُ الْمَحَبَّةِ الزَّاكِي، فَضَاعَتْ فِي مَتَاهَاتِ التَّشَظِّي."

وأقصُوصةُ "أطلال" ترسُمُ صُورةً لتحوُّل الدِّيار إلى أطلالٍ بعد رحيل أهلها، فالبيتُ عامرٌ بالحركة والحياة بساكنيه، وبعد موتهم تحوَّل إلى طللٍ بالٍ صامتٍ ومُوحشٍ...إلخ .

لا يُوجدُ أحدٌ هُنا، كان هذا البيتُ يوماً يستولي على مكانةٍ أثيرةٍ في قلبه، تحوَّلت جُدران البيت إلى أطلالٍ مُخبَّأةٍ في ذاكرته، تحملُ كُلٌّ منها قصَّةً لمْ تُرْوَ لأحدٍ بعدُ، عن طُفُولته وشبابه، عن عذابات عُمرٍ مضى، ولحظات نزقٍ ذهبت ولن تعُود، سلَّم على أرواح أهل البيت جميعاً، قرأ لهُم فاتحة الكتاب.

-4-

على هذه الصُّورة من الأداء جاءت أقاصيصُ المجمُوعة مُمتعةً، طازجةً في فكرتها وأدائها الفنِّيِّ، تُثيرُ قضيَّةً ما ،أو فكرةً إنسانيَّةً، دُون ترهُّلٍ في البناء، أو حشْوٍ، أو تكلُّفٍ، الأُقصُوصةُ مُكثفةٌ بالأحداث والدلالات، ممَّا يشحذُ طاقات القارئ لإدراك هذه الدلالات، وللوُقُوف على المسكُوت عنهُ، وكشف الأحداث المُتوارية التي نستنتجُها ونستشفُّها استشفافًا، وجاء عُنوانُ القصَّة – وكذلك الأُقصُوصة- عتبةً أُولى لقراءتها، وجاء مُلحقًا بها صُورةٌ سرياليَّةٌ، جاءت مُناسِبةً للتَّعامُل مع النِّصِّ، الذي لا يُفضي بدلالته بصُورةٍ مُباشرةٍ، فلا بُدَّ منْ إعمال الفكر ومُشاركة الكاتب في نسج النَّصِّ، وهذا ما نادى به مُنظِّرُو نظريَّة التَّلقي (مُشاركةُ القارئ للمُبدع في خلق النَّصِّ وصُنع الدِّلالة)، وجميعُ القصص السَّابقة التي وقفنا عليها يتوافرُ فيها هذا الملمحُ، وهُنا نقفُ على أقصُوصتين: أقصُوصةُ "رحيل"، التي أهداها إلى أُمِّهِ، تذكَّر أُمَّهُ التي كانت تُرتِّبُ حُجرته وحدبها عليه، ولنْ يُصدِّق أنْ أُمَّهُ قدْ رحلتْ، وأثارته الفوضى التي وجدها في حُجرته، ولكن رغم ذلك ستظلُّ في ذاكرته رمْزًا وذكرى وكيانًا خالدًا، وإنْ رحلت جسدًا، فمازال حنانُها وحُبُّها باقيًا. وأقصُوصةُ "تحايُل" تُصوِّرُ الغُربة والوحدة والاغتراب، أبٌ يعيشُ لوحده بعد رحيل زوجته وافتراق أبنائه، كُلٌّ واحدٍ منهُم مع أسرته، طلب منهُم أنْ يزُورُوهُ كُلَّ يومٍ، ولكنَّهُم خذلُوهُ، ورموهُ في دارٍ للمُسنِّين، استيقظ من نومه على صوت مُمرِّضةٍ ثلاثينيَّةٍ جميلةٍ في دار المُسنِّينَ تقُولُ لهُ: "تفضَّل الإفطارَ يا عمِّ!"، تفاجأ من هَوْلِ الصَّدْمَةِ، ثمَّ أدرك مُتأخِّراً أنَّ أبناءه فعلُوا ذلك، ولمْ يبروهُ، فالعُنوانُ في الأقصُوصتين: "رحيلٌ" و"تحايُلٌ" عتبتان لقراءة النَّصِّ، وجُزءٌ من تـَصْمِيمِهِ الفنِّيِّ.

خاتمةٌ :

مجمُوعةُ "شواطئ الغُربة" لخالد خميس السَّحاتي مجمُوعةٌ قيِّمةٌ وجديرةٌ بالاقتناء

والقراءة، وهُناك مقُولةٌ قرأْتُها ذات يومٍ وراقتني: "إذا قرأتَ كتابًا، ووجدت نفسك بعد فترةٍ أنَّك تُحِبُّ الرُّجُوع لقراءة هذا الكتاب مرَّةً ثانية، فاعلم أنَّك قرأت كتابًا جيِّدًا ومُفيدًا"، وهذا ما ينطبقُ على هذه المجمُوعة القصصيَّة، فبعد فترةٍ ليست بالبعيدة سأشتاقُ لقراءتها.. وسأقرأُها، وسأجدُ فيها الجديد والجديد؛ لأنَّ العمل الجميل لا تُحدُّ جماليَّاتُهُ، وما يفطنُ إليه القارئُ في كُلِّ مرَّةٍ.

هوامش الدراسة:

1-خالد خميس السَّحاتي: شواطئ الغُربة، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، 2019.

2-الليجوري Allegory: يُطلقُ عليها الاستعارة الرَّمزيَّة، ويُقصدُ بها: "تجسيدُ الأفكار في شخصيَّات، تُمثِّلُ تصرُّفاتها، وما تعنيه تلك الأفكارُ، أي أنَّ المُؤلف يُقيم علاقة واحد بواحد بين الفكرة والشخصيَّة، بحيثُ يُمكنُ للذِّهن أنْ ينتقل من الصُّور إلى مدلُولها، بمُجرَّد إدراك العلاقة بينهُما ."كلام: د. محمد عصفور، مترجم كتاب: مفاهيم نقديَّة، لرينيه ويلك، سلسلة: عالم المعرفة، الكويت، رقم: (110) فبراير، 1987م، هامش ص276.

3-فخري قسطندي، "فن الإبيجرما عند طه حسين"، مجلة: فصول، القاهرة، المجلد: 3، العدد:4، أغسطس 1983م، ص 12.

4-راجع: د.خيري دومة، تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة: (1960-1990)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص251.

5 -د. صبري حافظ، "الخصائص البنائية للأقصوصة"، مجلة: فصول، القاهرة، المجلد: 2، العدد: 4، يوليو وأغسطس وسبتمبر1982، ص23.

6 -راجع: المرجع السابق نفسه، ص27.

7 -راجع: المرجع السابق نفسه، ص24.

8 -راجع: د.خيري دومة، تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة، مرجع سبق ذكره، ص255.

9- د.صبري حافظ، "الخصائص البنائية للأقصوصة"، مرجع سبق ذكره، ص27.

قراءة في القصة القصيرة "الرصيف" للكاتبة عزة المقهور

إخلاص فرنسيس *

الرصيف هل هو رصيف الحياة أم رصيف العمر أم هو الرصيف الممتدّ على طول الشارع الذي يحفظ حقّ السير للمشاة وسلامتهم؟

قد استخدم الشعراء والكتّاب تعبير الرصيف للإشارة إلى التهميش أحياناً، وإلى المقاهي الممتدّة بمحاذاته أحياناً أخرى وهي تضجّ بالحياة، وأيضاً هو نوستالجيا تنتهي عليه معظم الأحداث وقصص الحبّ، وعليه تتكوم أوراق الخريف التي تتساقط، تلمّها الريح في إحدى الزوايا. لكن هل تنتهي الحياة هنا؟

هناك ربيع، وعلى هذا الرصيف بالذات ستورق من جديد الأشجار، وسوف تظلّل أزقة الحياة، وعلى ذلك الرصيف أزهرت الحرّية، وظلّلت نفس إنسانة أدركت معنى الزمان والمكان .

الحاسوب أحياناً أدفأ من صدر رجل غير مبال وأجوف. أفتح الحاسوب، أداعب مفاتيحه قبل أن تتركني دمعتي الدافئة، وترحل مع تلك المرأة التي عشقت الحرّية، فمارستها على الطير. لم تطق فكرة الحبس للعصفور الذي "ولد حرًّا"، فأطلقته. لم تأتِ الكاتبة على ظروف خروج الزوجة من سرير زوجها، وتركت لكلّ منّا أن يرى الأسباب التي رأتها بطلة القصة حين بدأ يضيق بها سرير الشريك وسريرته، فانتقلت إلى البحر الأزرق، إلى الكنبة، ككتلة متوهّجة من الصمت والعنفوان، بركان يستلقي في هدوء، لا يشغلها مشاغل العالم، ولا الرجل الذي انشغل عنها بتقسيم معادنه ورسم الخطوط. رجل يشبه إلى حدّ كبير تلك المعادن.

على زاوية الشارع لحظة اللا عودة، هي زاوية مفترق في عمر الإنسان قرارات حاسمة. إن عدنا إلى علم الرياضيات فالزاوية القائمة هي 90 درجة، ولا يستطيع أن يرى الإنسان الذي يقف على هذا الطرف منها الطرف الآخر، وفي لمح البصر يختفي. بطل القصة ظاهريّاً رجل يهتمّ بالصلاة متمّماً واجباته الدينية، وداخليّاً هو ملحد المشاعر. الندم لا ينفع، البكاء على الأطلال عجز، فكريّاً كلّ ما يفكّر به الممتلكات، ماذا يملك، وماذا تملك. هي: البيانو لا تريده لأنّه يذكّرها به، لا تسليم ولا قبول، " قلت لها إنّ البيانو غالٍ، وأنا أكتبه في الورقة، لم تردّ، واعتبرت أنّ هذا تسليم وقبول منها ".

من كلّ هذه الأشياء التي حولها لم ترد إلّا الحاسوب الذي احتوى على كلّ مشاعرها التي كانت تدوّنها في لحظات متباعدة ومتقاربة. الرصيف الآخر، لم يبتلعها الأفق بل اندفعت بكلّ قدرتها فاتحة ذراعي روحها نحو الحياة، لم يبتلعها الأفق بل كان خروجاً من ظلمة القبر إلى النور المعلن، لم يبتلعها الأفق بل تلك الدقائق القليلة كانت كفيلة بأن تذهبها إلى الحرّية بخطى وئيدة، ثمّ تستدير وترحل. على ذلك الرصيف أعلنت بجرأة قرارها، وفي خطوة واحدة أنهت عشرين سنة من العيش في تلك الغرفة التي ضاقت بها.

الكون يضيق عندما نفقد القاسم المشترك مع الشريك، مع الآخر أيّاً كان، كما ضاق صدر الشريك بها، ذلك الشريك الذي بدأ بقسمة الأشياء، يضع خطوطاً، ويسجّل لوائح، ينتظر بفارغ الصبر وبقلق اليوم الذي تغادره.

في صمتها قوة كان يخافها، يخاف أن تبقى، تقاسما السقف والحجر والغرفة، ولكن لم يتقاسما الحياة، بل كانا أبعد ما يكون عن بعضهما، هي امرأة من نور، لا مكان للظلمة في حياتها، ولا تريد الاختباء خلف الستائر المعتمة الخشبية، النوافذ والضوء رفيقاها، تأنس بهما كما تأنس السماء بتلألؤ النجوم الحرّة في الجلد.

لم تولد لتحيا خلف الأبواب المسمطة، الضجيج لا يناسب روحها، العصافير أصدقاؤها والنباتات وكلّ ما في الكون من جمال طبيعي. كم هي عجيبة تلك المرأة، تسأله: لماذا يريد منها الرحيل، لحظة أقلّ ما نستطيع أن نقول فيها "اعرف نفسك" وكأنها أرادت أن تعلن له ذاته، أن يقف على الأسباب التي دفعتها لهجره أولاً، إلى الكنبة الزرقاء، وقرار الطلاق لم يكن قرارها، وبالتالي لماذا كان هذا القرار؟ لم تكتف الكاتبة أن تصف لنا اهتمامه الصلف في إحصاء محتويات المنزل والمطبخ والأواني، والإتقان في عدّها بل أرادت أن نقف على داخله الذي لا يبدو

مفاجئاً من خلال ضحكته العالية المستفزّة. يستعجل طردها من حياته، ولكن السؤال الأجدر بنا أن نسأله هل كانت جزءاً من حياته؟ يخاف على المحسوس، وهي تبحث عن روحه، تريد سبر أعماقه. أتت الساعة التي وضعت الأشياء في نصابها، لماذا في آخر يوم تعمّدت أن تصفف شعرها، وتبدو في هيئة جميلة؟ هل الإهمال من طرف الشريك كان قد دفعها إلى عدم الاهتمام بمظهرها؟ أم أرادت أن تريه الصورة التي يراها هو فقط، صورة المظهر الخارجي دون أن يتكبّد عناء الولوج إلى أعماق روحها؟ هل أرادت له أن يندم على قطعة الأثاث التي هو على وشك أن يخسرها؟

أعدّت له الوليمة الأخيرة، عشاء فاخر، وارتدت ربيع الحياة القادمة، فستان مزهر، وغلفت قدميها الناعمتين في حذاء رقيق تتأهّبان للخروج بلا عودة، ولم تغفل عن أن تسدل له الستائر، وتغلق على روحه الذي قد سبق، وأسدل ستائرها، وأغلق على ذاته في قوقعة الأنا، لا يرى سوى الذات.

تكة الباب بهدوء أيقظته، ولكنّه بقي في ظلام روحه، وعمى بصيرته والإحساس الميت، الأشياء في أماكنها تشعره بالاطمئنان، وماذا عن الإنسان؟

هي لم تعد هنا، خرجت من زنزانة العلاقة غير المتكافئة بخطى واثقة نحو الرصيف الآخر، إلى الضفّة الأخرى من الحياة، وإلى صدرها تضمّ الشيء الوحيد الذي استوعب روحها. أوقدت مفاتيحه شعلة الحرّية، احتضنت حاسوبها مخلفة وراءها رجلاً غضوباً شغل وقته في إحصاء أواني المطبخ، مطمئنّاً إلى كلام إمام الجامع عن شرعية بقائها لبضعة أيام في الشقّة بعد الطلاق، خوفاً من أن تسرقه.

لم تتكلم البطلة في هذه القصة سوى جملة واحدة حين سألته: لماذا يريد أن يطلقها، فتركت التصرّفات تحكي عنها، وعمّا كان يجول في خاطرها، والرجل الذي اعتبر صمتها تسليماً له بأن يقرّر عنها، ويتحدث عنها.

يقال في الصمت قوة، ولهذا كانت قوية في صمتها من بداية القصة إلى النهاية.

---

*إخلاص فرانسيس، أديبة وشاعرة لبنانية، تقيم بالولايات المتحدة الأمريكية. لها أربع إصدارات.

العناق بين السّرد والغناء في رواية "شكشوكة" لمحمد الأصفر

د. سهيرة شبشوب (تونس)

مقدّمة

من الظّواهر التي ميّزت الرّواية العربيّة مذ سارت على درب التّجديد، اِنفتاحُها على أشكال تعبيريّة شتّى. فإذا كانت الرّواية التّقليديّة تتّسم بالوضوح والثّبات على حدّ تعبير صبري حافظ فإنّ الرّواية الحديثة اِكتسبت قدرا كبيرا من الحركيّة جعلتها تتّسم بديناميّة جليّة. وبات الرّوائيُّ يغامر في هذا المجال فتحرّرت الرّواية من منظومة الجنس الواحد، وأصبحت تصهر في رحمها عديد الفنون. وقد أدرك باختين هذه الخاصية باكرا، منذ دراسته أدب دستويفسكي وأبدى تعجبه من الرّواية نظرا لسيرورتها المتجدّدة واللاّنهائية، وعدم اِستقرارها على شكل نهائيّ.

وتمثّل رواية "شكشوكة" للكاتب اللّيبي محمد الأصفر نموذجا حيّا عن هذا الاِنفتاح الذي شهدته الرّواية الحديثة، وهو اِنفتاح طريف لا على جنس كتابي آخر، وإنّما على فن يرتبط بالشّفويّ والمسموع، وهو فنّ الغناء. ويتجلّى هذا الاِنفتاح في مظاهرَ عدّةٍ سنحاول لفت النّظر إليها في هذه الدّراسة التي تحمل عنوان "العناق بين السرد والغناء في رواية شكشوكة" ونقصد بالعناق ذلك التلاصق القائم على التكامل والاِنسجام والتّجاوب في غير ما تنافر بين الرّواية والفن وتحديدا فن الغناء.

1 -الأغاني والشّكل الطّباعي

إن أوّل ما يلفت اِنتباه قارئ "شكشوكة" ذلك الحشد الهائل من الأغاني التي أقحمها السّارد في نسيج الرّواية.

فيكفي أن يقلّب صفحاتها في مرحلة الإستكشاف السّابقة للقراءة، حتى تتراءى له خاصيّة طباعيّة مميّزة. لقد كتبت الأغنيات بالخطّ الغليظ الذي يسمح بسهولة تبيّنها وملاحظتها، فهي تبدو ناشزة عن الشّكل الطّباعيّ العامّ للرّواية، ناهيك أنّ معظم الأغاني كُتِبت بطريقة عموديّة مثلما تكتب القصائد، لذلك فإن مجرّد تصفّح الرّواية يجعل القارئ يدرك إكتساح الأغاني لمساحتها النّصيّة بتوزيع يتراوح بين الكثافة والقلّة. ونتيجة لهذا الشّكل الطّباعيّ الذي كُتبت به الأغاني، يسهل على القارئ التّمييز بينها وبين السّرد، ومن ثمّ معرفةُ مدى كثافتها، فيكفي أن يقوم بإحصاء المقاطع التي وردت بالخط الغليظ، ليجد أنه مرَّ على أكثر من سبع وثلاثين أغنية، منها القصيرةُ التي إختزلها السّارد فلم تتجاوز سطرا واحدا مثل "يا نار ياسر من عذابك ليّا..سوال النبي راهو عزا ما فيّا"(ص43)، ومنها المتوسطة من قبيل:

"يا طير سلملي على غاليا..
سلاما ايرد الروح فيه وفيا

عليه بروحا..
علي قد ما خط الفقي في لوحا

قلنا الخاطر ناقضات جروحا

عامين والطباء تداوي فيّا"(ص68).

وقد وردت هذه الأغاني مبثوثة في السّرد بشكل بارز غير خفيٍّ. ومع إنطلاق القراءة تتأكّد قيمة الغناء إذ يجد القارئ نفسه حقّا أمام إستراتيجيا سرديّة تحتفل بالغناء بطرق شتّى. منها المعجم .

2 -معجم الغناء

أوّل ما يلفت النّظر هو أنّ السّارد إختار "اغنيوة" إسما للبطل. و"اغنيوة" إسم مشتقّ من فعل غنَّى 1. وهو إسم حاضر على إمتداد الرّواية. والغريب أنّ السّارد لم يخصّ بإسم "اغنيوة" شخصيةً واحدةً وإنّما عيَّن كلّ الأبطال بهذا الإسم. فاغنيوة الذي إنطلقت به الرّواية شاب "نحيل الجسم.. متوسط الطول..قمحي البشرة.. في قدمه اليسرى عرج بسيط نتيجة شلل الأطفال"(ص10)، وأوّل عمل شغَله كان رئيس الكناسين"(ص 10). عشق اغنيوة فتاة مجهولة رآها "تخرج من البيت بجردل القمامة تركته أمام المرأب وتدخل سريعا"(ص22). وظلّ يبحث عنها حتى وجدها. ثمّ سرعان ما ينجم بطل آخر مختلف تماما عن الأوّل لكنّه يحمل بدوره إسم اغنيوة، وهو طفل صغير مات تحت أنقاض الزّلزال وتهشّم رأسه "وجدوه منسحقا.. ممزقا.. إربا.. رأسه مهروسة.. عظامه تدشدشت..(ص51). وفي الرّواية كذلك اغنيوة آخر هو اغنيوة الخراز (ص96)، وآخر هو الشاعر اغنيوة

العجيلي (ص162) ثم الشّاعر اغنيوة العوكلي (ص168) ثم اغنيوة بلو (ص170) واغنيوة عشة واغنيوة بوسيف، وهو حسب وصف السّارد "قاص شاب متين البنية من أكل الحوت يوميا ويعتبر من عوالة اغنيوة العوكلي وحراسه وأبناء عمومته المقربين" (ص171)، وكذلك اغنيوة الصّحفي واغنيوة الفيتوري (ص172). وتكثر الشّخصيّات التي تحمل إسم اغنيوة حتّى أنّ السّارد يطلق على إحداها إسم "اغنيوة ما"(ص ص 95 97). وكأنّ السّارد بذلك يفرض على العين ذلك الجذر الثلاثي (غ. ن. ي) ويستدعي السّمع إلى تمثّل أجواء الغناء والطّرب، ويومئ إلى إستراتيجيّته السّرديّة المرتبطة بالغناء. وإلى جانب أسماء الشّخصيّات نجد كمًّا هائلا من الكلمات التي تنتمي إلى مجال الغناء، ونقدِّم الصّفحة الرّابعة والأربعين عيِّنة على ذلك، فقد إحتشدت فيها ثلاث وثلاثون عبارةً تنتمي إلى هذا المجال وهي: أغاني(6 مرات). يغنّي .غنّت .الغناء(3 مرات). شريط (5 مرات). كاسيت (مرة) . مسجّلة (مرتين). إيقاع (مرة). موسيقى (مرة) . فن فنان (مرتين) . مواويل (مرة) . البوب (مرة)، مطرب (مرة) ناهيك عن أسماء لستة من الفنانين المشهورين هم: هاني شاكر وأم كلثوم وفيروز وعبد الحليم وفريد الأطرش، والفنان الليبي حميدة درنة(ورد 3 مرات). وليست هذه الصفحةً الوحيدة في ذلك وإنما غيرها من الصفحات كثير لكن بنسب متفاوتة. وكي تكون الفكرة أوضح حاولنا جمع كل ما له صلة بالغناء وبوّبناه في الجدول التّالي ساعين إلى بيان درجة تواتره في الرّواية:

معجم الغناء	تواتره	معجم الغناء	تواتره
يُنشد . أناشيد . يصدح . يترنم . يغني . أغنية . غناء	143	الحضرة . جوقة . فرقة .	8
طرب . إحتفال حفل . فن . مسجل . شريط . كاسيت . اسطوانة . أشرطة	53	أوتار . كمان . أوتار . زمارة . زمامير . بندير . دربوكة . دف . طبول . عود . كمان . أوكرديون . جيتار	17
موسيقى . معزوفة . وصلة . لحن . نغم . إيقاع . موال . أهازيج . ترانيم . نوبة . مواويل . تبرويلة . المرسكاوي . البوب ميوزك . نوتة .	74	أسماء الفنانين: حميدة درنة . لامين . خليفة العرج . عندليب ليبيا سلام قدري . عبد الجليل عبد القادر . حميدة درنة . شادي الجبل . هاني شاكر . أم كلثوم . فيروز . عبد الحليم . فريد الأطرش . موزار	

وانطلاقا من هذا الجدول نرى أن عدد العبارات التي تنتمي إلى مجال الغناء يبلغ 295 عبارة، ناهيك عن عبارات أخرى من قبيل" مجموعة صوتية" . "فرقة موسيقية" وهي تتردد بكثافة على إمتداد الرّواية. وإن كثافة المعجم تعضدها كثافة في الأغاني التي تختلف أنواعها.

3 -نوعيّة الأغاني

لقد إستثمر السّارد الثقافة الشعبية فاغترف منها كمًّا هائلا من الأغاني من قبيل أغنية المطرب سلام قدري: "أنشد يا سيد الحلوين.. واشغل فكرك مرة بينا.. رانا لزولك مشتاقين.. وانت من بالك ناسينا" (ص139)، ومنها الحِداء المرافق لسير القوافل. يقول السارد:" كل القافلة تنسجم في ألحان وليدة يغنيها الإنسان والحيوان.

واحة مرزوق تمر..

سبخة بنغازي ملح.. إلخ" (ص16) .

ومنها التبرويلات التي تخصّص فيها حميدة درنة مثل: "العب يا حوت الشعبية عايش في البر بلا ميّة"، وهي مجرد طقطوقات ميزتها الإرتجال والخفّة والتّلميح والظّرافة والدّعابة. ونجد كذلك المواويل التي ليس بالإمكان تمييزها عن طريق القراءة فلا نعرف أنّها مواويل إلاّ من خلال تعيين السّارد لها على ذاك الأساس، كأن يقول عن حميدة درنة إنه "يبدأ النوبة بموال:

لي قلب ما يقضّه

ويلقاه كامي بغيضه..

مثل الجنين المقمط..

عطشان وأمه مريضة.."(ص21)

واعتمد السّارد كذلك بعض الأغاني المعروفة مثل أغنية فريد الأطرش "حكاية غرامي حكاية طويلة"، وأغنية فيروز: "عم بتضوي الشمس.. ع الأرض المزروعة..عم بتضوي الشمس.. والدنيا عم توعا.." (ص139)، وأغنيتها "أعطني الناي وغني"، والأغنية الليبية المعروفة "يا لعنب ويا لعنب... الله يبارك عالدالية (ص224) إلى غيرها من الأغاني .

وفي الرّواية كذلك أغان فرديةٌ مرتجلة من وحي الشعور كتلك التي ردّدها اغنيوة وهو يقود سيارته قائلا: "ريتا ما الروشن طل.. اللي خزرة عينا تقتل"(ص25). وهي أغان تؤديها الشّخصيّات إرتجالا للتّعبير عن رغبة أو موقف، لذلك فهي لا تعبّر عن معنى واضح ذي قيمة، كتلك الأغنية التي إسترجعها اغنيوة في السّيّارة بعد كان هو وبلقيس "قد ألفاها ولحناها وعزفاها بالمزمار بالتناوب وسجلاها في غرفة بلقيس، وفيها يغنّي اغنيوة قائلا:"يا

بلقيس يا حفنة أحاسيس.. أنت شاهي برغوة..ما نكش شاهي كيس"، وهي تردُّ عليه قائلة: "يا اغنيوة يا اغنيوة.. ياروح قلبي يا حليوة"(ص205)، أو الأغنية التي غنّاها اغنيوة ممازحا بلقيس:

"لو تعطيني مرّة..

لو تعطيني مرّة..

لو تعطيني مرّة..

حتى من برة لا برّة" (ص200)

ونتيجة لهذا الاِرتجال والعناق بين الغناء والسّرد لا تكون الأغاني على قدر كبير من السّبك الذي يميّز الأغاني المعروفة ولا تخضع للاِختصاص فقد يكون مؤلّفها وملحّنها ومؤدّيها واحدا. يقول السّارد: "حميدة درنة يلحّن ويغنّي ويؤلّف الكلمات أيضا وأحيانا يغيّر كلمة فقط في بيت شعريٍّ قديم ليجعله نابضا بالآن" (ص18) .

وقد تكون الأغنية خطابا تنطق به الشّخصيّات عوضا عن الكلام العاديّ على سبيل الدعابة ولا تقوم على أدنى قاعدةٍ في التّأليف أو الإيقاع كقول اغنيوة وهو يقود سيّارته:

"يا لاندروفر يا زينة.. يا قاطعة الصحراء بينا..

يا حرشة.. اغنيوة فوقك كالفرشة..

وايصب فيك البنزينا.."(ص198)

وتتلقّى بلقيس الأغنية واعية بما فيها من دعابة إذ لا تتمالك نفسها من القهقهة. فليست اِستراتيجيا السّارد إذن توظيف الأغاني الخاضعة للمعايير الشّعرية والموسيقيّة، والقائمة على كلمات منتقاة وألحان مميزة، إنّه وهو ينقل الحياة ويعرض أطوارها وتقلباتها، يجرِف معها الأغاني التي تؤثّثها بما أنّها مكوِّن من مكوِّناتها، ففي الأغاني ما في الحياة من اِعتباطيّة واِرتجال، تنجم أحيانا مثل الحياة فجأة، كما تعبِّر عن التحوّلات النّفسيّة التي تعيشها الشّخصيّات. ولكنَّ لبعض الأغاني تاريخا وجذورا لذلك لم يأل السّارد جهدا في أن ينقّب عن سيرتها ويعرّف بظروف إنتاجها كلَّما دعت الحاجة إلى ذلك.

4 -الأغنية والحفر الأركيولوجي

يتقصّى السّارد أثر بعض الأغاني التي يسمعها هنا وهناك، ويتتبّع أطوار خلقها منذ طور الفكرة في ذهن شاعرها أو، على حدّ تعبيره، مذ كانت "ورقة مستقبلية" في "طابور الخيال"، إلى لحظة تحوّلها إلى قصيدة، إلى لحظة تلحينها ثم أدائها(اُنظر ص 79). وقد يتتبع أثرها منذ الماضي البعيد أثناء ترحالها فيقول عن لحن

المرسكاوي: "المرسكاوي ترانيم وافدة عاشت في بنغازي وتطورت في أحيائها الفقيرة ألحانا عذبة وكلمات شفيفة"(ص16). ويمعن السّارد في تتبع أصل لحن المرسكاوي، فيبيّن أنّه ألحان تردّدها القوافل التي تقطع الصحراء اللّيبيّة من واحة مرزق إلى السّاحل لمقايضة الملح بالتّمر، ويؤكّد ذلك بنقل بعض مقاطع الغناء المرسكاوي التي تعبّر عن سيرة هذه الألحان وإرتباطها بواحة مرزوق وببنغازي من قبيل قوله :

"واحة مرزق تمر..

سبخة بنغازي ملح..

مرزق تطفئ سكرها بملح بنغازي..

بنغازي تؤجج ملحها بحلاوة مرزق...

فوق مرزق سماء

فوق بنغازي سماء

تحت مرزق ماء

تحت بنغازي ماء" (ص16)

ويواصل السّارد الحفر في تاريخ بعض الأغاني الشّعبيّة حتى يعرّف بأصل نشأتها وأشكال تلقّيها، مثل أغنية "يا محني ذيل العصفورة ... عليك ملامح كركورة" (ص59)، فيقول إنّها صدرت عن مطرب تغنّى بجمال طائر " فتلقفها الناس وخاصة العشاق منهم وهواة الطرب إلخ""(ص59).

ولا يكتفي بذلك بل يبحث عن طريقة شيوع تلك الأغنية ومسار نموها وتطوّرها وتحوُّلها من مجرّد أغنية واحدة مقتضبَة منفردَة مرتجلَة قالها حميدة درنة في "طائر خليش" ينظف ريشه بمنقاره المعقوف، إلى أغاني متعدّدةٍ ذاتِ دلالات شتَّى، يقع ترديدها في أماكن مختلفة ومقامات مختلفة. فالشعراء أصبحوا ينسجون على منوالها، فيركّبون على "الكلمتين الأولتين[!] " يا محني ذيل"، وسافرت هذه الأغنية عبر الزمن لأصالتها ولميلادها في لحظة جماهير ولحظة ملح فوصلت إلى كثير من البلدان ووظفها الشعراء والمتظاهرون في الشوارع من أجل المطالبة بالعدالة ودرأ[!] الظلم فتسمعها والجماهير تصيح بها بطريقة أخرى: "يا محني ذيل الكتكوت.. والظالم يهلك ويموت"(ص60)

وتتولّد عن هذا المقطع تخريجات جديدة إذ يعمد بعضهم إلى عبارة "الحنة" فيدققون في نوعها وبلد إنتاجها كما في المثال التالي: "والحنة مصري وسوداني..أو قدسي وشامي.."(ص60).

ثم تتحوّل الأغنية إلى أداة تعبير عن "المدّ القومي" على حدّ قول السّارد: حين يضيفون إليها مقطعا من قبيل: "والحنة عربية أصيلة". وقد تتحوّل إثر ذلك إلى هتاف تصدح به الحناجر في الملاعب الرّياضيّة قائلة: "يا محني ذيل العصفورة..

وبلدنا ديمة منصورة. يا محني ذيل العصفورة..كورتنا ديمة منصورة"(ص60).

كذلك عمد السّارد إلى التّعريف بظروف إنتاج بعض الأغاني مثل أغنية "سمارا هوّا" مؤكّدا اِرتباطها بلحظة معيّنة بقوله: "أن مطربة شعبية بيضاء كالرخام عشقت أحد الشباب السمر فغنّت له:

سمارا هوّا..

سمارا هوّا..

سمارا هوّا..

كل العالم ياخذ سوّا..

سمارا هوّا.. حتى كان.. سمارا هوّا..(ص14).

بهذه الطّريقة تنشأ الأغاني، كما تنشأ الأحداث، ويتولّد بعضها عن بعض، وتنمو وتنتشر بسرعة كبيرة، وفي اِنتشارها تتحوّل وتكتسب معاني جديدة وتلبس أكسية مختلفة باِختلاف المقامات. وتكون عادة مرتبطة باليوميّ والمعيش من حياة الناس، يلجؤون إليها كلما دعت الحاجة، فإذا بها وسيلة تعبير وتنفيس عن الشّواغل التّافهة وكذلك المهمّة في حياة النّاس. وبما أنّ حياة الناس قد تختلف باِختلاف المناطق نجد السّارد كذلك يبحث عن جغرافيّة الأغاني أي تمركزها حسب الأماكن. يقول عن غناء المرسكاوي: "المرسكاوي لم يترسّخ إلا في بنغازي.. هذه المدينة الكوزومبولية القابلة والمرحبة والمتفاعلة مع كل شيء..."(ص16). ويقول أيضا: "اِشتهرت منطقة س بالفن خاصة غناء المرسكاوي". كما يقول:"أغلب أعضاء فرقة بنغازي للفنون الشعبية من حي المحيشي وبالضبط من حرف س"(ص13). وميّز كذلك بين الأغاني حسب اِنتمائها إلى المدينة أو البادية كقوله: "بقية المدن الليبية ملتصقة أكثر بالبادية.. لها زماميرها وشعرها الشعبي وأهازيجها البدوية الخالصة" (ص16). وهكذا يتجلى أن رواية شكشوكة رواية حياة لا تنفصل مكوّناتها، رواية موضوعها "الأيام" على حدّ تعبير السّارد حين قال:"وآه من الأيام وأسرارها ودولها وغرائبها وعهرها وميلها واعتدالها وضحكها ونواحها ورقصها وغنائها وعفافها وليلها ونهارها..إلخ"(ص9). وبما أن الرّواية قصة عن الأيام، فهي أيضا قصة عن الغناء الذي يشكل مكونا أساسيا من مكوناتها. ولكن لم تقتصر قيمة الأغاني في الرّواية على كونها موضوعا للسّرد يحتفي بها السّارد ويبحث عن نشأتها وتطورها، وإنّما تمثّل عنصرا بنائيّا بارزا فيها.

5- دور الأغاني في تطوير الحبكة

بدت الأغاني ذات قيمة سرديّة بارزة، لكنها ليست مجرّد مقاطع في الرّواية توضع على سبيل الِاستعراض، وإنما هي ملتحمة بالنّسيج الرّوائيّ سردا ووصفا، فهي عبارة عن شاحن ومولّد لكثير من الأحداث، فقد تدفع الأغنية الشّخصيّات نحو الرّقص كما في قوله عن حميدة درنة أنه بعد أن فرغ من الغناء "يرمي حزامية الرقص على شاب أسمر رشيق ينطق بها خصره ويرقص في منتصف الجلسة بمهارة وسط صرخات المعجبين وتغزلاتهم النابضة"(ص19). وكذلك نجد السّارد بعد أن يورد الأغنية يقول مبيِّنا أثر الغناء في الحاضرين: "ويهيج الراقص مع التصفيق والصفير والصراخ مرعشا وركيه بتواصل ولتصعد الرعشة باضطراد من الوركين لتبلغ أعلى الكتفين والعنفقة وليفك شملة الرقص عن خصره ويرميها على فتى مشدق إلخ" (ص20). ولا سيما كذلك في قوله: "صراخ الحضور يرتفع أكثر يحثونه على تنفيذ العرف والوقوف للرقص (..) والفتى الأبيضاني يبدأ الرقص بطيئا خجولا متعثرا وجهه محمر ناز بالعرق.. لكن الموسيقى الساحرة عليها اللعنة تستدرجه فينشط ويستغرق في الرقص البديع.. كل الحضور يتصايحون لرجرجة مؤخرته المغرية ويرفعون وتيرة الصراخ مع تبرويلة حميدة درنة الجديدة: ها الغوال لمن يا ربي.. يمشي في الشارع ويصبِّي"(ص ص20.21).

وتنجذب الشّخصيّات نحو الأغاني لا إراديا فنجد بلقيس "يسحرها الصوت.. تقف أمام المحل.. أذنها للمسجل(...)صندلها يصاحب إيقاع الموسيقى بطرقات خفيفة..."(ص44). اِستوقفها صوت الأغنية المنبعثة من شريط في أحد المحلات فلم تملك نفسها عن الرّقص وراحت تطلب من حميدة درنة أن يبيعها الشريط. و"في غرفتها وضعت الشريط في المسجلة ولبست لباسا خفيفا على اللحم وصارت ترقص على أغانيه وتتمرغ على السجادة العجمية صارخة داخل لذتها هذا هو الفن وهذه هي المواويل اللي تهبّل.."(ص44) .

إن الأغاني إذن تفعل في الشّخصيات فتكون سببا في اِنفعالاتها وردود أفعالها، وهي كذلك قد تكون منطلقا لذكرى أليمة تؤرق الشخصية وتعذِّبها، فبعد أن غنَّى حميدة درنة أغنية اغنيوة المفضلة "درت المحيشي ما لقيتا ريدي... روَّحت نمسح في دموعي بيدي"، نجد السارد يحاول أن يعقد الصلة بين الأغنية واغنيوة فيقول معلقا على قيمتها في قلبه: "وهذه الأغنية مؤثرة كثيرا في قلب اغنيوة.. ففي بداية عمله في حي المحيشي رئيسا للكناسين.. لمح فتاة جميلة تخرج من البيت بجردل القمامة تركته أمام المرأب وتدخل سريعا..

منذ لمحها اِستقرت في قلبه.. إلخ"(ص22).

وقد تكون للأغنية وظيفة أخلاقية سلوكية، فبعضها يحدد العلاقات بين الشخصيات ويمتّن أواصر المحبة والأخوة الإنسانية، فإثرها وبسببها تقوم بعض الشخصيات بسلوكات لطيفة وأفعال محبّبة غير مألوفة، فنرى اغنيوة يخرج عن طوره "عندما خصه حميدة درنة بسهرة صاخبة في (حققة الجخ) غنى له فيها أغنيته المفضلة: درت المحاشي ما لقيتا ريدي.. روحت نمسح في دموعي بيدي.. بأكثر من لحن.."(ص23) لذلك أعطاه "أدجيرو(سمح له أن يقودها في جولة) على سيارتهb m w الحمراء"(ص23). وقدم له علاوة على ذلك خدمات إضافية يخصه بها دون غيره من الناس كأن يأمر "سيارة رش المبديات الحشرية برش شارع حميدة درنة ثلاث مرات يوميا.."(ص23).

وتكون الأغاني كذلك قادحا للحوار بين الشخصيات، شأن تلك المحاورة حول الغناء والمغنّين بين بلقيس وخالتها التي عندما سمعت الأغنية التي وضعتها بلقيس في الشريط قالت لها مباشرة: "هذه أغاني حميدة درنة صاحب دكان العوايز في طريق سيدي يونس.. قالت لها بلقيس الذي يلبس شنة حمراء.. أجابت الخالة ما تكملش خلاص هو بالضبط" (ص ص 44. 45).

وإذا كان الغناء مولّدا للأحداث والحوارات فإنّ بعض الأحداث كذلك، تولّد الغناء، فالرقص قد يوقد لذة الغناء ويقوّي من قدرة المغني على الأداء فتتحول الرّواية إلى سجال بين السّرد والغناء. ونضرب مثالا على ذلك الموقف الذي وقفه حميدة درنة من الفتى الأبيض، فحين رآه يرقص رقصا مثيرا وهمس له الحاضرون بأن الفَتى صبراوي طفِق يغنّي متغزّلا به وهو في قمّة الاِهتياج:

الصابري عرجون فل..الصابري عمرا ما ذل

الصابري زين على زين..الصابري ورد وياسمين

ويا عين يا عين..أنت هنا والغالي وين

يا عين ويا عين..بين البركة وسيدي حسين

يا عين ويا عين..طول السلك ايودّر إبرة"(ص21).

بعض الأغاني إذن قد تكون وليدة لحظتها، فتنجُم من فكرة أو مشهد أو فعل. وتتأكد تلك العلاقة الجدلية بشكل أوضح من خلال أغنية "يا محني ذيل العصفورة" التي كان سببها، حسب رواية السّارد، أن مطربا شعبيا شاهد طائرا ينظف ريشه بمنقاره المعقوف فغنّى لا شعوريا لحنا

مرسكاويا "يا محني ذيل العصفورة.. إلخ". فالمشهد ولَّد أغنية، ثم نجد الأغنية بدورها تولِّد أغاني أخرى إذ "نُسِج سريعا على منوال هذه الأغنية الكثير من الأغاني الأخرى الزاخرة بالحناء والريش وبالزغب" لتنتُج عن هذا كلِّه أحداثٌ أخرى، إذ يجلب "الشعراء الكثير من الطيور لتحنية ذيولها (...) وكل من يشكو أو يتعرض إلى ظلم يحضر طائرا ويحني ذيله ثم يركب هذه الأغنية وخاصة الكلمتين الأولتين "يا محني ذيل العصفورة" (ص ص59. 60) .

ويمكن توضيح هذه العلاقة السببية بين السرد والغناء من خلال الرسم التالي:

مطرب شعبي شاهد طائرا ينظف ريشه بمنقاره

⇓

غنَّى المطرب لحنا مرسكاويا "يا محني ذيل العصفورة"

⇓

نُسِج على منوال هذه الأغنية الكثير من الأغاني الزاخرة بالحناء والريش وبالزغب

⇓

يجلب الشعراء الكثير من الطيور لتحنية ذيولها + كل من يتعرض إلى ظلم يحضر طائرا ويحني ذيله

⇓

الشعراء يركبون هذه الأغنية وخاصة الكلمتين الأوليين "يا محني ذيل العصفورة"

وقد تولِّد الأغنية أغنيةً جديدة لا سيّما في الأعراس والاِحتفالات كما في قوله: "الجو بهيج جدا وحميدة درنة انتهى من أغنية: سيدي الفقي لو ريت بو تكليلة.. يحرم عليك الدرس ما تمشيله" (...) وبدأ يبرول بتبرويلة:

أنت يلي شالك لاويه.. جرحت الخاطر روف عليه"(ص19) .

هكذا إذن يقع التوالد بين السرد والغناء بدرجة لا يقل فيها الغناء قيمة عن السرد. وإضافة إلى ذلك يلاحظ قارئ الرّواية أن الأغاني اِستغرقت حيِّزا سرديا مهمّا حتى من جهة تمهيد السارد لها.

6 -التمهيد للأغاني

يدمج السارد الأغاني بطرق متعدّدة فقد يركز في تمهيده على حركة المغني كقوله

عن اغنيوة إنّه: "فتح النافذة وصار يغني موّال: "يا حلو يا لابس الحلو.. يا صغيّر يا عاجباني.. ويا مولع النار في العلو..دخان نارك عماني"(ص194). وقد يحدد نوعية الأغنية كما في قوله عن حميدة درنة إنّه: "يبدأ تبرويلة جديدة: أنت يلي شالك لاويه .... جرحت الخاطر روف عليه"، أو يحدّد نوعية الإيقاع كما في قوله: "ويواصل حميدة درنة تبرويلته بإيقاع أسرع حماسي: شالك ملفوف.. خمس طاشر لفة ع الجوف.. إلخ" (ص20).

ويبيّن السّارد أنّ الشخصيات لا تستمع إلى الأغاني مباشرة وإنما عن طريق آلة تسجيل (ص107). ويشدّد على تلاحق الأغاني وعدم توقُّف المطرب عن الغناء بقوله:"ويصدح حميدة درنة فور اِنتهاء الموال بأغنية اغنيوة المفضلة :

درت المحيشي ما لقيتا ريدي...روَّحت نمسح في دموعي بيدي"(ص ص21-22).

وقد يعلّق السارد على الأغاني حتى بعد أدائها كما في قوله: "الجو بهيج جدا وحميدة درنة انتهى من أغنية: سيدي الفقي لو ريت بو تكليلة.. يحرم عليك الدرس ما تمشيله"(ص19).

ولكن إذا كانت معظم الأغاني مسبوقة بتمهيد من السّارد فإنّ بعضها ينجم فجأة بعد السّرد دون تمهيد فتفرض نفسها دون سابق إعلام كما في قوله:

"أصل المرسكاوي من واحة مرزوق في الصحراء الليبية.. وصل إلى الساحل بواسطة القوافل القادمة منها لمقايضة التمر بالملح..

واحة مرزوق تمر..

واحة بنغازي ملح.. إلخ"(ص17)

7 -علاقة الأغاني بالوصف

إنَّ السارد لا يفتأ يعبر عن قيمة الغناء ويصرِّح بها في غير ما موضع شأن ما نجده في الفقرة التالية من حديث عن الغناء، فهو "روح حية ترمم الأرواح المشلولة والميتة فتعيدها حية طازجة"(ص68) لذلك يقول السارد عن الفنان عبد الجليل عبد القادر، إنه نسيم" يضخ الأكسجين إلى رئات المختنقين(ص68). ولا يكتفي السارد بهذا الوصف وإنما نجده يسهب في رسم بورتريه الأخلاقي لحميدة درنة حين يقول: "حميدة درنة إنسان طيب مرح كريم أخلاقه عالية مع أسرته ومع الجيران ومع الغرباء ومع نفسه أيضا كل سكان حي المحيشي يحترم هذا الإنسان الفنان ويضع له مكانة رفيعة فوق قمم السماء.. عندما يمر في الشارع يقف له ويحييه وإن مرّ من أمامه توقف وسلم عليه واطمأن على

حاله وأحواله. في كل المناسبات الفرحة والحزينة تجده متواجدا.. إلخ"(ص18). ويشف هذا الوصف عن مكانة رفيعة يتبوّؤها الفنّان ومنزلةٍ عاليةٍ في قلوب الشّخصيّات. فقد يرد وصف الفنان على لسان البطل نفسه إذ يقول:"كان اغنيوة يقول لحميدة درنة.. أنت فناني المفضل.. مداوي جرحي السرّي.. لا أريد للبعوض أن يقرصك أو يلوث أوتار حنجرتك(...)أنت ثروة لهذه الـ(ليبيا).. منذ اليوم لا بد أن يكون شارعك نظيف[!]..ودكانك نظيف[!] (ص23).

وفي الرّواية كذلك فقرات وصفيّة مطوّلة توقّف فيها السّرد وحطّ خلالها السّارد الرّحال ليقوم بالتّعريف بالفِرق الموسيقيّة والمغنّين كقوله: "فمنها المطرب الشهير حميدة درنة صاحب الصوت الرقيق العذب الجهوري والمطرب الموهوب سعد الوسْ ومنها مجموعة عازفين مهرة ومجموعة راقصين رشقاء"(ص13). وقد يركز السّارد عدسته بصفة مطوّلة على بعض الفنانين كما فعل مع حميدة درنة وعازفيه ومجموعته الصّوتيّة حين قال:"حميدة درنة جالس يبتسم..شنته الحمراء على رأسه.. نظارته السميكة على عينيه.. بجانبه عازف الكمان الفنان لامين.. على يساره عازف الأوكرديون خليفة العرج.. بجانبهم ضاربي [!] الدف وناقرو الطبل والدرابيك. لا توجد في العرس مجموعة صوتية خاصة.. جل الحضور من شباب حرف س وغيرهم من سكان حي المحيشي.. كلهم يحفظون الألحان عن ظهر قلب..ولهم قدرة عجيبة في حفظ أي لحن..إلخ"(ص19) .

وليس هذا الِاحتفاء بوصف الفنانين غريبا فالفنان يعبِّر عن شواغل الشخصيات. هو صوتهم النائح وقلبهم النابض. وهو الناطق بمشاعرهم في أفراحهم وأتراحهم، وهو لسان قيمهم واِعتقاداتهم وإديولوجياتهم. يواكب الغناء حياة الناس لحظة بلحظة. وما يعجزون عن التعبير عنه باللغة المباشرة ينطق بها الغناء تلميحا ذكيا بالغ الأثر.

8 -مواضيع الغناء في الرّواية

1-8 -معنى الحب والغزل

يقول نونوماشر (Nonnemacher)عن الشعر مقدما مفهوما خاصا له إنه: "إيروس لا لأن الشعر يتحدث عن الحب بل لأن الشعر في أساسه إن هو إلا توق إلى الآخر ورغبة في الِانضمام إليه" . وليست الأشعار التي تقوم عليها الأغاني بغريبة عن دلالات الرّواية وعن معناها العام وهو الحبّ والرغبة والِاشتهاء إن الرّواية تحكي عن الحب مثل حب اغنيوة لبلقيس، وتحكي عن الإعجاب الكامن مثل إعْجاب

حميدة درنة أو عمال الكنْس ببلقيس، وتحكي عن الرغبة المجنونة والشبقية الرعناء، وتحكي عن اللذة المحرمة. وقد تمّ التعبير عن كل هذه المضامين بالسرد والغناء معا. فمعظم الأغاني تنتمي إلى مقام الحب والغزل والرغبة والإرتواء. فالشخصيات تتحرك بواعز من المشاعر أو الغرائز الملتهبة فتعبر عن ذلك الأغاني مثل الأغنية التالية: "شالك ملفوف.. خمس طاشر لفه عالجوف . قليب من حبك ملهوف. طلب مرّة في العمر عطيه وانت ياللي شالك لاويه(ص20). وفي بعضها الشكوى من ألم البعد مثل أغنية اغنيوة: "ردت المحيشي ما لقيتا ريدي.. روّحت نمسح في دموعي بيدي" (ص22)، أو أغنية "لي قلب ما يقضّه.. ويلقاه كامي بغيضه.. كيف الجنين المقمّط.. عطشان وأمه مريضة"(ص43) .

ولكن لم يمنع هذا من وجود معاني جمعية ترتبط بالمعاناة والتمرد والنضال.

2-8 -معاني المعاناة والنضال

اِرتبطت بعض أحداث الرّواية بوجع الغربة ومعاناة الرحلة والوجود. وقد ذكر السارد أن لحن المرسكاوي يعبّر عن كل ذلك إذ يقول: "هذا الغناء ولدته المعاناة ونبع من نواحات رحلات الجمال الطويلة وسط دروب الرمال والنار.. حيث كان يساق هؤلاء العبيد للبيع في أسواق الشمال لشحنهم إلى أوروبا وأمريكا.. النخاسون يفرقون بين المرء وزوجه.. بين الطفل ووالديه.. بين الحبيب وحبيبته.. بين الصحراء وسكانها.. يساقون تحت السياط ولدغ العقارب والحيات في ظروف لا إنسانية.. هي قمة في البؤس... من هذه السوق تتوالد الألحان وتتوالد الكلمات.. يراها الجمل بعينيه ويسمعها بقلب أذنيه فيتألم ويصدر صوته الثائر المحتج فيُلجم بالكي بالنار أو الوخز في النحر.. "(ص15. 16). وقد تكون الأغنية عنوانا لطقس نضالي تتضمنه الرّواية مثل تلك التي تتغنّى بملح بنغازي، وفي ذلك يقول السارد عن أغنية المرسكاوي إنها:"تقبلت كل الكلمات الشعرية المنجبة من معاناة الإنسان اليومية وجراحات الملح المزمنة". ويستدل على ذلك بمقطع منها وهو:

"أحب الملح لأنه يذوب..

أحب الفن لأنني لا أدري..

الفن حلاوة وملوحة..

الحلاوة طهارة..

الملوحة طهارة..

أما المرارة..

فآه كم هي فائضة"(ص17).

وتتضمن الرّواية كذلك بعض الأحداث السياسية التي ينقلها السرد وتفلسفها

الأغاني. لذلك نجد مجموعة من الأغاني السياسية التي يطارَد أصحابها. ونجد ذلك في قول ضابط المباحث لاغنيوة وهو يطلب منه مراقبة المغني صاحب أغنية "وين قالوا السعداوي جي.. دهشت وبخوني بالمي"(ص152)، حين قال له:"هذا خطير ولازم تراقبه وأريد معلومات يومية.. السعداوي زعيم وطني.. الكاريزما أمتعته كبيرة.. له شعبية في الداخل والخارج.. البلاد كلها تحبه.. وهو من اللي جابوا ورقة الإستقلال من الأمم المتحدة.. الغناء عليه ممنوع يا اغنيوة.. الغناء على الملك بس يا اغنيوة.. وعلى ولي العهد.. وعلى الحاشية والمقربين" (ص153).

وحين ضُيِّق الخناقُ على اغنيوة لمعرفة سر ورقة الجوكر نجده يستحضر أغنية حميدة درنة الأليمة: "في حال يا ناشد علينا حالة..حيين لكن في حياة مذبالة.. حال الهدة.. حال الجواد اللي برك بالعدّة.. واحد خذاله سوط ولاخر شده..واحد خذا الكلاب فك نعاله"(ص107).

ونجد البطل أيضا بعد أن زُجَّ به في السجن يعبر عن مأساته بأغنية حميدة درنة:" يا عين ما تبكيش علي ماتوا .. وابكي علي في السجون يباتو(ص124). وغير هذا كثير من الأغاني التي تعضد السرد وتدعمه في تناسق وتآلف.

9 -الكلام على الأغاني

ليست" شكشوكة" خطاب سارد يسرد وينقل الحوارات ويصف ويستثمر الأغاني ويزرعها بين ثنايا القص فحسب وإنما هي كذلك خطاب مؤلف له دراية بأمور الأدب والنقد، يقوم بالتعليق على ما يكتب ضمن خطاب واصف، بلسان ناقد حصيف، فقد تحولت بعض الأغاني إلى موضوع نقدي إستغرق فقرات مطوّلةً، تتضمّن تحليلا كلماتها أو صورها الشعرية أو حديثا عن ألحانها ودلالاتها. فقد ورد الحديث عن لحن المرسكاوي أكثر من مرة على إمتداد الرّواية، قلَّبه المتكلم على وجوه مختلفة. نجده يقول معلقا على كلماته بقوله: "أما كلماته فهي العذوبة والصدق والرجاء والأسى.. كل الغناء عبارة عن رجاء وإن تعددت صوره"(ص18). ويعلِّق أيضا على جانب التخييل فيه مقدما وجهة نظره حوله وكأنه يومئ إلى الوضعية الراهنة للغناء فيقول:"الصورة الشعرية في الكلمات بسيطة لا تقعر لا إفتعال لا إستمناء.. مشعة كشروق.. نقية كصلاة"(ص18). ويقدم قراءته لمعانيه ودلالاته، كأنه يشير إلى بعض الأغاني التي تكلّست وماتت بفعل التكلف وانعدام الشعور فيها قائلا: "اللحن المرسكاوي خليط من الحياة والموت..آهات طبول إفريقية وزفرات نسيم بحر وأخاديد سراب

راقصة وزئير أسود وفحيح حيات ووجل غزلان جميلة وزقزقة طيور مهاجرة.. وأنوار من ليالي السماء المقمرة.. وسراب مائي غير خدّاع.." (ص18). ثم كأنه يلمح إلى بعض الأغاني التي تهدف إلى التقرب والتزلف فينزِّه المرسكاوي عن هذه المنقصة مؤكدا مفهوما خاصا للشعر ومقدما وجهة نظره حول الشعرية بِاعتبارها تعبيرا عن الوجدان بمنأى عن المصالح الذاتية بقوله: "في أغاني المرسكاوي لا يوجد مدح سوى للحبيب ولا يوجد ذم سوى للفراق ومن يسببه.. أغاني المرسكاوي ليس بها شياطين أو ملائكة.. بها راحة وألم..بكاء وضحك..ضمأ وارتواء.. هي كفاح فني طربوي ينتصر للحياة"(ص18). ويستنبط المتكلم ما في بعض الأغاني من معاني صوفية كما فعل بأغنية "يا محني ذيل العصفورة .... عليك ملامح كركورة"(ص59)، إذ يربطها بمعنى التوكل على الله وكذلك السعي إلى التّوقِّي من الأذى فيقول: "وصارت الأغنية تميمة مشروعة ومهمة للحفظ من العين والحسد ولتمجيد الله وشكره وقدرته على خلق الجمال" (ص 59) .

ويطغى صوت المؤلف الواعي كذلك بأمور الواقع القائم على الِاستعمار الِاقتصادي حين يحلل بعض الأغاني التي تتغنى بالملح فيقول: " فإن ضاع الملح أو تلوث فقل على الدولة السلام.. أي ضاعت الدولة فدولة بلا ملح لا قيمة لها أمام العالم وأمام رعيتها أيضا.. فبالملح تسيطر الدولة على الناس.. وبالملح تقايض ما تحتاجه.. وبالملح تصنع علاقات بين الدول"(ص62). وقد يقوم الخطاب الواصف على الشرح والتفسير حين يلحق السارد الأغنية ببعض الِاستطرادات التي تفسر بعض ما فيها من معاني. نذكر منها أن السارد بعد أن نقل كلمات أغنية مطربة شعبية حول أحد الشباب السمر وهي "سمارا هّوا"، يعلّق عليها شارحا معانيها بقوله: "أي وإن كان حبيبي أسمراني وليس أبيضاني فهو غال وعزيز على القلب والروح وأغلى من كل العالم" (ص14). وكذلك يورد السارد "التبرويلة الشهيرة" التي صدح بها حميدة درنة وهي"يا قلّتْ عيّل جرايْ.... اندزًّا فيّة واداي"(ص20) ثمّ يعقب عليها شارحا عبارة "وفيّة واداي" بقوله: "وفيّة واداي اسم قبيلة شهيرة من الجنوب ينحدر منها قسم كبير من سكان حرف س.. والمعنى في التبرويلة أن العاشق يحب إحدى فتيات هذه القبيلة العريقة ويبحث عن فتى يجري بسرعة ليرسل معه السلامات والهدايا والأشواق"(ص20). ونجده كذلك يورد أغنية حميدة درنة" أنت يلي شالك لاويه..جرحت الخاطر روف عليه"، ثم

يشرح كلمة "الشال" بقوله: "الشال هو الوشاح.(19) "

خاتمة

إن رواية "شكشوكة" تقوم على مقومين أساسيين هما السرد والغناء. وإن طريقة تموقع الأغاني في الرّواية، وعلاقتها العضوية بالأحداث والشخصيات يؤكّد أنها ليست مجرد ديكور، وليست عبارة عن أغان متفرقة ترددها شخصية ما تنفيسا عما بها، وإنما هي عماد من أعمدة السرد. فهي تلتحم بالحياة اليومية للشخصيات تعيش معهم في أدق مراحل حياتهم في حلهم وترحالهم في إصطيافهم وأعراسهم وسهراتهم وإحتفالاتهم وفي تجارتهم ونضالاتهم، في عبادتهم وعصيانهم وفي فرحهم وحزنهم وعشقهم ولحظات إلهامهم وهيامهم. تنبعث من منازلهم ومقاهيهم وآلات تسجيلهم. أغان قديمة جيدة السبك والإيقاع، وأغان وليدة لحظتها تنجم مرتجلة صاخبة. أغان مرحة فاجرة، وأغان حزينة. أغان تخلدها الذاكرة الشعبية وأغان فردية تموت حال النطق بها .

- نص مداخلة عرضت بمناسبة مؤتمر "التفاعل بين الأدب والفنون" بجامعة إبن طفيل القنيطرة المغرب، أيام 18و19و20 دسيمبر 2017.

هوامش:

1- نشير رغم ذلك إلى أنّ الاشتقاق يبدو غريبا عن عبارة" أغنية" في اللغة الفصحى، فهو أقرب إلى العامية. والسارد بذلك يعلن أن روايته ستستثمر الشفوي وسيكون مرجعها الثقافة الشعبية.

المصدر

شكشوكة، محمد الأصفر، دار الحوار للنشر والتوزيـع، ط2، 2009.

المراجع

Nonnenmacher (Georges) : Intertexte ou texte de l’inter، Acte du 1er colloque du 22 au 25 Novembre، Faculté des lettres de Tunis، 1982.

إبراهيم الزليتني وصدع في الجدار

حسين نصيب المالكي

تعد كتابات السجن رافدا مهما في الأدب العربي بصفة عامة، والأدب الليبي بصفة خاصة. وأدب السجون لم يظهر جليا وواضحا عندنا إلا بعد انتفاضة 17 فبراير عام 2011م، وسقوط نظام القذافي والأحرى بعد سنة 2012م صدرت العديد من السير والروايات والقصص القصيرة ودواوين الشعر للعديد من الكتاب والأدباء الليبيين، الذين زج بهم نظام القذافي في السجون الليبية وهي: الحصان الأسود، وبوسليم، والكويفية، والجديدة، لسنوات مظلمة .

وبعد أن أصبح الصبح وخرج كل أولئك الكتاب المساجين من الزنازين، كتبوا هذه السير والروايات والأشعار والقصص من خارج السجون، ولكنني في هذه المقالة لن أتطرق الي الشعر والقصة القصيرة والسيرة الذاتية عن السجن، بل الي رواية (صدع في الجدار) للروائي "إبراهيم الزليتني" التي صدرت عن دار الساقية بنغازي. هذه الرواية يهديها الروائي إلى أمه التي لم يرها؛ فقد ماتت وهو صغير السن، وإلى أبيه الذي توفي وهو في السجن، وتحصل بسبب وفاته إجازة من السجن لا تزيد عن خمسة أيام، من أجل حضور ليال مأتمه، وزيارة قبره، ولكن ممن كانت تلك الاجازة، هذا ما ستفصح عنه الرواية من خلال صفحاته.. الكاتب "والسجين إبراهيم مختار الزليتني"، لم اقرأ له من قبل شيئا، وهذه أول رواية تصدر له بعد خروجه من السجن. فقد التحق الزليتني بالكلية العسكرية سنة 1973م، وتخرج منها سنة السجن؛ 1975م، وهو لا يتجاوز العشرين من عمره، ولم يفرح بالرتبة سوى أشهر معدودة، حتى قبض عليه وزج به في السجن، لاتهامه في محاولة انقلاب عسكرية، ضد نظام حكم القذافي، فيما عرف بالمحاولة الانقلابية لعمر المحيشي، عضو مجلس قيادة الثورة، وحكم على بطل هذه الرواية في البداية من قبل المحكمة العسكرية الدائمة بالإعدام، ثم خفف الحكم من قبل المحكمة العسكرية العليا الي المؤبد، ولم يخرج من السجن إلا مع أصبح الصبح سنة 1988م.

وبعد السابع عشر من فبراير سنة 2011م، رد إليه اعتباره، وأعيد للعمل بالقوات المسلحة برتبة عميد، وهو حاليا يعمل بالكلية العسكرية مدرسا للتاريخ العسكري، متزوج وله ابنة وثلاثة أولاد، ومقيم بمدينة بنغازي.

في القسم الأول من هذه الرواية يحدثنا المؤلف عن سجن الحصان الأسود، والذي كانت له عدة أسماء من زمن الاحتلال الايطالي، قال عنه المؤلف: (سجن الحصان الأسود- سجن طرابلس المركزي- سجن الحصان الأبيض- سجن بورتا بينيتو، لأسماء عديدة لمسمى واحد مبنى قديم ضخم موحش على الدوام موغل في الزمن وفي ذاكرة الناس كان قائما في حي بن غشير في العاصمة الليبية طرابلس قبل أن يزال من الوجود في عام 1984م). كان هذا السجن معروفا جيدا لكل السياسيين والمناضلين والمفكرين والمثقفين والنقابيين والحزبيين والفنانين والعسكريين والفقهاء والشيوخ غيرهم.

واستمر الروائي في شرح تفصيلي عن مبنى هذا السجن وأقسامه وما يدور داخله من حالات التعذيب والقهر والترهيب، وبعد سبع سنوات أمضاها السجين بطل هذه الرواية يفاجأ عند منتصف نهار الرابع والعشرين من مايو عام 1982م بالمناداة على اسمه ثلاثيا من قبل السجان ويكرر له السجان في غيظ:

-البس واطلع...

ارتبك السجين بشدة، وبدت عليه علامات الحيرة، وهو لا يستطيع ان يسأل إلى أين ولماذا؟ كل ذلك ممنوع، عليه أن ينفذ الأمر فقط. ارتدى السجين ملابس السجن وانطلق مهرولا نحو الباب الخارجي، حيث كان السجان ينتظره، وهو لا يعرف ما يخبئه له القدر، حتى كبر الامر وخرج معه آمر السجن شخصيا هذا الجبار القاسي "ن المسلاتي" مع السائق في سيارة عسكرية.

وحكى لنا السجين الروائي عن طريق الفلاش باك من هو "ن المسلاتي" في العهد الملكي، المجرم القاتل، وكيف كان سجينا في نفس السجن، بعد مجزرة كبيرة ارتكبها؛ وهي ذبح عائلة يهودية ليبية كانت مقيمة في طرابلس، وبعد انقلاب سبتمبر تحول إلى بطل وعفا عنه النظام الجديد، بل ورقاه إلى رتبة مقدم، وجعله آمرا لهذا السجن الذي كان سجينا فيه. اقتربت السيارة التي تحمل السجين وآمر السجن معه ويقودها العسكري من مبنى في المدينة ووجد السجين نفسه في مكتب عضو مجلس قيادة الثورة "مصطفى

الخروبي" الذي ما إن دخل عليه وبعد شرب كوب الشاي حتى قال له "الخروبي :"

- يؤسفني إبلاغك بانتقال والدك الي رحمة الله. عظم الله أجرك.. الأخ القائد يبلغك تعازيه الحارة، وقد أمر بأن تخرج من السجن لحضور مأتم المرحوم في إجازة مدتها خمسة أيام فقط.

بقية الرواية تتحدث عن مدة الأيام الخمسة في السفر، وحضور تأبين والده الذي دفن قبل أن يصل إلى بنغازي.

وعندما سأله "الخروبي" أي خدمة، طلب منه أن يرتدي ملابسه المدنية فوافق له الخروبي على الفور، وأمر له بتذكرة حجز طيران، هو واثنين من المخابرات العسكرية لمرافقته، فسافر السجين وبرفقته اثنين من المخابرات العسكرية من مطار طرابلس الي مطار بنينه بنغازي، ومن خلال زيارة السجين بطل هذه الرواية، علم في اليوم الثاني من عمه أن له صديقا كان مسؤولا كبيرا في السابق، ومعه اثنين آخرين، هما من كتبوا التماسا لقائد الثورة عن طريق عميد بلدية بنغازي، حينذاك "إبراهيم بكار" والذي كان يحتفل بزواج نجله ويحضره قائد الثورة شخصيا، واستطاع العميد أن يتحصل لهم من القائد على إذن خروج السجين والسماح له بإجازة لحضور مأتم والده، وقد وافق القائد على ذلك الالتماس واجازة لمدة خمسة أيام، وفي اليوم الثاني حيث يقوم بطل الرواية بزيارة قبر والده بصحبة حراسه وهو في الطريق يتذكر طفولته وملاعب صباه بطريقة الاسترجاع والفلاش باك، وقد قرأ الفاتحة على قبر والده ودعا له، وبذات الأسلوب أيضا؛ حكى لنا عن والده وما اتصف به من رجاحة العقل والحكمة بين معارفه وأصدقائه. وفي الليلة الأخيرة له في بنغازي، زاره صديقا الطفولة والصبا وسهرا معا إلى ساعة متأخرة في الليل، وفي اليوم التالي عاد الى طرابلس، وبرفقته حارسيه، ودخل إلى سجنه ظهيرة يوم الجمعة. هذه الرواية اهتمت أيضا بالمأثور الشعبي، من خلال تضمن مقاطع من الشعر الشعبي والأهازيج التي كان يقولها المساجين.. وقد كتبت الرواية بأسلوب سردي بسيط تحية للروائي على عمله الأول صدع في الجدار ونتمنى ان نقرأ له رواية ثانية في القريب ان شاء الله.

العلاج النفسي: جرعة من نثر وحبوب كاملة من الشعر القراءة حبل النجاة

مريم سلامة

هل وجدت نفسك يوما تتحدث لنفسك بصوت عال وكأنك على حافة الجنون متمنيا لو أن أحدا يستمع إليك، فيسمعك؟ أو هل شعرت بأن الكلام الذي تضج به نفسك غير قادر على فهمه متمنيا أن تجد من تتحدث إليه لعل ما عنده يفسر ما لديك؟ لو كانت إجابتك بنعم فقد يكون هذا إشارة لحالة قد لا تستدعي مصحة أو طبيبا، ولكن إن تركتها قد تكبر وتصبح شيئا مدمرا. في هذه الحالة، ومع هذه الإشارة، قد يكون خير ما تفعله هو عمل أدبي تختاره وتقرأه على مهل، عملا بنصيحة من الخبراء.

من المحاولات التي اطلعت عليها مؤخرا في دورة تعليمية على الانترنت، قدمها موقع التعليم المستقبلي أدارها أستاذ الأدب جوناثان بيت وزوجته د.بولا بيرن بعنوان: الأدب والصحة النفسية: القراءة من أجل راحة البال، في إدراج قراءة الأعمال الأدبية على سبيل التعامل مع مثل هذه الإشارات وغيرها من الأشياء المسببة للتوتر النفسي في ذروة الأوقات العصيبة، هي قراءة روائع الأدب من شعر ونثر المتعمق في هذا الإعطاب الذي يصيب الروح ويظهر على البدن، كوسيلة لإدارة هذه الأمراض في مرحلة الظهور قبل أن تتمدد في الجسد وتتحول إلى أمراض عضوية مستفحلة.

استعان هذان الزوجان العملاقان في الأدب بمجموعة من المهرة المتخصصين في علاج الأمراض النفسية والعصبية وأمراض القلب، وكذلك بأصحاب التجارب الشخصية، الذين وقعوا فريسة سهلة لهذه الإشارات المرضية.

ثم قادتهم المصادفة إلى قراءة هذا العمل الأدبي أو ذاك فغير حالهم بالكامل من المرض وحافة الانهيار والموت إلى الصحة والإنتاج الأدبي الذي وضعهم على خريطة الإبداع المعرفي عن استحقاق وجدارة، وأيضا بوجوه شهيرة من عمالقة المسرح والتلفزيون ممن خاضوا تجارب عميقة في تقديم هذه الأعمال مرئيا وكيف أنقذهم اللجوء للقراءة من هلاك الإدمان أو المرض. ولكن الجميل في هذه الدورة أنها على الانترنت فكان هناك ألاف المشاركين من كافة أنحاء العالم ممن أدلوا بأصواتهم وشهاداتهم وتحدثوا عن تجاربهم بكثير من العفوية متكئين على مشورة هؤلاء المتخصصين في مساعدتهم للوصول إلى حبل النجاة والتشبث به ومشاركته مع الآخرين

يقول الأديب الفذ صموئيل جونسون 1709 - 1784 "أن المغزى من الأدب هو أن نستمتع بالحياة بشكل أفضل أو نتحملها على نحو أفضل." فالحياة فيها الراحة وفيها الألم والأدب في مواجهة هذين الثنائيين تعمق كثيرا وأنتج كثيرا وهذا الكثير مهيأة للقراءة التي تغذي العقل وتعين النفس والجسد معا على تخطي الكثير من العوارض الأليمة .

نحن ندرك أنه لا يوجد مرض يصيب النفس أو العقل ولا يلقي بظلاله على الجسد. فالعطب الذي يصيب الروح ويتغلغل عميقا كثيرا ما تخطئه الحواس لكنه يجد بوسيلة ما طريقه إلى الجسد وعند ذلك لا يجد المريض أمامه إلا الطبيب والصيدلية والأدوية الكيمائية وحيز من الحظ بين ما يخطئ وما يصيب. وقد ننصح بسيل من تجارب أخرى نسميها التداوي بالأعشاب والرقية أو الطب البديل والباب مفتوح على مصراعيه لكثير من المساعي الفردية والمؤسساتية أيضا. من هذه الحالات التي تستبد بالنفس والجسد معا؛ الإجهاد والتوتر النفسي، الانكسار العاطفي (عذاب الحب)، الفقد، الخلل الناجم عن توتر ما بعد الصدمة الأليمة، الاكتئاب والخلل (ثنائي القطب، الهوس)، الخرف.

هذه الأمراض متداولة وقد تظهر في أي زمان وأي مكان ولكن بيئة الحروب وخصوصا الأهلية هي المرتع الخصب لها. وأكثرها انتشارا الإجهاد والاكتئاب. فالعصر الذي نعيشه هو عصر الإجهاد النفسي بلا منازع، وهذا الإجهاد الذي، قد يبدو أو أصبح طبيعيا لشدة انتشاره وتوافر ظروفه، كثيرا ما يقود إلى الاكتئاب، وهو اشد خطرا من الإجهاد .

يقول الطبيب العام سيمون كرتيز "أن التوتر أو الإجهاد هو رد فعل الجسد تجاه المحيط والمواقف التي نجد صعوبة في

التعامل معها. وهذه المواقف قد تكون عامة يشترك فيها الجميع ومنها البطالة أو الإرهاق الناجم عن كثرة الشغل خيبة الآمال العريضة كثرة المطالب وعوز اليد، وقد تكون فردية تتعلق بحالات خاصة" وعن سؤال حول قدرة الأدب وقرأته في معالجة المكتئب والمتوتر أجاب بثقة " نعم يستطيع الأدب، الفن، الشعر، الموسيقى، النثر أن يكونوا أداة فعالة تساعدك على الإرساء في لحظة تفصلك عن كل الضجيج الأبيض الذي يدور في محيطك وتجعلك تركز على هذه اللحظة، وذلك خطوة هامة في طريق الصحة النفسية والشعور بالارتياح والرضا." وأضاف مستدركا "لكن مثلما أن الدواء الكيميائي لا يعطي نفس النتيجة عند تعاطيه لنفس المرض من قبل حالات مختلفة كذلك قراءة الأدب وتأثيره الايجابي قد لا ينجح إلا مع قلة قليلة، وقد يحتاج إلى ممارسة ومران وقناعة واقتناع حتى يؤتي أكله.

من تجارب معالجة الإجهاد والتوتر تجربة الشاعر ادوارد توماس (1917–1878) (وكان يعاني من الاكتئاب في قصيدته (ادلستروب) وهي منطقة توقف عندها القطار (رمز مشاغلنا اليومية التي لا تنتهي) فجأة لظرف ما أمام لافتة تحمل هذا الاسم وهنا في هذه الوقفة تأمل الشاعر المحيط، الأشجار، المراعي واستمع إلى شدو طيور التي جاءت من كل المناطق المجاورة وشعر أنه في هذه اللحظة قد تحرر من كل إجهاد وضغط نفسي وأن استرجاع ذكرى هذه الوقفة ظل على الدوام بنفس الوقع الذي كان للتجربة ذاتها.

في هذه الدورة التعليمية الرائعة، والتي امتدت لشهرين ونصف، كان هناك الكثير من المواد المصاحبة من سير ذاتية ومجموعات شعرية وقصائد نادرة وقصص وروايات لمبدعين مشهورين ومغمورين على حد سواء. ومن هذه المؤلفات الرائعة (تشريح الانقباض النفسي)، أو ما نعرفه بعذاب القلب أو القلب المحطم بعد فشل عاطفي، للكاتب روبرت بيرتن من القرن السابع عشر وقد جمع فيه ما توفر له من أعمال أدبية تناولت مواضيع أصاب أبطالها أعراض مرض (انكسار القلب) الذي يظهر بوضوح على الجسد من ضعف الشهية، الشحوب، جحوظ العين، ارتعاش الأطراف، الجفاف، عدم التركيز.. وفي هذا الصدد اتفق الأطباء مع الأدباء ما كنا نعده من بلاغة الكلام والصور الشعرية هو في الحقيقة حالات عضوية خاضعة للفحص والقياس. تحدث الطبيب العام اندرو شومان عن حالات حقيقية للقلب

المحطم رصدها شعراء في قصائدهم ومنهم الشاعر هنري ووتن في تأبينه لموت زوجة أحد الأعيان في عصره، أوائل القرن السابع عشر، "هو من قضى نحبه أولا وهي، حاولت لفترة أن تعيش بدونه، و لكن لم يعجبها ذلك فماتت"

ومن الأمراض النفسية التي توقف عندها فريق الخبراء المشارك في هذه الدورة طويلا الاكتئاب. وهو من الأمراض المستشرية بسبب تميز العصر بالانفتاح الإعلامي على الأخر دون غربلة، وشيوع أسباب القلق والخوف، و تزايد الأخبار عن الأوبئة والآفات القاتلة دون تهيئة ودون توعية أو تحذير. تظهر أعراض الاكتئاب على الجسد ومنها قلة الحركة، الانكفاء على الداخل، فقدان الدافع الوجودي، سيطرة هاجس العزلة، والرغبة في الموت. والاسوء من كل ذلك المشاعر البغيضة المصاحبة: الحشمة، الذل، العجز والشعور بالدونية أو اللاشيئية و كلها مشاعر تنهش المريض بأنيابها أو تعوي في داخله طوال الوقت. أطلق صموئيل جونسون الأديب الكبير على الاكتئاب الكلب الأسود، لا عجب. وهناك كتاب ومبدعين كثر استبد بهم الاكتئاب منهم من تعافى ومنهم من انتحر. والهوس حالة يعيشها المكتئب وتتميز بنشاط فجائي استبدادي تتفجر فيه الطاقات دون توقف ويصبح حالة مرضية ولهذا يطلق عليها ثنائية القطب أي من أقصى الخمول إلى قمة النشاط. وقد يختلط الأمر على بعض المحيطين بالمريض فتوصف حالته بالاكتئاب وخصوصا الحزن الشديد الذي قد يعقب فقدان المحبوب قد يفهم خطأ على أنه اكتئاب ويعطى له مضادات الاكتئاب في حين أنه مرحلة عابرة قد يتعافى منها المريض بجرعة من النثر وحبوب كاملة من روائع الشعر .

وسأختم هذا الملف الطويل: قراءة الأدب كوسيلة للعلاج النفسي بمقتطفات لأدباء وأطباء وأصحاب تجارب مشاركين في هذه الدورة المتميزة

ملفن براق: إعلامي وروائي" كانت القراءة في مرحلة ما وبشكل ما حبل النجاة"

جاك لانكستر: صاحب تجربة في انكسار القلب" علمني الشعر أنه لا بأس أن تعبر عن نفسك"

ريتشل كيلي: صاحبة تجربة ومؤلفة كتاب عن التجربة "عند سطر ما يحدث شيء غير اعتيادي تتغير معه تلك الكيمياء التي في راسك"

صوفي رتكليف: صاحبة تجربة في الفقد "تسمح لك القراءة بأن تستكين وأن

تتمعن وهو شيء نحتاج إليه ولكن قلما نسمح لأنفسنا بذلك"

اندرو شومان: طبيب عام "تستطيع صفحات قليلة في الليل أن تصنع فرقا، فقط كن على علم أنه في تلك اللحظة سيكون لديك السيطرة التامة وأن ذلك سيجعلك ساكنا جدا"

بولا يبرن: أستاذة أدب "من الأشياء التي تثير اهتمامي جدا هي قدرة الشعر على قول كلمات لا نستطيع أن نجدها"

جوناثان بيت: أستاذ الأدب "نعم ذلك هو ما أحسه ما أشعره ما يجري في داخلي ولا أجد الكلمات لأعبر عنه"

ريتشل كيلي: "ينتمي الشاعر جلال الدين الرومي إلى القرن الثالث عشر ومع هذا فصوته حديث وقد وصف تجربتي بمنتهى النبوغ لدرجة شعرت فيها أنني لست وحدي، مرحى."

ملفن براق: لأن ما يحدث مع هذا النوع من الاكتئاب الذي يصيبك في الصغر، كما كان الحال معي، يجعلك تظن أنك وحدك في هذا المصاب. ولكن ما أن تقرا حتى تكتشف أن هناك من هم مثلك وهذا وحده مبعث ارتياح كبير"

مارك هودن: صاحب تجربة في الاكتئاب ومؤلف "لو تستطيع أن تضع أسوا الأشياء المتخيلة في بضعة كلمات جميلة فأنت تضع الوحش في مصيدة وتجعلها على مسافة منك"

ستفن فراي: الممثل العالمي "عندما تجد ضالتك في قصيدة وشاعر، تدرك بأنك أصبحت ضمن دائرتهما، وأنهما ومنذ تلك اللحظة وإلى الأبد ستصبح جزء منهما، من عالمهما، من إبداعهما، من انجازهما، من طريقتهما في النظر للأشياء ولن يتركاك أبدا وذلك أمر في غاية الإدهاش ."

السير اين مكلين: الممثل المسرحي "من الأشياء المعروفة عن الخرف، حيث يكون هناك مسن قد تغير جسديا وعقليا بالكامل، هو تأثيره على المحيطين به. في تجربتي، وبعض من تجارب أصدقائي، أن تتولى رعاية شخص عاجز اليوم، وكان هو المانح والراعي بالأمس، هو أمر مرهق ومحزن جدا. "

الشاعر محمد الفيتوري: أنا لا أملك شيئاً غير إيماني بشعبي وبتاريخ بلادي!!

مفتاح الشاعري

هو محمد مفتاح رجب الفيتوري شاعر أفريقيا.. وترد بعض المصادر بأن والده ليبي هاجر إثر احتلال ايطاليا لبلاده عام" 1911" واستقرت أسرته في بلدة الجنينة على الحدود الغربية للسودان حيث ولد الشاعر عام 1930. أنتقل مع أسرته إلى مصر واستقرّ بمدينة الإسكندرية حيث أنتظم في تعليمه الأولّي ثم الثانوي وفي القاهرة التحق بالأزهر الشريف، ثم عمل محرراً في الصحافة المصرية والسودانية، وكتب مجموعة من الدراسات الأدبية والسياسة وأجرى العديد من المقالات كانت تُنشر بصحيفة الجمهورية المصرية. وحين كان بعد ذلك في السودان ترأس الكثير من الصحف والمجلات، منها مجلة الإذاعة والتلفزيون، وخلال فترة مكوثه في لبنان، عمل محرراً أدبيا في مجلة الأسبوع الأدبي وصحيفة بيروت، كما كان عضواً فاعلاً في مجلة الديار، لكنه سرعان ما ابُعد من لبنان لأرائه التي لم ترق للسلطة خاصة فيما يتعلق بموضوع الترحيل ذلك الوقت، وليشد رحاله إلى ليبيا ويعمل رئيساً لتحرير مجلة الثقافة العربية. ثم كانت هناك مرحلتان تميزتّا بالاختلاف، حين شغله وظيفة خبيرٌ إعلامي بالجامعة العربية: 1968- 1970، ثم مستشارا للسفارة الليبية بالعاصمة الإيطالية ثم اللبنانية وبعدها المغربية.

يُعد الفيتوري ضمن رواد التجديد في حركة الشعر الحديث بالرغم من صفة (الصوفية) التي قال بها بعض النقّاد لديه، وربما كان ذلك يرجع الى نشأته في عائلة وصفت بانتمائها للصوفية حياة ومسلكاً، وما لأثر ذلك من ملامح لم تخف في بعض أشعاره كما في (عودة نبي) التي لم تخلوا من رمزية دينية !!

أما تأسيسه الثقافي الذي جاء عبر تأثّره بالشعر العربي القديم وآداب الغرب، لكنه إضافة إلى ذلك مسحة من حزن ساكن تارة وثائراً تارة أخرى ومردّ ذلك كانت لفترات الغربة التي لازمته ولم تفارقه.

مع الإشارة بأنه كان من الشعراء الذين اعتمدوا استجلاب أكثر من صنف أدبي ديني وشعري لإعادة تشكيلهما في خلق نصاً يقول برسالة الشعر وواقعية المشهد وكأنه في ذلك يخلق المقارنة المتوافقة بين هدفين غير متضادان .. أيضا فهو رغم تألقه إلا أنه لم يخلع رداء البراءة من واقع عربي هو منه اثُخن بنكسات لم يكن بالإمكان الإشارة إلى واقعها ومحاولة التنبيه لسلبياتها في رسالة ضمنّية هدفت في النهاية إلى الحد منها او استنتاج ما يمكن من خلاله خلق واقع مغاير لما هو واقع ..

ويظّل البعد الإنساني والسياسي يشغلان حيزاً غير قليل من فكر هذا الشاعر فكان المهتم بتاريخ إفريقيا الاجتماعي والسياسي الذين لم يخلوا من الإشارة الدائمة لمراحل استعباد الأفريقي على يد الرجل الأبيض على مر العصور، ثم حركة التحرر التي قادها الرجل الأسود في سبيل استرداد حريته المسلوبة.. كان الفيتوري " عروبياً " بكل ما في هذه الكلمة من معنى، فتناول إفريقيته بمنظور العربي الواعي الرافض للإقليمية، فكان المتغني بقضية فلسطين والمحتفي الدائم برموز الجهاد والحركات الوطنية على مستوى الوطن دون تجزئة

لهذا قيل بأن الفيتوري كانت تتنازعه جنسيات ثلاث الليبية والسودانية والمصرية، وهو في ذلك الإنسان الذي لم تفارقه هالة من كبرياء برغم ما كان يوصف به من ملامح لم تحمل الجمال - :

فقير أجل.. ودميم دميم
بلون الشتاء.. بلون الغيوم
يسير فتسخر منه الوجوه
وتسخر حتى وجوه الهموم
فيحمل أحقاده في جنون
ويحضن أحزانه في وجوم
ولكنه أبداً حالم
وفي قلبه يقظات النجوم

وهو المحمّل بأشياء تحيط بواقع وطن في مخيلة مواطنِ عربي بسيط ففي "رؤيا":

خارجاً من دمائك
تبحث عن وطن فيك
مستغرق في الدموع
وطن ربما ضيعت خوفاً عليه
وأمعنت في التّيه. كي لا يضيع
أهو تلك الطقوس؟
التي ألبستك طحالِبها في عصور الصقيع
أهُو تلك المدائن؟
تعشق زوارها، ثم تصلبهم في خشوع
أهو تلك الشموس؟
التي هجعت فيك
حالمة بمجيء الربيع
أهُو أنت؟
وقد أبصرتك العيون
وَأبصرتها في ضباب الشموع

للفيتوري مؤلفات عديدة يُذكر منها في الشعر: أغاني إفريقيا - ذكريني يا إفريقيا- عاشق من إفريقيا - سقوط دبشليم - معزوفة لدرويش متجول- البطل والثورة والمشنقة- أقوال شاهد إثبات - ابتسمي

حتى تمر الخيل - عصفورة الدم. أما المسرحيات فهي: سولارا - ثورة عمر المختار. وفي مجال الدراسات: عالم الصحافة العربية والأجنبية - الموجب والسالب في الصحافة العربية. أيضا كانت له مجموعة من الكتب المترجمة وهي: نحو فهم المستقبلية "دراسة"- دمشق - التعليم في بريطانيا - تعليم الكبار في الدول النامية. وربما سيكون من الأجدر حين التحدّث عن هذه الهامة الشعرية الإشارة لمقالة أ. سيدي محمد بعنوان (الشاعر محمد الفيتوري... ويده المرتعشة) التي قال فيها " نصاً- :"

(عندما نكتب عن شاعر عربي فإننا بالتأكيد سنكتب وأمام أعيننا أننا نكتب عن قصيدة عاشت في المنفى وماتت في المنفى دون أن يقرأها أحد لا لشيء سوى أن الكلمة الإبداعية مزعجة، خاصة إذا كان صاحبها يمتلك تاريخا وامتدادا إبداعيا لا يعترف بقوانين الرتابة وأقفاص السكون

الشاعر محمد الفيتوري ويده المتعبة أحد المنفيين داخل وطنه حيث لم يعد المنفى مجرد حرمان من العيش على أرض تصالحت معها النفس والروح بل أن تغيب وأنت حاضر... فقليلون هم الذين يعرفون أن الشاعر الذي غنى لأفريقيا وعاش لأفريقيا وسيموت لأفريقيا لم يعد قادرا على الكتابة بيده اليمنى بعد أن شدت أجمل الألحان مسجلة الماضي والحاضر والمستقبل. يد الفيتوري المرتعشة بعد أن أصيب بجلطة دماغية أصبحت تأبى أن تطاوع ترنيمات يمليها عبقر شعره الذي قال عنه مرة إنه يذهب إليه ولا ينتظر مجيئه عكس الشعراء الآخرين

الفيتوري مهر أصيل ضل وهاده ما بين مضارب تغلب وبكر وكندة وعبس ساكنا روح عنترة مرورا بكل عصور التشظي العربي شعرا وسياسة، حتى أصبحت قصائده سجلا وديوانا لكل أشكال الحركة المعاصرة بترسباتها وسباتها وثوراتها ومخاضها، وكأنما سكنت روحه شجر النيل أو خبأ ذاته في نقوش تضاريس أمته

سأرقد في كل شبر من الأرض
أرقد كالماء في جسد النيل
أرقد كالشمس فوق
حقول بلادي
مثلي أنا ليس يسكن قبرا

إنه طيف منفلت من عصور الرتابة جاء تاركا خلفه كتب الرمل متطلعا إلى كتب الغيم وشموسها التي لا تضيء وكائناتها التي تعيش في الظلام كالدبابير.. بدءا من أغاني افريقيا سكب الفيتوري حريته على كل بقعة من أرض أفريقيا وأسال دم قصيدته فداء للقصائد الأخرى.. مستنشقا نسيم الشعر الذي لا تحده الحدود ساخطا ومعريا لأبشع صور الموت داخل الحياة

قلها، لا تجبن، لا تجبن
قلها في وجه البشرية
أنا زنجي وأبي زنجي الجد

وأمي زنجية
أنا أسود، لكني
حر أمتلك الحرية
أرضي أفريقية

الحرية عنده هي الأصل بينما الأحداث الأخرى عوارض

أمس قد مر طاغية من هنا
نافخا بوقه تحت أقواسها
وانتهى حيث مر

وهنا ندرك أن سر هذه الحرارة في قصائده التي يشكل فيها التصادم والعناد والصرخة إيقاعا يكاد يكون منتظما، هي بسبب الجمرة الأفريقية في دم الفيتوري التي مازالت متقدة تلتهم عواطفه وتثور معها أحاسيسه مع مأساة انتعال ذلك الجسد الأفريقي كما عرتها رواية الجذور بكل قرف حضاري

جبهة العبد ونعل السيد
وأنين الأسود المضطهد
تلك مأساة قرون غبرت
لم أعد أقبلها لم أعـد
كيف يستعبد أرضي أبيض
كيف يستعبد أمسي وغدي
كيف يخبو عمري في سجنه
وجبال السجن من صنع يدي
أنا فلاح ولي الأرض التي
شربت تربتها من جسـدي

وربما غذى تلك الجمرة الزنجية لدى شاعرنا لهيب من الدم العربي الصحراوي المكهرب بقضايا أمة مازالت في حالة موت سريري منذ نصف قرن ليشكل الفيتوري بذلك حالة فريدة من الانتماء للونين مختلفين وتاريخين يصعب المزج بينهما، وهي حالة الجيل الذي ينتمي إليه الفيتوري (محيي الدين فارس وتاج السر الحسن وجيلي عبد الرحمن) والذي تضج قصائده بأصداء هذه النزعة الزنجية والولاء العربي فهل نجح الفيتوري في خلق التوازن أم ضاع بين الثقافتين؟

قد لا نظلم الشاعر الكبير إذا قلنا بأنه كان منصفا جدا ووفيا لأفريقيته وزنجيته وكتب عنها أجمل ما يمكن أن يهديه عاشق لمحبوبته، ووعيا منه بذلك كان لا بد من وداع يثبت في الذاكرة البشرية هذا الرصيد الشعري الذي يؤكد على التحام الفيتوري بقضيته، فجاء ديوانه "اذكريني يا أفريقيا" كنهاية لمرحلة وبداية لأخرى قومية عربية. هذا الشاعر الذي أصبح كالعامل المتنازع عليه في عرف النحويين رصد في هذه المرحلة كل الأفلاك المحيطة بفلكه القومي... آخرها كان مع سقوط بغداد حينما أبحر الفيتوري الثائر كعادته بين كلماته المتعبة بمرور السنين والمفجعة مثل عمره الذي أثكله الماضي ساحبا وراءه شموخ جيل عاش مرحلة من مراحل التعب الحضاري والتحدي. وقد تجّذر هذا التحدي في الأجيال الحالية رمزا للفداء. ففي قصيدة له بعد الغزو والاحتلال نجده لا يسخر من الواقع العربي بقدر ما يربت على كتف الشهيد العراقي والعربي، ولا ينتقص من قيمة العطاء رغم قلته بقدر ما يمسح الدموع

عن خدود ضائعة مبتلة بين دجلة والفرات بل بين المحيط والخليج، ليعلن صرخة الميلاد بصوته المبحوح مؤذنا بفجر جديد ومولود يبتسم مع شيب الليل وسواد خيوط النهار رغم كل تناقضات الواقع

دعونا نعلّقْ على مشجب الشمس أكفاننا
ونهزُّ بيارقنا
أو دعونا نصلي
فقد تُخْصِبُ الصلواتُ التي يبِستْ في حناجرنا
ثم سالتْ نُعوشا عراقيةً
ومدائنَ مكسوةً بالحرائقِ، مزدانةً بالدماءْ
دعونا نُغَنِّي لمن يستحق الغناءْ
ونبكي لمن يستحِقُّ البكاءْ
ومن تتناغم أطيافُنا في رؤاهْ
ومن هو نافورةُ الضوءِ تحت السماءْ

يسبح الفيتوري ضد التيار ومعه أحيانا أخرى، وأشعاره تتجول في أحيان كثيرة - بعد ذلك التنازع- في الأفق الصوفي الوجداني كنوع من تلطيف المرحلة الشعرية واسترخاء من شاعرنا الكبير في أريكة الكون الواسعة، يقول في قصيدة "معزوفة إلى درويش متجول

شحبت روحي صارت شفقا
شعت غيما وسنا
كالدرويش المتعلق
في قدمي مولاه أنا
ثم لا يلبث أن يجد نفسه مجموعة أشياء متناثرة ومتناقضة
فأنا جسد.. شجر.. شيء عبر الشارع
جزر غرقى في ماء البحر
قنديل زيت مبهوت
في أقصى بيت في بيروت
ثم يتوحد مع مكانه وزمانه وعشقه
عشقي يفني عشقي
وفنائي استغراق
مملوكك لكني
سلطان العشاق

بدر الفيتوري لم يأفل بعد كما هي شمسه التي لم تغب.. بل نجده مازال يرقص معها عريانا في رسالة استهزاء بكل تابوهات الوجود، مع ديوانه الجديد الذي حمل عنوان "عريان يرقص في الشمس" هذا الديوان الجديد يكاد يشكل عنوانه بعدا خياليا واسعا بدءا من الرقص إلى استخدام مفردة الشمس مع العري من مبدع جاوز السبعين من عمره، لكنه أيا كانت الأبعاد فإن الشاعر في هذا الديوان مازال يتغنى بأفريقيته جنبا إلى جنب مع عروبته على نغمات صوفية يقترب فيها من فلسفة المعري وتلاشي الشعور في دخان الكلمات منذ تمثل تجربته الشعرية على مدى نصف قرن يقول

بعض عمرك ما لم تعشه
وما لم تمته
ومالم تقله
وما لا يقال
وبعض حقائق عصرك
أنك عصر من الكلمات
وأنك مستغرق في الخيال...

الذوق الرفيع في الشعر الجاهلي (1-2)

د.سعدية حسين البرغثين / أستاذ مشارك

جامعة بنغازي / كلية التربية / قسم اللغة العربية

بنغازي 2019م

قال تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وصآكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) صدق الله العظيم - سورة الأنعام، آية: 153

ملخص البحث:
الذوق الرفيع هو فن التعامل مع الناس بأشكاله المتعددة، النفس المرهفة الجميلة، الموقف الجميل، التصرف الجميل، الحركة الجميلة، اللمسة الجميلة، الكلمة الجميلة، ويظهر في جمال النظام، جمال النظافة، جمال الأناقة، جمال التناسق والانسجام، جمال البيت، جمال في مكان العمل، جمال في الطريق، جمال في الأماكن العامة. ومن الناس من اعتقد خطأ أن الذوق والأدب والخلق الرفيع، والرقي الحضاري، كل هذه قيم غربية خالصة، ولا تكتسب إلا في المدارس الأجنبية، وظن أن ديننا الحنيف عكس ذلك تماماً .

ورد في سورة النور آية 27 حديث الاستئذان قبل دخول البيوت في قوله تعالى ﴿ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ يتجلى في هذه الآية مظاهر الذوق والأدب وفن التعامل مع الآخرين في أسمى صوره ومعانيه فكلمة (تستأنسوا) معناها الآن في القرن الواحد والعشرين أن تتصلوا بهم عبر الأنترنت أو هاتفياً وتأخذوا منهم موعداً أي تتأكدوا أنهم مستعدون لاستقبالكم ، كلمة جميلة كلها ذوق رفيع، أي تضمن أن هذا الصديق سيأنس بقدومك . وفي ذلك تنمية للذوق الرفيع، وتدريب الأحاسيس الإنسانية على الاتصال بمعاني الجمال المادي والمعنوي تجاه معظم الأمور الحياتية إن الحياة بغير ذوق وجمال مقفرة ومدعاة للملل والسآمة.

وإذا وصلنا إلى تحقيق الذوق تتحول حياتنا إلى تذوق كل شيء جميل، وندرك الجمال حين نمارس الذوق في كل شؤون حياتنا، حينها نصل إلى بناء مجتمع مثالي يستجيب للجمال ويحس به ويدركه في شتى صوره.

فالعرب كانوا أصحاب ذوق رفيع، وحس مرهف، لذلك صبغوا أشعارهم بصبغة أدبية فخرجت في أجمل صورة، مما غرس في نفوسنا الميل الشديد إلى حب كل تصرف حميد يحمل معاني إنسانية راقية، وذوقاً رفيعاً، وإحساساً فنياً صادقاً، كما تبين لنا أن العربي القديم كان أكثر ذوقاً وتأدباً في معاملة الآخرين وهذا ما أكده شعرنا القديم .

فالذوق الرفيع يمثل قيمة إنسانية سامية، ومن آداب هذا الذوق اهتمام العربي بالابتسامة وانطلاق الوجه بالبشر والتهليل وهو يقدم العطاء للمحتاج، كما بلغ بهم الذوق أن يطيبوا نيرانهم التي تجلب لهم الأضياف. إن الذوق الرفيع ومكارم الأخلاق نتاج أجيال وأجيال وخلاصة تاريخ أمة صاغها الشعراء في شعرهم قصائد حية نابضة تعبر عن موروثهم الإنساني في ذلك العصر باعتبار أن الشعر يرسم صورة للواقع ومرآة تعكس لنا الحال آنذاك. فالحضارة ليست باستخدام الهاتف المحمول، والدخول على مواقع الأنترنت، وركوب المركبة الفارهة فقط، إنما الحضارة بالأدب والذوق الرفيع والرقي الأخلاقي. وما أحوجنا اليوم لمثل هذه المواضيع نستخلصها من تراثنا العربي الأصيل لنقدمها لأبنائنا زاداً ينهلون منه، فقد صور الشعراء لنا مواقف إنسانية راقية نابعة من جوهر التعاليم الإسلامية السمحة، على الرغم من عدم إدراكهم الإسلام وفي ذلك دلالة كبيرة استمدوها من فطرتهم السليمة وذوقهم الرفيع .

المقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مظل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، أما بعد.

الذوق ظاهرة حضارية تدل على رقي العقل الإنساني، وقد جاءت فكرة هذا البحث (الذوق الرفيع في شعرنا القديم) بعد أن عرفت أنّ الحضارة ليست باستخدام الهاتف المحمول والدخول على مواقع الانترنت، وركوب المركبة الفارهة فقط، إنما الحضارة بالأدب والذوق الرفيع والرقي الأخلاقي، فما أحوجنا اليوم لمثل هذه المواضيع نستخلصها من تراثنا العربي الأصيل نقدمها لأبنائنا زاداً ينهلون منه،

ولا يغيب عن البال أنّ الأخلاق والذوق الرفيع تبدأ بأدب وعلم البيت منذ الصغر، فالطفل كالشجرة إن لم نهذبها نشأت أغصانها متفرقة .

وكان أول من امتثل تلك الأخلاق رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) يقول الله (جل جلاله): (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) سورة الأحزاب، الآية: 21 .

وحينما نتأمل قوله (صلى الله عليه وسلم): " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " أخرجه أحمد والبخاري (1/ 104، 273، يمثل القمة السامقة في مكارم الأخلاق، ويشير (صلى الله عليه وسلم) إلى الالتقاء مع أخوته السابقين من الأنبياء في الدعوة إلى القيم العالية ومكارم الأخلاق، مع أن رسالات السماء انتهت إليه وما اكتملت إلا به، وشريعته نسخت ما قبله من الشرائع .

وجمع الله له كل ما تفرق في إخوانه الأنبياء من محاسن الخصال ومزايا الفعال، ولكنه الأدب الجمّ، والذوق الرفيع والخلق العظيم حقاً إنه نبي الإنسانية.

فمن علامات الإيمان وعنوان السعادة أن يُرزق المرء ذوقاً رفيعاً راقياً، وتهذيباً رقيقاً ليستمتع بالحياة ويحترم مشاعر الآخرين ويدخل السرور على نفسه وعلى غيره.

ومن أهم معالم الذوق الرفيع اختيار الكلمة الراقية الصافية، فقد مرَّ سيدنا عمر بن الخطاب ؓ على قوم يوقدون ناراً، فكره أن يقول لهم: السلام عليكم يا أهل النار، إنما قال: السلام عليكم يا أهل الضوء .

فالذوق السليم هو بمثابة الحلي التي يتزين بها الإنسان فتظهره بأبهى صورة، وهو أمر جميل يدل على حسن الخلق وسداد في السلوك، وتصرف حميد يحمل معاني الأدب.

ومن هذا المنطلق فإن البحث تناول الذوق الرفيع في الشعر الجاهلي بالدراسة الموضوعية للكشف عن موضع الجمال والذوق الرفيع في شعرهم، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة، ومسرد بالمصادر والمراجع.

تناولت في المبحث الأول تعريف الذوق لغة واصطلاحاً، والذوق الرفيع في القرآن الكريم، وتضمن المبحث الثاني الذوق الرفيع في الشعر الجاهلي، وتناول المبحث الثالث نماذج من صفات الخير التي يحملها ذو الذوق الرفيع، وأخيراً ختمت البحث بنتائج مهمة .

أما المنهج الذي سلكته في هذا البحث فكان يعتمد الاستقصاء والدراسة والاستنتاج ثم التحليل. وقد رجعت إلى مصادر ومراجع أهمها.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: الألوسي.

- دواوين شعراء الجاهلية.

- القيم الخُلقية في الخطابة العربية: سعيد حسين منصور .

- التصوير الجمالي في القرآن الكريم: عيد سعيد يونس.

والله نسأل التوفيق والسداد.

*

المبحث الأول
تعريف الذوق لغة واصطلاحاً

تعريف الذوق لغة :

ورد في لسان العرب أن: " الذَّوْقُ: مصدر ذاقَ الشيءَ يذُوقه ذَوقاً وذَواقاً ومَذاقاً، فالذَّواق والمَذاق يكونان مصدرين ويكونان طَعْماً، كما تقول ذَاقُه ومذاقُه طيّب؛ والمَذاق: طَعْمُ الشيء، والذَّواقُ: هو المأْكول والمشروب، الذَّوْقِ، ويقع على المصدر والاسم؛ وما ذُقْتُ ذَواقاً أَي شيئاً، وتقول: ذُقْتُ فلاناً وذُقْتُ ما عنده أَي خَبَرْته، والذوق يكون فيما يكره ويحمد ... " (1).

كما وردت كلمة الذوق في معاجم اللغة على أنها الحاسة التي تميز بها الخواص الطعمية للمواد بواسطة الفم، ففي المعجم الوسيط " ذاق الطعام ذوقاً وذواقاً ومذاقاً: اختبر طعمه، ويقال ما ذقت نوماً، أذاق فلان كذا جعله يذوقه، ويقال أذاقه الله الخوف وغيره: أنزله به، وتذوق الطعام مرة بعد مرة، ويقال تذوق طعم فراقه، ودعني أذوق طعم فراقه " (2).

ومن المجاز أن يستعمل الذوق فيما يتعلق بالأجسام من المعاني، كقوله تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) سورة الدخان، آية 46، وقوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) سورة التغابن، آية: 5.

يتضح لنا أنّ لفظ الذوق يراد به المعنى المعجمي كحاسة لتذوق طعم المواد المختلفة، ويراد بها المعنى الاصطلاحي، وهو إدراك المواقف الحياتية بما تحتويه من معان وأفكار وأحاسيس.

الذوق اصطلاحاً :

استعيرت كلمة الذوق من تذوق الطعام إلى تذوق الجمال، من المعنى اللغوي لمعنى التذوق ويراد به التذوق الفني أي: تربية

المشاعر من خلال الفنون، والذوق الذى يهمنا هو تلك الهبة الطبيعية الكامنة في نفوسنا، التي تدفعنا إلى تذوق الجمال بمعناه العام، لأنه أوسع وأشمل نطاقاً من أن يحصر في الفن، ونستطيع أن " نصل بكلمة الذوق إلى معنى أشمل عندما نتصوّر الذوق على أنه ليس فقط الاستجابة الجمالية للعمل الفني أو للعلامات الجمالية الموجودة في الطبيعة، ولكن على أن يتعدّى ذلك لتشمل هذه الاستجابة الجمالية كل نواحي الحياة وكل ما تمرّ به في حياتنا من خبرات ومواقف، وعندما يصبح الجمال سلوكاً عاماً، وسمة غالبة تصبغ كل تصرفاتنا بصبغتها . (3) "

فالتصوير الفني الذي هو أحد أهم مجالات الجمال القرآني "لا يجدي في تذوقه إلا الذوق، وطول الممارسة الأدبية، والعناية بإبراز خصائصه الجمالية، بالنظر العميق، والشعور الرقيق"() وبهذا نكون قد وصلنا إلى تحقيق الذوق حتى تتحول حياتنا إلى تذوق كل شيء جميل، وندرك الجمال حين نمارس الذوق في كل شؤون حياتنا، ومن هذا التصور الشامل لمعنى الذوق الجمالي نصل إلى بناء مجتمع مثالي يستجيب للجمال ويحس به ويدركه في شتى صوره.

فالحياة بغير جمال مقفرة ومدعاة للملل والسآمة، ويكفي التدليل على أهميته أنّ الله خلق الإنسان في أحسن صورة قال تعالى) :وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (سورة التين، الآيات من 1 – 4 .

ونقصد بالذوق أدبيات التعامل مع الناس، جمال التعامل بأشكاله المتعددة، النفس المرهفة الجميلة، الموقف الجميل، التصرف الجميل، الحركة الجميلة، اللمسة الجميلة، الكلمة الجميلة، جمال النظام، جمال النظافة، جمال الأناقة، جمال التناسق والانسجام، جمال في البيت، جمال في مكان العمل، جمال في الطريق، وجمال في الأماكن العامة .

فمن الناس من اعتقد خطأً أنّ الذوق والأدب والخلق الرفيع والرقي الحضاري، كل هذه قيم غربية خالصة، ولا تكتسب إلا في المدارس الأجنبية، ومنهم من تربّى على الأدب والرقي والذوق، وظن أنّ ديننا الحنيف عكس ذلك تماماً فتراه حين يسمع كلمة متديّن يُنتظر منه عدم اللياقة، وعدم النظافة وعدم النظام، فصار الذوق عند هذا الإنسان الواهم حاجزاً بينه وبين الذوق .

ومن الناس من ظن أنّ الإسلام في المسجد ليس غير!! لذلك يقول دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر.

الذوق الرفيع في القرآن الكريم

نجد في كتاب الله العظيم إشارات كثيرة تدل على التعامل مثل مفتتح سورة الحجرات، إذ فيها أمر للمسلمين، ودعوة إلى حسن مخاطبة النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى) :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (سورة الحجرات، الآيتان: 1 - 2 .

وفي هذه السورة ما يدل على حسن التعامل والذوق، كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) سورة الحجرات، الآيتان: 11- 12، تتضمن هذه الآيات الكريمة قيماً عُليا وأحكاماً تناسب الفطرة البشرية .

إنّ فن السلوك المهذب والتصرف الراقي لا يكون بهذه الصفة إلا إذا كان نابعاً من أعماق النفس البشرية دون أدنى تكلف أو تصنع، وهو في نفس الوقت يتفق مع مبادئ الدين والعادات والتقاليد السائدة .

كما ورد في سورة النور حديث الاستئذان قبل دخول البيوت في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) سورة النور، الآيتان: 27 – 28 .

ففي هذه الآيات الكريمة ما يتجلّى فيها من مظاهر الذوق والأدب وفن التعامل مع الآخرين في أسمى صوره ومعانيه، فالإسلام يعلّمنا الذوق، ويضع لنا منهجاً في فن التعامل والأدب، ومعنى (تستأنسوا) أي تتأكدوا أنهم مستعدون لاستقبالكم، وتستأنسوا في القرن الواحد والعشرين معناها: أن تتصل به هاتفياً وتأخذ منه موعداً ... كلمة جميلة كلها ذوق رفيع، أي تضمن أنه سيأنس بقدومك هذا الصديق، وفي ذلك تنمية للذوق وتدريب الأحاسيس الإنسانية على الاتصال بمعاني الجمال المادي والمعنوي تجاه معظم الأمور الحياتية .

ومن فضل الله على الأمة الإسلامية أنّ الشريعة التي شرعها الله لهم ذروة في الإيجابية والعطاء لأبنائها خاصة وللبشرية عامة، توجه إلى بناء حياة سوية سعيدة مفعمة بالذوق الرفيع، وتكفل لهم الأمن والسلام وحسن التفاعل، وقد وصف الله تعالى في كتابه الكريم العديد من الأخلاقيات بالجمال، والذوق الرفيع قال تعالى :فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ، سورة المعارج آية 3، كثير من الناس يصبرون لكن أبهى صوره صورة للصبر الجميل، كما قال تعالى :فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ سورة الحجر، من الآية 86، وكثير من الناس يهجرون، لكنهم يسيئون إلى مجهورهم، وتبقى أندى صور الهجر ما ورد في قوله تعالى :وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا سورة المزمل، آية 10، فكلمة جميلاً مصبوغة بالحكمة والرفق .

جميل أن تظهر مظاهر الجمال والذوق السليم في كل دقائق حياتنا فالجمال والذوق قيم إنسانية جديرة بالاهتمام لبناء الذات وتزكية النفس . ومن تمام الذوق والخلق ألا يلحق العطاء والجود مَنّاً أو أذىً، وقد أدرك العربي هذه الخصلة النّفسية، فالمعطي حين يعطى لا يفسد عطاءه بالمنّ وظل هذا المعنى موصولاً حتى أقرّه الإسلام، فقد قال تعالى: (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) سورة البقرة: الآيتان 263 - 264 .

كما كان الأجواد الكرام ينحرون الإبل السمينة والضّخمة لأضيافهم، ولم يكن العربي ينحر لضيفه إلا الكريمة من الإبل، وكان يعرض عن العليلة وقد أكّد القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) سورة آل عمران، آية: 92 .

حقاً إنّ الإسلام دين الذوق، قال تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) سورة النساء، آية: 86، إنها رسالة ربانية تعلّمنا الذوق الرفيع في التعاملات مع الناس، فالذوق منحة إلهية علينا ألا نبخل بها على الآخرين، ويجب أن نغرسها في نفوس أبنائنا؛ حتى تعطي ثمارها رقياً وحضارة وإنسانية طاهرة نقية من كل دنس وإثم وقبح.

فقد مدح الله بنية محمد (صلى الله عليه وسلم) واصفاً إياه بتمتعه بالخُلق العظيم والذوق الرفيع، فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم، آية: 4، وكذلك مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحاب الخلق العظيم في قوله: "إنّ

أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفقون، قالوا : يا رسول الله قد عرفنا الثرثارين والمتشدّقين، فمن المتفقون؟ قال: "المتكبّرون" رواه الترمذي (2018) وصححه الألباني في صحيح الترمذي . فالرسول (صلى الله عليه وسلم) بسيرته العطرة وأحاديثه الشريفة تحمل في ثناياها العديد من المعايير والصفات السلوكية التي تخدم الذوق الرفيع، فمكارم الأخلاق هي الغاية التي من أجلها بعث النبي (صلى الله عليه وسلم). فلم يقتصر الإسلام على القيام بالشعائر الدينية من صلاة وصيام وذكر وتسبيح، فيضاف إلى هذه العبادات الذوق السليم، وهو جزء مهم وأساسي للمسلم، فيتعامل مع الناس بأسلوب جميل وذوق رفيع .

ومن هنا يتضح لنا أنّ الذوق في الإسلام هو أدبيات التعامل وجماله مع الناس بأشكاله المتعددة، من حسن تصرف، وحسن العشرة، والكلمة الجميلة .

فديننا الحنيف يجمع بين القيم والمثل الإنسانية الرائعة التي تجسّد الصورة المثلى للأخلاق الفاضلة، حيث كانت الغاية من بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إتمام مكارم الأخلاق، فمن ينظر في كتاب الله تعالى وفي سيرة النبي الكريم يجد أنّ الأدب والذوق الرفيع من خصائص هذا الدين .

هوامش:

1 -ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذوق) 4 / 535 – 536 .

2 -إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط 5 / 318 .

3 -عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب ط 2006، ص 81.

هروب

هدى القرقني

لم أعرف يوماً إلا هذه المزرعة بيتاً لي، وهذا البراح مكاناً لولادتي كبرت فيه أكلت وشربت ولعبت، ولحقت بالقطيع هنا وهناك تحرسنا الكلاب حتى ينال منا التعب وتعود بنا إلى الحظيرة.

فارقتني أمي باكراً ذات صيف، بكيت كثيراً يوم قادوها مع بعض رفاقنا، حاولت اللحاق بها ولكنهم منعوني ورموني بعيداً. مرت شهور وكبرت وبان قرني ولا شيء هنا سوى النوم والأكل وبدأت أشعر أن هذه المزرعة الشاسعة تضيق بي ونحن هنا ننتظر أن نساق إلى حتفنا، سنغادر كما غادر من كانوا معنا يومًا ما.

هذا الصباح لم يسكت الديك عن الصياح، سألته غاضباً:

- ماذا دهاك؟

أجابني وهو سعيد:

- غداً العيد !

- وما علاقتك أنت بالعيد؟

- لا شيء! فأنا فقط أعلن عن المواعيد هذه عادتي، ثم لماذا أنت منزعج؟ إنه ليس عيد الأضحى لتخاف على نفسك، أن تكون الضحية القادمة!!

- إنهم يضحون بنا في كل مناسباتهم، سعيدة أو حزينة، ليس للأعياد ذنب لنخافها، نحن ضحية كل الأوقات.

- نعم ونحن أيضاً لا نسلم من سفك دمائنا.

- صحيح! لكنهم لا يقتلون الديوك التي ليس لها سوى صوتها المزعج الذي لا يسمن ولا يغني من جوع؛ أنتم دائماً في مأمن.

فَرد جناحيه وقفز إلى حجرة قريبة، وهو يتباهى بفرعه الأحمر وكأنه زعيم وقال لي:

- نعم؛ لذلك اتركني وشأني...

تركته وأنا أعد ما تبقى منا، لقد نقص عددنا لم يعد في الحظيرة الكثير، لهذا قررت الهروب إلى أين؟ لا أدري؟ ولكن لن أبقى هنا أنتظر مصيري، لعلي أغير قدري؛ سأنتظر حتى نذهب الى المرعى غداً سيشغلهم العيد ولا ينتبه لي أحد...

لم تكن المزرعة ذات أسوار عالية، لكنهم يضعون فوق السور سوراً آخر من الأسلاك الشائكة حتى لا يفكر أحد في الهرب، لكن إصراري دعاني للمحاولة مهما كلفني ذلك...

اليوم لم يأخذنا أحد إلى المرعى، أحضروا لنا الأكل في الحظيرة، الكل مشغول؛ يستقبلون الضيوف والمعيدين، الفرصة الثمينة التي أتيحت لي أن باب المزرعة مشرع على مصراعيه ولا أحد هناك، حتى الكلاب لا أثر لها، وكأن كل شيء يدعوني للهرب.

ظللت أجري وأجري حتى شعرت بأنفاسي تتقطع ووجدت نفسي في الخارج ولم أتوقف عن الجري إلا وأنا على طريق طويل من القطران الأسود تسحقه بعض سيارات المارة.

توقفت قليلاً! وقد بدأت أقدامي تؤلمني، وأثار دماء بين حوافري، وشعرت بالعطش والتعب، وفي لحظه توقفت سيارة كأنها شبح نزل منها رجلين، حاولت الهرب منهما ولكنهما كانا أسرع مني، فأمسك أحدهما بقرني الصغيرين، وغرز الأخر يديه في جسدي وقذفوا بي إلى مكان مظلم وأغلقوا الباب عليّ..

كنت أسمع ضحكاتهم ونحن في الطريق وسمعت أحدهم يقول:

- كم نحن محظوظان، أن نجد هذا الخروف في طريقنا.

رد الآخر:

- ألا نسأل عن صاحبه؟ يبدو أنه ضائع!!

- هل أنت مجنون؟ إنه لنا، سنقيم وليمة وندعو البقية..

شعرت بدمعة ساخنة حائرة تحاول النزول، وأدركت إن لنا قدرا واحدا لا يتغير، ما دمنا خرافا.

صور من سوق المدينة

د. قيس عمران اخليف

1- مقهى وساق وجدال

جلس العجوزان بالزاوية التي اعتاداها بذاك المقهى المختلط بعبق ماضيه التائه والديكورات الحديثة التي وزعت بين الحوائط والسقف وذلك الأثاث الذي يفتخر به إسماعيل (أو سمعه كما يحب رواد المقهى أن ينادوه وقد تأزر الرداء الأبيض بين خصره وأمسك بالسفرة بين يديه واضعا عليها إبريق الشاي الصغير ودله القهوة التي اصطفت بجانبها الأكواب فوق بعض بشكل مبدع جميل والقلم الملفوف عليه ورقة الطلبات استقر على أذنه الكبيرة التي تظهر معانقة بارتباط حميمي طاقية الصوف الحمراء المميزة لأهل بنغازي).

حاول العجوزان التحدث بصوت منخفض في البداية إلا أن القهوة لا تفرغ من الحكواتية والسمار وأصوات الضحكات والعناد بين الشباب وطلبات الزبائن بصوتهم العالي المميز الذي يحدث ضوضاء تشير بأنك تسير وسط أهل ليبيا بطبيعتهم القريبة للصقليين في ترديدهم للكلمات وقهقهاتهم وصرخاتهم.

استدار الحاج علي ليرى سليم يجلس مع جاره مفتاح يتحدث كلاهما عن مشروعهما الجديد وهو الكشك الذي بنياه عند الحديقة المجاورة للمطعم الرئيسي للمنطقة وقد أخذا يتحاسبان في مقدار القيمة المادية المدفوعة والتي أدت الى خلاف بينهما فسليم يعتقد بأن هناك مصاريف إضافية ليست مناسبة للمشروع، أما مفتاح فيعتقد أن الإضافات الصغيرة مهمة لجذب الزبائن وأن يكون الافتتاح أجمل بهذه التحسينات، وفي لحظة معينة علا صوت سليم قائلا: فلتتحمل أنت القيمة الإضافية لأننا لم نتفق عليها.

أجاب مفتاح: المركب التي بها قبطانين تغرق، أنا أنسحب فلم يكن اتفاقنا أن تتدخل بالبناء والديكور.

رد سليم: عندما تكون هناك مصاريف زيادة أتدخل فهذا يؤدي إلى عجز بالميزانية ونحن لا يزال عندنا مصاريف للمواد لم نقم باستكمالها.

أجاب مفتاح: أنا أتعهد لك بأن الكشك سيغطي قيمة التكلفة خلال فترة وجيزة من العمل ولكن لو كان العمل الذي أقوم به لا يرضيك فتستطيع إنهاء الذي بيننا وإما تنسحب أنت وتأخذ نصيبك مني أو أنسحب أنا وأخذ منك نصيبي وأترك لك كل شيء.

هنا تحرك الحاج علي واقترب من الشابين المتخاصمين وقال وقد اعتلت وجهه ابتسامة هادئة: نحن في الحي نحتاج إلى كشك تباع به الجرائد والمجلات والكتب والزهور والهدايا والقرطاسية وما إلى ذلك، نحن نريد أن يتغير الناس إلى الأفضل، نريدهم أن يرتقوا بتعاملاتهم مع بعض بفضل ما يقدمه هذا المشروع الصغير، فلا تتوقفا عن هذا الشيء القيم.

نظر سليم إلى الأرض مفكراً بما قاله الحاج علي ومن ثم صمت لوهلة ثم وقف وقال: فلنتوكل على الله، وعساها فاتحة خير لكلينا.

هنا تقدم سمعة منهما ووضع كوبي شاي أخضر وقد غاص به اللوز وتحركت أبخرته في سماء المقهى كسفينة تجري نحو مرساها، وقال: بهذه المناسبة الشاي على حساب المقهى ... موفقين يا شباب.

2- الحاج صابر.. صاحب محل الدراجات الهوائية

الشارع الكبير بوسط الحي يعبق برائحة غريبة فهناك مجموعة المحال التي تجاور الحديقة والمبنى الإداري الكبير يجاوره المحل الأكثر شهرة والذي يرتاده الكبار والصغار، إنه محل الحاج صابر المليء بالدراجات الهوائية، فالكبار يستخدمون الدراجات للتنقل في الشوارع الضيقة والصغار يعتبرون جولة بالدراجة الهوائية بعد تأجيرها هي حلم يتمنونه عاما كاملا ويجمعون مصروفهم ليقضوا ساعة في العطلة في مرح وسرور.

جلس الحاج صابر وقد أهمه أمر زوجته الحاجة فاطمة والتي قضى معها 44 سنة من سنين عمره الستين، وقد وضع له سمعه طلبه من الشاي الأخضر وكوب الماء الذي يعبق برائحة الورد ورغم حركة الدخان التي تدفئ صدره إلا أنه يحس بأنه فقد إحساس جسده الذي توارى خلف أفكاره المحزونة بذكريات جميلة وشعور يجهد تفكيره فالطبيب الايطالي الذي يزور الحي كل أسبوع لم يحضر هذا الأسبوع والممرض الليبي الموجود بالمستوصف الوحيد بالحي لم يتوصل إلى تشخيص أو حلول لمشاكلها المتعددة. يمر الحاج صالح صاحب محل الخضراوات وقد انثنى جسده لليسار نتيجة لتقوس عموده الفقري الذي يشوه وقفته فيبدو من بعيد كمن يبحث عن شيء وقع منه على الأرض وتدور رجله لليمين نصف دورة ليتغلب على آلام المفاصل التي أطاحت بركبته. يسلم الحاج صالح على الحاج صابر ويقول له:

حدثتني سعيدة (زوجته) عن مرض الحاجة فاطمة، أتمنى لها الشفاء والعافية، ليتني أستطيع المساعدة.

رد الحاج صابر: حالتها غير مستقرة فآلامها لم تتوقف وأعراضها لم تنته، الحرارة تتفاوت بين ارتفاع وانخفاض، جسدها معبأ بكدمات رغم أنها لم تعان من أي إصابات، الممرض مسعود لم يستطع تشخيص حالتها، لقد طلب عينات من البول والبراز وكانت مليئة بالدم، وهو ينتظر رأي الطبيب الايطالي جيوفاني الذي لم يأت هذا الأسبوع.

قال الحاج صالح: سأعود للمنزل اسأل الحاجة سعيدة عن منزل الطبيب الايطالي فهي تعرف زوجته اليهودية.

الحاج صابر: بالسلامة أخي صالح

صالح: مع السلامة

3- في منزل الحاج صالح

يصل الحاج صالح لمنزله الموجود بالزقاق الضيق وقد سد مدخله باب خشبي عتيق صلب بني اللون سميك يتدلى من مقدمته مدقان معدنيان على ضفتي الباب وعليه رسم إسلامي فاخر يدل على جودة صنعه وجماله.

يفتح الحاج صالح الباب ليمر عبر الممر الصغير الى ردهة المنزل التي تتلوها ساحة مفتوحة السقف تلتف بالنباتات المثمرة ونباتات الزينة ويوجد بئر صغير على طرف تلك الساحة الصغيرة حيث يوجد مدخل الديار الداخلية التي تدور حول الساحة بميول هندسي بديع وتزين سقفه ألواح الأرابيسك الفخمة.

صاح صالح: سعيدة، يا حاجة سعيدة، أين أنت؟

خرجت الحاجة سعيدة من المطبخ الداخلي الذي تطل نافذته على الساحة وهي تحمل بيدها سكينا وبصلا وهي تقول: نعم يا صالح ماذا هناك؟ لم عدت مبكرا؟

أجاب الحاج صالح: جئت لأسألك عن منزل الطبيب الإيطالي جيوفاني، فحالة الحاجة فاطمة زوجة الحاج صابر في تدهور مستمر.

أجابت الحاجة سعيدة: إنهم يقطنون بحارة اليهود بجوار حلاق سحنون.

رد الحاج صالح: لقد عرفت المكان سأحاول ن أذهب إليه مع الحاج صابر، أنا ذاهب هل تحتاجين لشيء.

ردت الحاجة سعيدة: لا، ربي يسلمك.

4- عند الطبيب جيوفاني

يجلس الطبيب جيوفاني ذو الشعر الذهبي والعينان الزرقاوان وخدوده المتوردة وكرشه المستدير على كرسيه الخشبي وهو ممسك بالشيشة ذات الأنبوب الأحمر بيده حيث يتصاعد دخانها مرتفعا وهو يجول بعينيه يطالع السقف ويتذكر أياما عاشها مع عشيقته الإيطالية قبل أن يتزوج زيزيت الليبية اليهودية ويكونا معا هذا المنزل البسيط.

منزل الطبيب صغير الحجم لا شيء مميز فيه إلا أنه مبني على الطراز الحديث من ناحية الهندسة المعمارية أو نظام الصرف أو الإنارة وهو مختلف عن غيره من المباني العربية التي تتميز بالوسع والتهوية الممتازة، ولكنه يكتفي بنوافذ ضيقة وشرفة صغيرة عند المدخل.

في طرف المنزل توجد على الطاولة حقيبته السوداء المنبعجة من الوسط والتي تحتوي على مجموعة من معداته المعدنية ومقاييسه الطبية التي كانت متقدمة في ذلك العصر.

تدخل عليه زيزي وقد غطت رأسها بمحرمة حمراء ربطتها بطريقة غجرية تشعرك بأنها تعاني من صداع مزمن.

قالت زيزي: الحاج صالح زوج الحاجة سعيدة، والحاج صابر، يسألوا عنك، يريدوك في موضوع يخص زوجة الحاج صابر.

يرد الطبيب: دعيهم يدخلون.

يدخل الحاج صالح والحاج صابر وبعد التحيات والسلام يخبر الحاج صالح الطبيب بأمر زوجة الحاج صابر، فيتجه الطبيب صوب حقيبته ويتجه معهم للباب وهو يسأل الحاج صابر عن بعض الأمور الطبية والتفاصيل الدقيقة عن حالة زوجته.

تجلس زيزيت وهي تنظر إلى زوجها خارجا مع مشائخ المنطقة ثم تعود لأعمالها المنزلية.

5- عثمان بائع القبعات

يجلس عثمان بائع القبعات أمام محله الواقع في بداية السوق على كرسيه الخشبي وبيده ينش بالمروحة المصنوعة من سعف النخيل وبجواره جرة الماء التي يشرب منها عندما يشتد الحر.

وكان أمام المحل قد وضع مصطبة الألواح لعرض القبعات المختلفة حيث يقوم بإخراجها يوميا من المحل، وكانت الشاشية التونسية الحمراء والمزركشة الأكثر مبيعا لديه بالإضافة إلى القلونسة التركية العثمانية الطراز والكلبك الروسي المنفوخ يحبه أعيان المدينة والطاقية السوداء والحمراء يحبها الشباب.

يحضر الحاج صابر إلى عثمان ويجلس على الكرسي المجاور له، ويحدثه عن مرض زوجته وكيف عالجها الطبيب جيوفاني بأدوية وأعشاب مختلفة.

نظر الحاج صابر إلى السوق وقال:

الأيام تمضي والعمر يمضي ولا تبقى إلا الذكريات

أجاب عثمان: أجل وهذه حال الدنيا.

ثم استدرك، سوف أجهز لك كوبا من الشاي الأخضر.

وقف الحاج صابر وقال: لا تتعب نفسك فلدي بعض الأمور التي أريد القيام بها.

ثم يمضي الحاج صابر في الطريق وقد التفت ريح معبئة بالتراب حول مسار قدميه البطيئتين وهو يغادر الدكان بكل هدوء وتؤدة. تتجه الفتاة الصغيرة فاطمة المليئة بالحيوية باتجاه والدها؛ عثمان بائع القبعات، وقد امتلأت يداها بأشرطة حريرية صنعت منهم كومة تتطاير أطرافها خارج قبضتيها اللتين تحاول أن تمسكها بكل ما تستطيع من مهارة.

تضع الشرائط على الكرسي المجاور لكرسي عثمان وتناديه: أبتي.. أحضرت الشرائط.. بعثتهم لك أمي

أخذ عثمان الشرائط ووضعهم على الطاولة الداخلية وراح يرتبهم بحسب الألوان والخامات، ثم راح ينظر إليها وقد راقه أن يرى الأجيال الجديدة وهي تكبر والأجيال القديمة وهي تمضي وقد فكر في قرارة نفسه وتنهد قبل أن يقول: إنها سنة الحياة، يأتي جيل ويرحل جيل وتبقى المدينة شامخة عبر العصور.

انتحار

عبدالرحمن سلامة

دخلت حجرتها خلسة، أغلقت الباب بإحكام، كانت متوجسة وتمشي على أطراف أصابعها ويداها ترتعشان، تتلفت وتحتضن حقيبتها السوداء المنتفخة.

جالت بعينيها الذابلتين في أرجاء الحجرة، تذكرت الأيام التي قضتها هنا بين هذه الجدران التي تحمل صوراً كثيرة لها، في مختلف مراحل العمر، فها هي صورتها مع والديها، وتلك أخرى وقد بدت أكثر نضجاً، النهدان أكثر شخوصاً، الفم مرسوم كالعنقود، والطول فارع، والشعر مسترسل، فكانت كلما وقع نظرها على صورة تشعر بأن طعنات تخرم قلبها المكلوم.

ذكريات ومواقف تطاردها مثل أنفاس أعياها التعب وجعلها جسداً يحتضر، بعد أن دب فيه موت الحياة، فقدت كل شيء غير إصرارها على فقد كل شيء.

حاولت أن تخترق هذه الدوائر المتلاحقة من ذكريات الوداع الأخير، استدارت وتحسست سريرها تلامسه بأصابع باردة، تفقدت ملابسها، ووقفت أمام المرآة، هواجسها حجبت عنها الرؤية، فأسقطت على الأرض زجاجة عطر فارغة كانت هدية أولى من حبيب العمر والذي سيزف على عروسه مساء اليوم.

حاولت أن تجمع قواها حتى لا تدخل ثانية في تلك الدوائر، فالوقت يمر سريعاً، نظرت إلى الساعة، كانت قريبة من الثانية عشرة ظهراً، فالموعد يبدو مناسباً لتنفيذ تلك الجريمة.

فتحت حقيبتها وأخرجت ذاك الحبل، وتحسست ثخنه ومتانته، وشرعت في تشكيل عقدة فيه، وبدأ قلبها يخفق بسرعة شديدة، جذبت كرسيها الذي طالما شهد نجاحاتها الدراسية وصعودها إلى مراتب علا، لكنه هذه المرة شاهد وحيد على صعودها إلى الهاوية.

• • •

استجمعت ما تبقى لها من عزم، لتقف على الكرسي بعد أن جعلته قريباً من دولاب ملابسها، أيقنت أن النهاية قريبة، وضعت ربطة الحبل حول عنقها وأحكمت شدها بقوة، جحضت عيناها، أحست باختناق شديد، أخرجت لسانها، الحبل يشتد، قدماها لم تزل تلامس الكرسي، بدأت تحس ألماً في أوردتها، جسدها غطاه عرق غزير، أصابها دوار الموت ففكرت في الحياة، لكن فكرة الانتحار لا زالت تسيطر عليها.

غبراءُ الضياع

هليل البيجو

عبثاً أَنرتُ وما ظفِرت بقابسٍ
حجب العماءُ عن العيونِ عرائسي

وأهبتُ بالجفن النؤوم فما صحا
رضيَ النؤوم بمثل حظِ الناحس

وإذا العيونُ من الشموس تقنّعت
بُليتْ بصائرُها بليل دامس

عبثاً أُحاول كل يومٍ حيلةٌ
فعلَ المؤدّبِ بالجَموح الشامس

حتي لقد أعيا التغافلُ حيلتي
ورضيتُ من سفري بغُنم الآيسِ

وسئمتُ من طول الهُتاف بأمة
صُمّت مسامعها بصمتِ البائس

قَعَدت بها العَزَمَاتُ عن آمالها
فغدت وقد فخرت برسمِ دارس

وبكت بلابلُها علي أطلالها
والطير قد غنت بغصنٍ مائس

فكأنما وجه الصباحِ لغيرنا
وكأننا رهنٌ بدهرٍ عابس

عجباً وقد خَطَبَ المكارم أهلها
وغدت مكارمنا كبكرٍ عانس

إن لم نباكر للخطوب فإننا
رهنٌ بغبراء الضياع وداحس

فالدهر دهرُ الأقوياء وإن تُردْ
ذِكرا كذكرِ الأقوياء فنافس

مالي ضربتُ لذي الغباء مثاله
فدعا لعقدِ مجامعٍ ومجالس

ورجوتُ بالشعر الكريمِ فوارسا
فمضى القصيد وما أفاء بفارس

مالي وقد أفنى العويلُ شبيبتي
إني سئمتُ فلستُ بعد بنابس

ياخاطرَ الشعراء أنت مُعذبي
فاكتم عليَّ مشاعري وهواجسي

وادفن بصحراء الهموم بئيسَها
فالموتُ أرحمُ بالمريضِ الناكس

خُلـود

د.عصام الفرجاني

شَعرٌ وثغرٌ باسمٌ وخدودٌ
والجفن يَشهد والعيونُ السودُ

وكذا الأحبة من رأوني شاردا
هذا وذاك على هواك شهودُ

لما رأوني شاردا بك أيقنوا
أن التي يهوى الفؤادُ خلودُ

أنت التي يبغي الجميع وصالها
ورضاك عنهم مطلب منشودُ

لو نلت من عينيك يوما نظرة
فالكل حولي كاره وحسودُ

لو مر طيفك في أثينا زائرا
فالناس حولك ركع وسجودُ

ظنوا بأنك للجمال إلهة
يا ويـح أفروديتَ كيف تعودُ؟!

حسناء لو نظرت لمن في قبره
لأحبها وتحرك الجلمودُ

أما أنا فلقد سباني حسنها
وسرى بأوصال الحياة جمودُ

فكأن قلبي إذ رآها صيدها
وكأن عينيها هما البارودُ

فتناثرت أشلاء قلبي في الثرى
وتجمعت حول الفؤاد حشودُ

وتساءلوا هل ذاك قلب متيم
أم تلك عاد في الثرى وثمودُ؟!

بل هؤلاء هُمُ أخفُّ فجيعةً
فلقد أتاهم بالعذاب وعيدُ

فثمود أنذرهم بذلك صالح
وأتى لعاد بالنصيحة هودُ

أما أنا فلقد فُجِعت بلحظها
أنّى لمثلي حينذاك صمودُ

إني سقيت البابلي بكأسها
وسكرت لا خمر و لا عنقودُ

يا رب كن للمستجير بعرشكم
فلديك في ملأ السماء جنودُ

يا من يرى كلفي بها وصبابتي
ويرى سهادي والأنام رقودُ

من للمتيم إن تثاقل همه
من ذا يحامي دونه ويذودُ

يا ليت شعري من يريح مشاعري
بثلاثة ما دونهن أريدُ

قرب الحبيب وهمسه ووصاله
كيف السبيل ودونهن قيودُ

ولّى الشبابُ وفارقتك عهوده
وطوتك عن عهد الشباب عهودُ

وحلفتك أنك لن تعود إلى الهوى
فَسَبَتْ فؤادك يا عصامُ خلودُ

عام 2007

قـاتِـل..

مصطفى جمعة

قاتل

إنّ الحريةَ موسومةٌ

بدمك

واحمل روحك

في وجه الغُزاة

علماً.. يقول للتاريـخ

ما أعظمك

قاتل..

بروح الشهيد ..

حيا كنت

أو ميتا..

فالأرض تحيّيك..

والسماء تُكلّمك..

وطنك الدّمُ

والآلام والدّموع

وتاريخك ملحمة..

من ذا يستطيع

أن يهزمك..

قاتل..

ودع الخوف لنا..

والتطبيع.. والركوع..

والخنوع.. والعنّا..

بقلبك وفمك

ومُت..

دون أرضك واقفاً..

كالصّرح العتيد..

من ذا يستطيع

أن يهدمك..

"قف على ناصية الحلم وقاتل"

من يقتلك

من من بيتك يُخرجك

قاتل..

لا ترحم من لا يرحمك ..

ربـمـــا

عائشة أحمد بازامة

ربما كان عليَّ إلغاء مواعيدي
التي تتأخرني بأعوام
تزيح فرحي المخبأ في دغل الحياة
كي انتظر قطرة غيث
واجمة على محيا رفاقي
كان عليّ تلقف نبوءاتك بكفي
أضمها لروحي الغافية
على رصيف المعاني
أدس نيرانها في تنوري
وأوقد فتيلها على قبري
ربما تشع على سحائبي ذكرى
كان على روحي أن تستيقظ
لتستحم بدفئك
لكنها تنجز الانفلات
تقفز نحو النفور
تتهاوى على شواطئ اللهفة

بشور الوداع

كان علي أن أخطك حرف خلود

يميز اللين عن التسول

وينحت العشق على جلمود السماء

ويعري نبوءات العالم

يبخس ترهات كيوبيد

يمسح دمع شوق مفقود

من جفن فينوس

أو (مي) عشيقة الحرف الغبي

ربما كان علي البقاء على الرصيف

كغجرية تفضح قبلات العشاق

وتسولات البغاة

على مسارب الحرية الخرقاء

ربما. وربما. وكان

حروف ببغاوية لا تصلح

إلاّ للموت البطيء

على حضن نبي مهتدٍ

25 مايو 2021م

غَيْبُوبَة

محمد الحبيب (المغرب)

أَأُحِبُّهُ ، أَمْ أَنَّهُ ، الإِعجَابُ
أَمْ يَا تُرَى هَذَا الْهَوَى كَذَّابُ

أَرَأَيْتُ فِي عَيْنَيْكَ حَقًّا وَاحَتِي
أَمْ هَلْ هُمَا غَيْبُوبَةٌ وسَرَابُ

فِلِمَا أَنَا أَنْهَارُ عِنْدَ لِقَائِهِ
بِعَوَاصِفٍ، بِزَلَازِلٍ أَنْتَابُ

وشِفَاهُهُ، مَشْغُولَةٌ بِدُخَانِهِ
شَفَتَايَ فِي سِيجَارِهِ أَحطَابُ

هُوَ آمِنٌ ومُرَفَّهٌ بِسُكُونِهِ
قَلْبِي أَنَا يَجْتَاحُهُ الإِرهَابُ

قَلْبِي يَكَادُ يَطِيرُ عِنْدَ إِيَابِهِ
قَدَمَايَ بَعْدَ ذَهَابِهِ تَنْسَابُ

إِذْهَبْ وَلَا تَرْأَفْ عَلَى غَيْبُوبَتِي
يَا سَيِّدِي، إِنَّ الْهَوَى غَيَّابُ

•••

وكَأَنَّ فِي عَيْنَيْكَ أَنْتَ عَجَائِبِي
كَصَغِيرَةٍ بِيَدَيْكَ لِي أَلْعَابُ

أَمْ أَنَّهَا فُتِحَتْ بِصَدْرِكَ لِي أَنَا
مُدُنُ الْمَلَاهِي مَا لَهَا أَصحَابُ

ومَرَاجِحٌ وعَرَائِسٌ لِطُفُولَتِي
مِزْمَارَةٌ، بَلُّونَةٌ، وَشِهَابُ

فَجَّرتَ صَحرَائِي بِأَلْفِ سَاقِيَةٍ
ومَنَابِعٍ تَأْوِي لَهَا الْأَسْرَابُ

وَزَرَعْتَنِي وَسَقَيْتَنِي وَكَأَنَّهَا
غُصنٌ يَدِي، وأَصَابِعِي أَعنَابُ

وسَكَبْتَ لِي الْأَحسَاسَ مِلْءَ ثَمَالَتِي
ومَشَاعِرِي قُرِعَتْ لَهَا الْأَنْخَابُ

ونَبَشتَ مُمْيَائِي، ضَرِيحَ سَكِينَتِي
مَوْءُودَةٌ، عَنْهَا أُزِيحَ تُرَابُ

وأَفَقْتَ غُولًا مِنْ كُهُوفِ أُنُوثَتِي
وغَرَائِزًا بَانَتْ لَهَا الْأَنْيَابُ

ولِأَخْطَرِ النَّكْهَاتِ قَدْ حَمَّصتَنِي
ولِآخِرِ الْحَبَّاتِ فِيكَ عَذَابُ

وطَحَنْتَنِي، وعَصَرتَنِي، ذَوَّبْتَنِي
وتَرَكْتَنِي، أَ فما لَكَ الْأَكْوَابُ

• • •

أَحرَقْتَنِي كَسِجَارَةٍ وِلآخِرِي
قَدْ دُسْتَنِي وكَأَنَّنِي أَعقَابُ

أَطْلَقْتَ فِي قَلْبِي قَطِيعَ أَرَانِبٍ
وأَدَرْتَ ظَهْرَكَ وَالْجَفَاءُ ذِئَابُ

مَاذَا تَغَشَّانِي وفِيهِ أَضَاعَنِي
هَلْ شَيْبُهُ ووَقَارُهُ الْخَلَّابُ

مُتَعَجْرِفٌ، مَا حَرَّكَتْهُ أُنُوثَتِي
أَمْ رَاقَ لِي، وغُرُورُهُ الْجَذَّابُ

هَذَا الْغَبِيُّ وهَلْ تَجِيءُ بِرَأْسِهِ
عَرَّافَةٌ، عَمَلٌ، لَهُ جَلَّابُ

فِي ذِمَّتِي كُلُ الْمَطَالِبِ سَيِّدِي
فُكَّ اعْتِصَامَكَ، ضَرَّنِي الْإِضْرَابُ

كَمَنَارَةٍ سَلَّطْتُ فِيكَ أَشِعَّتِي
أَمْ أَيُّهَا الْقُبْطَانُ عَنْكَ ضَبَابُ

مُسْوَدَّةٌ شَفَتِي أَمَا طَالَعتَهَا
فِي دَفَّتَيْهَا، فَهْرَسٌ وكِتَابُ

يَا وَيْلَتِي قَلْبِي أَنَا بِكَ عَامِرٌ
وأَنَا بِقَلْبِكَ أَنْتَ فِيكَ خَرَابُ

حَسَبْتُكَ اللَّهُمَ فِيهِ مَشَاعِرِي
بِمَفَاصِلِي سَاطُورُهُ الْعَطَّابُ

• • •

رُحمَاكَ قَلّبٌ عَلَيْهِ مَوَاجِعِي
وَلِكُلِّ قَلْبٍ، رَبِّيَ الْقَلَّابُ

الْحُبُّ أَضْرَاسٌ بِجِذْرِ قُلُوبِنَا
فِي خَلْعِهَا لا بَنْجُ، لَا كُلَّابُ

إِنَّ الْهَوَى الْغَلَّابُ، فِينَا أَمْرُهُ
وَصَحِيحُ إِنْ قِيلَ الْهَوَى غَلَّابُ.

زهرة النسيم

للشاعرة التشيلية: جبرييلا مسترال

ترجمة: د. محمد قصيبات

التقينا على موعدٍ
رأيتُها واقفةً وسط المَرَج
تسيطر على كلّ العابرين
الذين يبادلونها الحديث.

قالت لي:
"اصعد هذا الجبل_
فأنا لا أستطيع أن أترك المرج
اصعد وأقطع لي زهرة بيضاء
بيضاء مثل الثلج، ناضرة وطرية."

صعدتُ الجبل
وبحثت أينما تبيضّ الزهور
هناك بين الصخور
كنتُ بين اليقظة والنعاس.

عندما عدتُ مع حملي الثقيل
وجدتُها وسط المرج

ومثل مجنونٍ، غطيتُها

بفيضٍ من الزنابق.

لكنّها لم تنظر إلى بياضها

قالت لي:

" والآن آتني

بزهور حمراء، حمراء فقط

فأنا لا أستطيع أن أترك المرج."

وتسلقتُ متعباً الصخور

وبحثتُ عن زهرات الجنون

الزهرات التي تولد

وتفني من حُمرتها

عندما عدتُ، أعطيتُها الزهور

ويداي ترتعشان من فرط احترامي

احمرّتْ وكأنها الماء

يحمر بدمِ الأيل.

نظرتْ إليّ، حالمة النظرات

ثم قالت:

"اصعد مرة أخرى

واحضر لي الزهور الصفراء

فأنا لا أستطيع أن أترك المرج."

وذهبتُ إلى الجبل
وبحثتُ عن الزهرات المتجمعة
زهرات بلون الشمس،
وبلون الزعفران
زهرات وُلدتْ الآن لتصبح خالدة

عندما عدتُ،
وجدتُها واقفة في انتظاري
وسط المرج
فأمطرتها بأزهار بلون الشمس
حتى أصبحت مذهّبة كالأرض المقلبة

ومرة أخرى،
كمجنونة بالذهب
قالت لي:
"اصعد يا خادمي
واقطع لي الزهور التي لا لون لها
لا حمرة لامعة ولا زعفران.

"احضر لي الزهور التي أحب
ولأني تذكرت اليانورا وليجيا
احضر لي زهورا بلون الحلم
فأنا امرأة المروج"

واقتربتُ من الجبل
الجبلِ الذي أصبح أسود مثل ميديا
دون لمعان
كالكهف كان غامضاً وواضحاً

تلك الزهور لم تطلع على الأغصان
ولم تتفتحْ على الصخور
قطعتُها من النسيم
قطعتُها بحَلَمٍ رقيق.

قطعتها وكأني
كنتُ أمشي مثل أعمى
قطعتها من هذا النسيم وذاك
وكأن الهواءَ كان غابتي.

وعندما نزلتُ إلى المرج
ورحتُ أبحث عن مولاتي
وجدتُها تمشي
لا بيضاء ولا حمراء لامعة.

كانت تمشي مغمضة العينين تنام
تبتعد عن المرج
فتبعتُها، وتبعتُها
عبر المراعي والبساتين.

رغم أني كنتُ مثقلا بالزهور
يغطي النسيمُ كتفي ويدي
النسيم الذي لم يسبق أن قطعوا منه
مثل كلّ هذا الورد
ذهبتُ أقطع حصادَ الهواء.

كانت بلا وجه تسير أمامي
دون أن تترك آثار أقدامٍ
وتبعتُها، وتبعتُها
عبر عناقيد من الضباب الكثيف.

وما زلت أتبعها
حاملاً الزهور التي لا لون لها
لا بيضاء ولا حمراء لامعة
مازلتُ أتبعُها
حتى وصلتُ إلى أبعد مكان
حيث يذوب زماني...

من ديوان "تالا: السقوط من الأشجار".

الشاعرة في سطور:

ولدت الشاعرة جابرييلا مسترال في قرية فاكونا بتشيلي عام 1889 وكان اسمها الحقيقي لوسيلا جودوا الكاياجا.

كانت أمها من أصل باسكي أما أبوها . الذي هو من أصل هندي . فلقد كان شاعراً سكيراً ترك العائلة والطفلة في الثالثة من عمرها.

عملت الشاعرة في التدريس وكتبت أول دواوينها "الدمار" عام 1922 والذي حمل آثار آلام طفولتها.

ثم كتبت دواوين أخرى أهمها ديوان " تالا: السقوط من الأشجار" الذي صدر عام 1938 والذي عبرت فيه عن حبّها لأطفال أسبانيا المتشردين نتيجة الحرب الأهلية وعن الأمومة وكذلك عن الطبيعة. وقصيدة "زهرة النسيم" من هذا الديوان.

تأثرت الشاعرة في كتاباتها بإثنين من الشعراء: الإيطالي دانتي اليجيري والهندي ربندرنات طاغور. ولم تتبع في كتابتها تيارات الشعر المعاصر فظل شعرها سهلاً يقرأه الجميع في أمريكا اللاتينية وأماكن كثيرة من العالم.

حصلت الشاعرة جابرييلا مسترال على جائزة نوبل للآداب عام 1945.وماتت في مدينة هامبستيد في ولاية نيويورك الأمريكية عام 1957.

أخبار الرابطة..

رئيس المجلس الرئاسي يتعهد بدعم الرابطة

على هامش زيارته لمدينة سرت، التقى د. خليفة احواس؛ رئيس رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، السيد رئيس المجلس الرئاسي؛ الدكتور "محمد يونس المنفي."

حيث تناول اللقاء الحديث حول أهمية دعم الرابطة وتفعيل دورها محلياً وعربياً، وفي هذا الإطار رحب فخامة الرئيس باستقبال وفد من الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، برئاسة معالي الأمين العام، تثميناً لجهودهم النبيلة التي أفضت إلى صدور قرارهم عام 2017، باستعادة عضوية ليبيا الموحدة بالمكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، بعد أن كانت معلقة به منذ العام 2012، ولأهمية دورهم في المرحلة القادمة لدعم مرحلة الوحدة الوطنية، وتحقيق الاستحقاقات المرتقبة.

مناشط وفعاليات..

ليبيا تصدّق على اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي

اعتماد المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني يوم الخميس 4 مارس 2021، اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، التي اعتمدها مؤتمر عام اليونسكو في أكتوبر 2003، ودخلت حيز التنفيذ في 20 أبريل 2006، وتعد ليبيا البلد رقم 181 التي صدقت على الاتفاقية.

وتهدف هذه الاتفاقية، إلى صون التقاليد وأشكال التعبير الشفهي (بما فيها اللغة بوصفها وسيلة لتناقل التراث الثقافي غير المادي)، وفنون المشاهدة، والممارسات الاجتماعية، والطقوس والتظاهرات الاحتفالية، والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، فضلاً عن المهارات المرتبطة بالصناعات الحرفية التقليدية.

الشاعر والفيلسوف عبدالمنعم المحجوب في مهرجان "حضور المؤلف"

أعلنت مجلة باسابورتا (19 مارس 2021) أن الشاعر والفيلسوف عبدالمنعم المحجوب (ليبيا)، والكاتبة والفيلسوفة أليجا جيسينسكا (بولندا- بلجيكا)، والكاتبة أوبا كريستينا علي فرح (إيطاليا- الصومال)، والروائي والشاعر هوشنغ أوسي (سوريا) سوف يشاركون في مهرجان باسابورتا (حضور المؤلف) الذي ينتظم ببروكسل في الفترة من 21 إلى 28 مارس 2021، ويتم في هذه الدورة تخصيص كرسي رمزيّ للصحفي والكاتب أحمد ألتان (تركيا).

يتم تنظيم هذا المهرجان بالشراكة مع منظمة القلم الدولية (PEN) اعتباراً من الأربعاء 24 مارس الساعة 15:30 بتوقيت وسط أوروبا، وهو حدث متعدد اللغات تنظّمه دار الأدب العالمية (PassaPorta) كل عامين وترحّب فيه بالكتاب والمفكرين والفنانين من جميع أنحاء العالم في قلب بلجيكا. ويستمر هذا المهرجان عبر الإنترنت لمدة 8 أيام بدءاً من 21 مارس، كما سيبقى البرنامج متاحاً عبر الإنترنت حتى 5 أبريل.

اختتام التظاهرة الشعرية الأولى بمدينة مصراتة

اختتمت الأحد 21 مارس 2021، بمدينة مصراتة، فعاليات التظاهرة الشعرية الأولى، التي نظمتها وأشرفت عليها مؤسسة سيكلما للثقافة والفنون، بالتعاون مع مكتب الثقافة مصراتة، التابع لوزارة الثقافة والتنمية المعرفية، بمناسبة اليوم العالمي للشعر، تحت شعار

(مصراتة تحتضن الشعراء.. وتحتفي بالشعر)، والتي انطلقت في الـ20 من ذات الشهر بمسرح كلية التقنية.

التظاهرة وعلى مدى يومين استضافت العديد من الشعراء من أكثر من مدينة ليبية، حيث كانت الأمسيات الشعرية تقام على جلستين، وبحضور جماهيري مميز.

الليبية للآداب تحيي يوم المسرح وسيرة العجيلي

أقامت الجمعية الليبية للآداب والفنون، السبت 27 مارس 2021، بمقرها بدار الفنون والتراث بشارع ميزران، أصبوحة ثقافية بمناسبة اليوم العالمي للمسرح مهداة إلى روح الفنان الراحل أسماعيل محمد العجيلي، والتي تمثل أول نشاطات موسمها الثقافي للعام 2021.

تضمنت الأصبوحة جلسة حوارية أدارها الكاتب مفتاح قناو، ألقى فيها العضو جمعة الذويب رسالة اليوم العالمي للمسرح للعام 2021، التي كتبتها الممثلة الإنجليزية هيلين ميرين.

كما وألقيت كلمة تأبينية للجمعية بمناسبة أربعينية الفنان إسماعيل العجيلي المتزامنة مع يوم المسرح، تناولت سيرته الفنية التي بدأت أواخر ستينات القرن الماضي. وتطرقت تأبينية العجيلي إلى الثنائي الذي شكله مع الفنان يوسف الغرياني فترة السبعينات والثمانينات في رحلة تجاوزت العشر سنوات.

هذا وتحدث ابن الفنان الراحل عن دور العجيلي كأب غرس في نفوسهم معنى الانتماء الوطني والنظر للعمل الفني كرسالة لا تهريج، فيما استذكر الكاتب أمين مازن فترة الستينات الخصبة التي شهدت ولادة وظهور العديد من نجوم الفن بليبيا منهم إسماعيل العجيلي.

وتوقف الباحث مختار دريرة عند منابت العجيلي الأسرية بزنقة باب البحر وعلاقته بمحيطه الاجتماعي وتفاعله مع الناس. وتطرق الكاتب رضا بن موسى إلى ذكريات دراسته الابتدائية بالمدينة القديمة، وكيف شاهد إسماعيل العجيلي أول مرة وهو يشارك في الاسكتشات المسرحية. وأشارت الباحثة أسماء الأسطى إلى العمل المشترك الذي جمعها مع الراحل في الاهتمام ببعض الشخصيات الفنية بالمدينة القديمة. وعرفت الإعلامية فريدة طريبشان مديرة إذاعة صوت طرابلس بالتسجيلات المهمة التي تركها الفنان بالإذاعة.

وقدمت الجمعية في ختام حواريتها بورتريها من إبداع التشكيلي أحمد الغماري تكريماً لتاريخ الفنان إسماعيل العجيلي وإسهاماته في التلفزيون والمسرح.

إشهار تانيث.. مجلة المرأة الليبية

في احتفالية احتضنتها قاعة (بلد الطيوب) بوزارة الثقافة والتنمية المعرفية، بمدينة طرابس، وتحت إشراف وتنظيم مكتب تمكين المرأة، تم إشهار مجلة (تانيث)، التي تعنى بالمرأة والثقافة والمجتمع.

أقيم حفل الإشهار صباح السبت 10 أبريل الجاري، بحضور وزيرة الثقافة السيدة "مبروكة توغي عثمان"، ومديرة مكتب تمكين المرأة بالوزارة، وحضور مميز من السيدات والمهتمات بشؤون المرأة والثقافة.

البيان والكون بمعرض القاهرة للكتاب

أعلن الأستاذ "علي جابر" صاحب دار البيان، تأكيد مشاركة كل من؛ دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان، ومكتبة الكون للنشر والتوزيع، بمعرض القاهرة الدولي للكتاب، في دورته الـ52، والتي ستقام خلال الفترة من 30 يونيو إلى 15 يوليو 2021. هذا سيكون الإفتتاح للجمهور بداية من 1 يوليو 2021.

محاضرة فكرية عن ترجمة الأثر الأدبي

أقام المركز الليبي للدراسات الثقافية ضمن موسم (الإثنين الثقافي) مساء يوم الإثنين الموافق 26 إبريل 2021م في دار حسن الفقيه حسن للفنون بمدينة طرابلس القديمة محاضرته الشهرية الرابعة المعنونة بـ(عن ترجمة الأثر الأدبي) ألقاها الكاتب والمترجم "عبد السلام الغرياني" وذلك بحضور لفيف من الكتّاب والأدباء والمهتمين.

وقد استهل الشاعر والكاتب "صالح قادربوه" مدير المركز كلمة الإفتتاح رحّب فيها بالحضور وبالكاتب الذي تحدث من جهته عن واقع حركة الترجمة ما بين الراهن والمأمول منطلقًا من تجربته الشخصية في عالم الترجمة الأدبية وذائقته التي دفعته لإتقان اللغة الإنجليزية منذ بواكير مسيرته الأولى مع صحيفة العرب اللندنية في تسعينات القرن المنصرم الأمر الذي فتح أمامه الأبواب على مصراعيها لاكتشاف وتذوق الآداب العالمية لاسيّما المكتوبة بالإنجليزية ويضيف الكاتب بأنه واجه مسألة الوقوع في لعبة المقارنة بين ما ينتجه الأدب الغربي وبين ما ينتجه الأدب العربي والشرقي عمومًا فالنصّ الأدبي الغربي حسب رأيه يسبق بأشواط كثيرة النصّ الأدبي العربي.

وأردف بأنه كان يبذل جهدًا في إضفاء رؤية أخرى للنصوص التي يدأب على ترجمته للغة العربية مُشيرًا إلى أن هنالك مجموعة من الروايات العالمية لم تحظ بترجمة عربية رغم ترجمة معظم عيون الأدب العالمي للعربية مستشهدًا في هذا الصدد بمجموعة من الأعمال

الروائية، كما أضاء على عدة نقاط لعل من أبرزها المعايير والشروط التي ينبغي للمترجم التحلي والإلتزام بها أثناء قيامه بعملية النقل من لغة إلى لغة أخرى مثل الأمانة العلمية في النقل بمنأى عن قناعاته وإعتقاداته الخاصة وضرورة أن يكون النص المترجم محافظًا على روحه وأصالته بأسلوب شاعريّ متميز، وأيضًا توقف عند تجارب متباينة لمترجمين عرب كان ولازال له بالغ الأثر في أعمالهم المترجمة كالراحل سامي الدروبي وصالح علماني.

وذكر صعوبة الترجمة الأدبية ومدى المعاناة فيها وعلى المترجم أن تتوفر فيه الأدوات اللازمة التي تؤهله للترجمة من ثقافة وإلمام بكل شيء فضلاً عن نمو الحس الإبداعي داخله وفهم وتذوق النصّ وأضاف في سياق متصل بأن أهم أمر على المترجم الإلتفات إليه هو تقمص روح الكاتب سيولوجيًا ونفسيًا وكذلك الإحاطة ببيئة النصّ والأجواء والظروف الذي كتب فيه النصّ.

وبيّن في المقابل أبعاد مشكلة المترجم العربي المتمثلة في عمله الفردي بينما أن الترجمة جهد بحاجة إلى إحتواء ودعم مؤسساتي والعمل الترجمي لابد أن تتبناه مؤسسة قوية تنفق عليه بسخاء لتمنح المترجم وقتاً للتفرغ والكتابة وعرّج على اختلاف الترجمات من مترجم إلى مترجم فما سقط سهوًا أو هفوًا من مترجم تداركه مترجم آخر. وعن ترجمة الأعمال الروائية العربية للغات الحية الأخرى قال إنها تزامنت مع حصول الروائي نجيب محفوظ على جائزة نوبل للأدب لكنّ الإقبال عليها كان بسيطًا مُعزيًا عن إقبال القارئ الأجنبي نظرًا لغياب عامل الإبهار والإضافة في العمل الروائي العربي.

في ذكرى رحيل يوسف القويري

أقامت الجمعية الليبية للآداب والفنون مساء يوم السبت الموافق 24 أبريل 2021م في دار الفنون والتراث بشارع ميزران طرابلس ندوة فكرية تحت إدارة الكاتب والباحث "رضا بن موسى" وذلك بمناسبة حلول الذكرى الثالثة لرحيل الكاتب والأديب "يوسف القويري" وقد تم خلال الندوة التوقف لدى عدة محطات في تجربة الأديب الراحل الإبداعية.

الإيمان العميق بالأفكار

وفي ورقة بحثية شارك فيها القاص والكاتب "إبراهيم حميدان" تطرّق للأبعاد السيكولوجية للشخصية القويري وهاجسه المزمن إزاء المجهول وهو حسب حميدان تُعزى لسنوات سجنه في مصر وليبيا عام 1973م الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى عزوفه التام عن مزاولة الكتابة وتحديدًا مع تزامن توقف صحيفة الميدان عن الصدور ليتركز نشاطه فيما بعد على جمع مقالاته التي سبق وأن نشرها منذ عام 1957م ، ومن جهة أخرى بيّن حميدان مدى إخلاص القويري لمحراب الكتابة فهو ما لبث عقب عزوفه لسنوات عن الكتابة أن رجع مع أوائل التسعينات من القرن المنصرم من خلال صحيفة الشمس اليومية بيد أن

كتاباته توارت عنها النزعة النقدية والمقاربات الاجتماعية والثقافية فصار ينأى بموضوعات عن المواجهة والصدام المباشر ضد الظواهر السياسية والاجتماعية والثقافية الهدّامة ليعود ويشدد على إيمانية القويري بالأفكار حد العمق.

الرصيد المعجمي للقويري

وفي سياق متصل تناول الكاتب والصحفي "عبد السلام الفقهي"الأسلوب الكتابي الذي كان يتبناه القويري وذلك في ضوء تجربته الشخصية مع الأديب أثناء توليه لإدارة تحرير الملحق الثقافي لصحيفة أويا سابقًا فكان القويري يواظب على النشر بمعدل أسبوعي، إضافة لذلك رصد الكاتب في ورقته الروافد المعجمية للقويري التي كان له أثر كبير في تكوينه فكريًا وهي تعود لعلاقته المبكرة مع الحرف والكلمة وقراءاته لنخبة من الأدباء والمفكرين العرب والأجانب مثل طه حسين والعقاد وهمنجواي وسلامة موسى وغيرهم ما جعل كتاباته تتسم بمزيج دسم من الفلسفة والتاريخ والمقارنات العلمية يطرحها بأسلوب أدبي شائق...كما أكد بأن اللغة لدى القويري قوية وشديدة التأثير وأبعد ما يكون عن إبتذال وإستعراض الألفاظ ويتجلى هذا في عدة أعمال كمفكرة رجل لم يولد وعلى مرمى البصر والكلمات التي تقاتل وقطرات من حبر.

السهل الممتنع في الكتابة

وسلط الفنان التشكيلي "أحمد الغماري" الضوء على الخصائص والسمات التي يمتاز بها مقال القويري العلمي والمتمثلة في حرصه على إبتعاد مفرداته ومعانيه عن التقعر والتحدّب والغموض لتصل ليديّ القارئ ميسّرة ما شاء لها التيسير متجنبًا اللجوء للإصطلاحات الأكاديمية والعلمية الصِرفة والمعقدة وتوظيفه للحوارات القصصية في موضوعاته كما أشار الغماري لبعض الأخطاء والهنّات في مقالات القويري العلمية كمسألة رؤيته للقضايا الكلاسيكية في العلوم وعدم مجاراته كلية عن التطور العلمي والثورة المعلوماتية مُرجعًا هذا لعدم تمكنه من الحصول على المباحث الضرورية في هذا الإطار أو لعله الجنوح النفسي للأديب لكل ما يمت بصلة بالتراث والتاريخ.

تشخيص التفاصيل

أيضًا تحدث الكاتب"نوري البوسيفي" عن مسودات القويري التي كانت تنشر في صحيفة الميدان بعنوان (الثقافة للشعب) إبان حقبة الستينيات التي جُمع بعضها في كتب وبعضها الآخر لم ير النور حتى اليوم، وكان قوامها الانفعال والتلوين العاطفي وهي بمثابة عملية لتشخيص تفاصيل الأمور وانعكاس متنوع الأبعاد لأحوال المجتمع والأدب وشؤونه، وأوضح البوسيفي أن النتاج الفكري والإبداعي للقويري شكّل بوتقة صبّ فيها عصارة رؤيته العلمية والجمالية فنخلص إلى أن الأدب أكبر من مجرد مرآة عاكسة لمعطيات الواقع ليكون في مهمته الحقيقية أداة فاعلة ومؤثرة تنطلق من التجربة الحياتية والشخصية لذات الفنان

مضيفًا إليها جملة من العناصر الداخلية لكون أن نضوج الأدب مرهون بنضج الكلمة والتدبر في معانيها وبالتالي الوعي بتأثيراتها.

وفي الختام تلا الشاعر "نصر الدين القاضي" والكاتب "جمعة الدويب" مقتطفات من إحدى أعمال القويري.

منع رواية وبر الأحصنة في السعودية

عبر حسابها الشخصي على الإنستجرام، نشرت القاصة والرواية الليبية "نجوى بن شتوان" مقطع لمحرر دار روايات "أحمد العلي"، يتحدث فيه عن منع رواية (وبر الأحصنة) في السعودية، إضافة على رواية (الشتاء) لـ"إيلي سميث". وفي المقطع المصور، يستغرب "العلي" من هذا المنع ويعتبره أمر مخجل، وأنه في انعدام حرية النشر لا معنى لأي جهد ثقافي يبذل. هذا دون أن يذكر "العلي" أسباب منع الرواية.

رواية (وبر الأحصنة) هي الرواية الفائزة بجائزة مهرجان البجراوية الأول للخرطوم عاصمة للثقافة العربية 2005م، حيث كانت الطبعة الأولى لها في العام 2007م، ضمن منشورات مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات. لتعيد دار روايات طباعتها في 2020م، في نسخة حديثة، منقّحة ومَزيدة.

صحيفة البطنان تعود من جديد

أصدر رئيس الهيئة العامة للصحافة، الأستاذ "عبدالرزاق الداهش" قراره رقم 9 للعام 2021، بشأن تأسيس صحيفة البطنان، والذي كلف فيه كل من الكاتب "حسين نصيب المالكي"، رئيساً للتحرير، والكاتب "عوض الشاعري" مديراً للتحرير. هذا وستكون الصحيفة في إصدار إلكتروني.

طبرق تطلق جائزة سعيد خير الله للقصة والرواية

تحت اسم (جائزة سعيد خير الله للقصة والرواية – النسخة الأولى 2021)، أعلن مكتب الثقافة والتنمية المعرفية – طبرق، جائزته على مستوى ليبيا.

تمنح الجائزة التقديرية مرة واحدة كل عام، للمشارك في مجال (القصة والرواية) على مجموعة قصصية أو عملاً روائياً كاملاً." وتمنح الجائزة التشجيعية مرة واحدة كل عام، لعدد ثلاثة مشاركين من الهواة "تشجيعاً وتحفيزاً" على بذل المزيد من العطاء والإبداع.

قيمة الجائزة:

يمنح الفائز مبلغ بقيمة (3000 دينار) للجائزة التقديرية للقصة أو الرواية.

يمنح الفائز مبلغ بقيمة (1000 دينار) للتراتيب الثلاثة الأولى للجائزة التشجيعية.

محاضرة ترصد محطات في مسيرة الشعر الليبي

ألقيت بمجمع اللغة العربية بطرابلس صباح يوم الخميس 27 مايو 2021م ضمن البرنامج العلمي والثقافي للمجمع للعام 2021م محاضرة الدكتورة والباحثة الأدبية "منى الساحلي" بعنوان (الشعر في ليبيا...أبرز اتجاهاته وقضاياه) عبر خاصية السكايبي، وذلك وسط حضور لفيف نخبوي من الأكاديميين والكتّاب والمهتمين ومن تقديم وإدارة الدكتور "عبد الله الزيات". تناولت الباحثة في محاضرتها بالحديث عن الاتجاهات الشعرية في ليبيا منذ بداية طبع الدواوين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وأشارت لديوان مصطفى بن زكري كأول ديوان شعر مطبوع عام 1892 تلاه ديوان عبد الله الباروني عام 1908م. كما تطرقت الباحثة الساحلي في سياق محاضرتها لمحطات في تجربة الشعر الليبي وأطوار نموه وتطوره وأبرز ما اعترض مسيرة نهضته وأشارت للتحديات التي واجهه الشعر في ليبيا وتعاقب المدارس الأدبية والفنية عليه، إضافة لقضاياه الفنية والإنسانية وإطارها الإبداعي والتاريخي. من جهة أخرى قدمت الباحثة إضاءات بانورامية للمنجز الشعري المتحقق عبر مراحل من المعاناة والمكابدة للعطاء والإستمرار من خلال حصيلة من التجريب والتحول التنوع. أيضًا عرّجت على أهم القضايا الفنية والإنسانية التي عُني بها الشعر الليبي من خلال نماذج من قصائد عينة من الشعراء الليبيين.

إحياء الذكرى السابعة لرحيل شهيد الكلمة مفتاح بوزيد

أقيم بقاعة جامعة الدولية للعلوم الطبية، 26 مايو 2021، بمدينة بنغازي، الذكري السابعة لرحيل شهيد الكلمة مفتاح بوزيد. ابتدأت الاحتفالية بآيات بينات من الذكر الحكيم، ومن ثم كلمة السيد خالد المجبري المدير التنفيذي، وكلمة للصحيفة البرنيق، وكلمة مفرضية المجتمع المدني ألقاها الدكتور عمر الفضيل، كلمة الدكتور فرج نجم (مركز السلام للدراسات والبحوث)، كلمة أسرة الشهيد، إلى جانب عرض شريط مرئي.

وكما شارك في الحفل العديد من الشعراء: وجدان العياش، والاستاذة عائشة بازامة، والكاتب محمد المسلاتي...

رحلوا عنا..

الدكتور الصيد أبوديب في ذمة الله

انتقل إلى جوار ربه صباح الاثنين 10 مايو 2021، بمدينة طرابلس، الدكتور "الصيد أبوديب" عن عمر يناهز الـ76 عاماً.

الراحل من مواليد مدينة طرابلس؛ بمنطقة باب البحر في العام 1945م، وتدرج في التعليم حتى حصوله على درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة درهم العام 1980م.

بجانب اشتغالة بالتدريس في الجامعات الليبية، فهو عضو رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، ومن الأعضاء الفاعلين فيها من خلال مناشطها وبرامجها الثقافية، كما تولى رئاسة تحرير مجلة الفصول الأربعة.

للراحل الكثير من الإسهامات والكتابات النقدية والدراسات الأدبية والتاريخية. إضافة لمجموعة من الإصدارات بداية من العام 1968م.

إصدارات..

خيارات متعددة

صدر للكاتب والمترجم الليبي "مأمون الزائدي" ترجمته لرواية "خيارات متعددة" للروائي التشيلي "اليخاندرو ثامبرا"، عن دار ترياق للترجمة والنشر والتوزيـع، السعودية.

وعبر منشور بالخصوص يقول "الزائدي" عن الرواية: الرواية التي رفضها كثير من الناشرين... بل وحتى أن تنشر مسلسلة في إحدى الصحف. تعثر نشر هذه الرواية بسبب طريقة كتابتها وأسلوب السرد الذي اتبعه الكاتب.. المخالف والتجريبي.

التنوير متنازعًا عليه

عن هيئة البحرين للثقافة والآثار صدر كتاب (التنوير متنازعًا عليه. الفلسفة، والحداثة، وانعتاق الإنسان 1670-1752) لـ"جوناثان آي. إزرايل"، وهو الإصدار الواحد والأربعون لمشروع نقل المعارف التابع للهيئة، بترجمة لكل من الدكتور "محمد زاهي المغيربي" والدكتور "نجيب الحصادي."

ما لم تسمعه الجبال

صدرت عن دار بورصة الكتب، بالقاهرة، رواية الروائي الكبير الراحل "أحمد إبراهيم الفقيه" المعنونة (ما لم تسمعه الجبال) لتضاف لرصيد الراحل والرواية الليبية. والرواية وبحسب إفادة السيد "علاء الدين" ابن الروائي "أحمد الفقيه"، كانت موجودة ومنسية بأحد دور النشر، وبفضل جهود العائلة وأصدقاء الراحل تم التواصل مع الدار بخصوص نشرها.

عار

عن منشورات جامعة المبدعين المغاربة صدر للشاعر والروائي "جمعة الموفق" عمله الروائي الجديد بعنوان (عار) في 153 صفحة من القطع المتوسط وبغلاف من تصميم "محمد بن لامين". وتدور أحداث الرواية في ضوء واقع متشبع بمفردات القسوة وآليات العنف كثقافة أخذت تشق طريقها في المجتمع، من خلال صوت راوي يتحدث عن مكامن جرحه.

شرائح الهواء

صدرت للشاعر والتشكيلي "الكيلاني عون" مجموعته الشعرية (شرائح الهواء)، على حسابه الشخصي، وطباعة إمكان للطباعة والنشر، في 145 صفحة. حيث ضمت المجموعة 24 نصاً شعرياً.

فيلوسو-فوبيا

صدر للدكتور "عبدالله علي عمران" كتابه المعنون (فيلوسو-فوبيا)، أو رهاب التفكر. والذي يتناول بعض الجدليات الكبرى في تاريخ الفلسفة. الكتاب من إصدارات دار فنون للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

كنوز الفراغ

صدرت للشاعر والتشكيلي "الكيلاني عون" مجموعته الشعرية (كنوز الفراغ)، على حسابه الشخصي، وطباعة إمكان للطباعة والنشر. المجموعة الشعرية جاءت في 185 صفحة، ضمت 118 نصاً شعرياً حديثاً. زينت المجموعة بلوحة من إبداعات الشاعر "الكيلاني" والتصميم للأستاذ محمد الكاسح.

رحلة قلم ومنتدى العمر

في طبعة خاصة ومحدودة، صدر للقاص الليبي "عمر علي عبود" كتابيه؛ (رحلة قلم متعب)، و(منتدى العمر.. حكايات من ذاكرة شبابية). الكتابان رحلة في الذاكرة، يحاول من خلالها "عبود" استحضار مشاهدها.

امرأة على حافة العالم

عن دار الرواد للنشر، طرابلس، صدر للقاصة الليبية "عزة المقهور" مجموعتها القصصية (امرأة على حافة العالم)، بلوحة غلاف للتشكيلية الليبية "خلود الزوي"، أما الغلاف الخلفي فكان للأديبة اللبنانية المقيمة بأمريكا "إخلاص فرنسيس" في 160 صفحة من القطع المتوسط.

روما تيرمني

ضمن إصدارات دار روايات، الشارقة، لشهر مايو 2021، صدر للقاصة والروائية "نجوى بن شتوان"، روايتها (روما تيرمني). والتي تتناول حياة المهجر المعاصرة من خلال شخصية

(ناتاشا)، حيث تتحدث عن التنازلات التي يضطر إليها المهاجر، الذي يتحول إلى الضحية الملامة دوماً، والتي لا ذنب اقترفته إلا هويتها ومن تكون.

مطرود من التاريخ

عن دار فنون للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، صدر للدكتور "عبدالله علي عمران" كتابه الشعري "مطرود من التاريخ"، وهو الكتاب الثاني له. الديوان يضم 20 نصاً شعرياً، إضافة إلى دراستين نقديتين.

صمت العصافير

عن الدار العالمية للنشر والتوزيع المصرية صدرت مؤخراً رواية جديدة تحت عنوان "صمت العصافير" للكاتب والصحفي الليبي "مصطفي محمد فنوش". وتجسد الرواية لحياة فنانة تشكليه ليبية تواكب التطور في عصر العولمة وسيطرة الحياة الرقمية، على تعاملنا مع الأشياء، أراد منها المؤلف إيصال رسالة للمكانة التي تبوئتها المرأة في المجتمعات الحديثة.

الكتبيون في ليبيا

عن منشورات المركز الليبي للأبحاث والدراسات، كتاب (الكتبيون في ليبيا ودورهم في حركة الطباعة والنشر منذ الخمسينيات)، والذي أشرف على تحريره الأستاذ "محمود الغتمي"، وهو الكتاب الـ11 ضمن سلسلة الندوات والمؤتمرات.

الكتاب يتضمن أعمال ندوة بذات العنوان تم تنظيمها بمناسبة اليوم العالمي للكتاب يوم في 7 مايو 2018م بمدينة طرابلس من قبل مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية.

طيح سعدك

عن دار الرواد للنشر والطباعة والتوزيع، صدر للأستاذ "فريدة الحجاجي" كتاباها (طيّح سعدك .. وأخواتها)، والذي تتناول فيه الكاتبة بالبحث بعضاً من مفردات اللهجة الليبية، وعلاقتها بالثقافة الليبية.

العهد الملكي وأزمة الحكم في ليبيا

عن دار الرواد للنشر والتوزيع صدر كتاب (العهد الملكي وأزمة الحكم في ليبيا) للدكتور " محمد صكر الحسناوي" والذي يتناول فيه أضواء على سياسة محمود أحمد المنتصر تجاه

القواعد الأجنبية. الكتاب جاء في مجلد يضم 1008 صفحة، رصد فيها الدكتور "الحسناوي" أهم الأحداث وتحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية متسارعة، بسبب انتقال الصراعات الإقليمية والدولية الخارجية إلى الساحة الليبية من جهة ، وارتباط ليبيا بشكل مباشر بالسوق النفطية العالمية والشركات الاحتكارية، فضلاً عن ارتباطها بعلاقات دولية معقدة وإقليمية مركبة حاولت أن تجمع فيها بين الولاء للغرب والقبول بالقواعد العسكرية البريطانية والأمريكية على أراضيها وبين حركة القومية العربية التحررية.

الصورة النمطية للمرأة في المسرح الليبي

صدر عن دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان، ببنغازي، للكاتبة الصحفية "مريم العجيلي" كتابها الأول المعنون (الصورة النمطية للمرأة في المسرح الليبي)، من خلال دراسة تحليلية لمجموعة من المسرحيات الليبية.

عمر ضياء الدين المدفعي

صدر للدكتور "محمد علي رحومة" كتابه (عمر ضياء الدين المدفعي 1889-1967م)، الذي يقع في 231 صفحة من القطع الكبير، وهو دراسة في النضال الوطني الليبي ضد الطليان والإنجليز، ويتناول سيرة البطل الليبي "عمر ضياء الدين المدفعي" وجهاده ضد الطليان في ليبيا، وضد الإنجليز على الحدود الليبية المصرية. ثم نضاله في ديار الهجرة بتونس، وأيضاً بعد عودته إلى ليبيا عام 1945، خصوصاً ضمن جهود (حزب المؤتمر الوطني) في الغرب الليبي، إلى قيام دولة الاستقلال الفتية.

ما قبل وما بعد تحريك حروف العلة

عن مكتبة الكون للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، صدر للكاتب "صلاح نقاب" كتابه (ما قبل وما بعد تحريك حروف العلة) وهو الكتاب الأول للكاتب، والذي يقدم فيه وجهة نظره في مسائل الهوية، والمواطنة، والدين والدولة، والتعددية، مفاهيم التعايش السلمي المشترك في ليبيا.

فن الزنجفور

عن جهاز تنمية وتطوير مدينة غدامس، صدر كتاب (فن الزنجفور في غدامس) للباحثة في التراث الغدامسي الأستاذة "سعدية بن يونس"، والذي قامت على طباعته شركة أسيل للطباعة والإعلان. وفن الزنجفور هو فن الزخرفة المستخدم في زخرفة وتزيين البيوت في مدينة غدامس.

صاحب الخيال

صدر عن دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، مسرحية (صاحب الخيال) للكاتب والقاص "حسن المغربي"، وهو الكتاب الخامس له.

المسرحية جاءت في ثلاثة فصول، قدم لها كل من الكاتب والناقد "منصور بوشناف"، والكاتبة "حنان بيروتي"، هذا وزينت غلاف الكتاب إحدى لوحات التشكيلية الفلسطينية "رانيا العاموري".

الخط العربي

صدر للدكتور "عبدالحميد الصادق المجراب" كتاب (الخط العربي.. تاريخه وجمالياته وتطوره في ليبيا)، والذي يتناول تاريخ الخط العربي في ليبيا، بتقديم للأستاذ الدكتور "محمد أحمد وريث"، وطباعة شركة أسيل للطباعة والإعلان.

الخطاب الديني والشأن السياسي الليبي

عبر منصة أمازون، صدر للكاتب الصحفي الدكتور "سالم أبوظهير" كتابه (الخطاب الديني والشأن السياسي الليبي – دراسة تحليلية من منظور اجتماعي) في إصدار خاص بكيندل (Kindle Edition)، والذي يتناول مسألة الخطاب الديني، ومجاله الخاص وعلاقته بالشأن السياسي الليبي، حيث تمت الاستعانة بمنهج دراسة الحالة، والمنهج الاستقرائي، والمنهج التاريخي.

أطفال النار

عن يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع؛ القاهرة، صدر للكاتب الليبي "عبدالله الماي" عمله الروائي الثاني (أطفال النار)، والتي يلقي فيها الكاتب باللائمة على المجتمع الذي دفع بأبنائه الصغار إلى أتون حروب متواصلة على مدى أكثر من عقد من الزمان، والذين من بينهم "مروان" بطل الرواية، الذي قتل محروقاً في إحدى الغارات الجوية.

وأد الأمل

بعد تجربة في مجال الترجمة، صدر للأستاذ الدكتور "جمال جابر"، أستاذ الترجمة بجامعة الإمارات، عمله الأدبي الأول وهو رواية (وأد الأمل)، عن دار المشارق للنشر والتوزيع المصرية.

وهي رواية عاطفية اجتماعية نقدية، تقع أحداثها في ليبيا ما بين الزنتان ومصراتة، خلال الفترة من ديسمبر 2009 إلى منتصف يوليو 2014. وهي ترصد جوانب عموم الليبيين ما قبل 2011 وخيبة الأمل في بناء دولة حديثة، من خلال بطل الرواية الشاب "سعيد" من الزنتان.

محمد الإمام

ضمن اهتمامات الكاتب الليبي "إبراهيم الإمام" بالمخطوطات التي تحتويها خزائن مدينة غدامس، صدر كتاب (تنبيه الأنام بسيرة الحاج محمد الإمام – سيرة من خلال وثائق بمناسبة مرور قرابة 200 عام على مولده)، والتي يتناول سيرة الحاج "محمد الإمام" من خلال مجموعة من الوثائق التي تخص العائلة.

سيرة أدبية.. أم سيرة ذاتية؟!

حواء القمودي

لماذا انبثقت فكرة كتابة سيرة لمسيرتي الأدبية؟

وجدتُ نفسي تنساق معي، استهوتها حكاية السيرة، ولكن العنوان الذي كتبته بسهولة أو ظهر توا مذ جاءت الفكرة الأولى (محاولة القبض على سيرتي الأدبية) جاء بسؤال مهم، هل ثمة سيرة أديبة بمعزلٍ عن سيرة ذاتية؟ وهل كانت السيرة الأدبية إلاّ لأن ثمة سيرة ذاتية؟

سيرةً تبدأ من لحظة الميلاد لتعبر كل مسارات العيش، البنت التي ولدت في ظهيرة يوم إثنين، وفي (دار حناها صالحة)، وكان الرمل في استقبال جسدها الطري النحيف، مؤكد أنها سمعت صوت (الخُطيفات- السنونو) وشعرت بحفيف أجنحتهن تقترب، لأنّ سقيفة (حُوشهم- بيتهم) مليءٌ سقفها بأعشاشهن، وربّما كان ذاك اليوم الصيفي من شهر يونيو، يوم لتحضير (القُفة) والذهاب بها لبيت العروس.

أقول ربّما لأن البنت عشقت روائح الحناء والبخور ولا تنام إلا وفي فمها (اللبان)، البنت التي سبحت في (الجابية) وجففت جسدها في شمس الظهيرة، وركضت تتسابق مع رفيقاتها (بنات السانية) كي يصعدن شجرة التوت ويلتهمن ثمارها، والسؤال الذي انزعج الآن من (حواء) التي يتشعب حديثها ويتخذ مسارب مثل الأيقونة (شهرزاد).

(سيرة أدبية أم سيرة ذاتية؟) وهل تنفصل إحداهما عن الأخرى؟ ولعلّ السيرة الأدبية الوجه الذي يتخفى في ظلّ السيرة الذاتية، لأتذكر تلك الفكرة التي أزعجتني قليلا ثم انتبهت أنها تحمل في قلبها وشيجة صدق، أن الشخصية الأدبية تَمكُر بالشخصية العادية، لا تهتم لحزنها وانهيارها، لا تهتم لقلبها المفطور وآهاتها، لأنها ستفوز وستجعل من الحزن وشاحا ورديا و تُخيطُ حواشيه بتلك الدموع التي أغرقت ليل العاشقة، وتلك الخفقات الوَاجِفة

ستبني بها قصرا من الكلمات، كلمات تصطف في سطور، والسطور منقوشة بجنون مخيلةٍ، تلك المخيلة التي أمسكت تلابيب الفكرة من اشتعال الروح بضوء الحب، ولكن الحب لعوبٌ والسؤال حتما سيقذف حمم غضبه، لأن ثمة شاعرة تراوده ولا تفهم، والفهم يريد وقائع وحقائق، وهل ثمة حقائق أيها السؤال الذي يبحث عن إجابته من هذي التي في طبيعتها الانفلات والركض بقدمين حافيتين، هي البنت الجوزاء التي ضوء الشمس حنينها وحفيف أجنحة الخطيفات عشقها، وحين تنتحب المخيلة فتنزف الوجع شعراء أو قصة أو رواية، تغرق تلك (الأديبة) في هناءة، وتظل تلك (العادية) تواصل المشي والركض والطيران، عبق الصيف الفاغم وخرير مياه البئر، وصديقات يفترشن الحصير ويقتسمن الوشوشة، ثمة سر خطير ولكن لن نبوح به إلاّ لهذه الزيتونة التي نلتحف ظلّها، حينذاك تضحك المخيلة وتوقظ الأديبة لتبدأ نقش الحكاية.